الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الإستراتيجية

المجلد الثاني العددين (٧-٨) سبتمبر وديسمبر ٢٠١٩

Iraqi - African Center for Strategies Studies
Tel: 00964776837196
(NGO) 1E78478
http://ciaes.net/

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab Studies

International Scientific Periodical Journal Issued by the Iraqi - African Center for Strategies Studies

ISSN: 2569 - 7269

تصدر عن:

المركز العراقي الأفريقي

Iraqi - African Center for Strategies Studies

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨/١٨١٩

وكيل المجلة في ليبيا

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية – ليبيا

٢٠١٨/١٥٥

الترقيم الدولي بالمكتبة الألمانية

ISSN: 2569-7269

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير

دينا العشري (مصر)

مديري التحرير:

أ.عبيد إميجن (موريتانيا)

أ. رشا العشري (مصر)

أعضاء هيئة التحرير

د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)

رئيس مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

د. خالدة سالم بابكر(السودان)

أ.محمد عز الدين (مصر)

رئيس مؤسسة النيل للدراسات الأفريقية

ا . محمد على أحمد حمران (صنعاء)

رئيس اتحاد الاكاديميين العرب

التنسيق والمراجعة وإخراج :

أ. مصطفي فؤاد

تصميم الغلاف:

أ. كمال سند

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

- **أ.د. محمد على محمد نوفل**

  أستاذ الدراسات اللغوية ولغتي الهوسا والسواحيلي بقسم اللغات الإفريقية، عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

- **أ.د. ريم موسى**

  أستاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان).

- **أ.د. صالح زياني**

  أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة ١ (الجزائر).

- **أ.د. جمال السيد الضلع**

  أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد الأسبق بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة (مصر).

- **أ. د. بن يزة يوسف**

  أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة جامعة باتنة ١ (الجزائر).

- **أ.د. محمد المختار جي**

  استاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

- **أ.د. عطية محمود الطنطاوي**

  أستاذ الجغرافيا الطبيعية بقسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية. ووكيل كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر)

- **د. مهدي دهب حسن دهب**

  استاذ العلوم السياسية ـ رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان).

- **د. بلهول نسيم**

  أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية– جامعة البليدة ٢ (الجزائر).

الهيئة العلمية الإستشارية للمجلة

- **د. تامر محمود عبدالوهاب**

  مستشار العميد ومدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بقسم الأنثروبولوجيا كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

- **د. محمد أدريس عبد العزيز**

  رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا).

- **د. سيد رشاد قرني**

  مدرس الدراسات اللغوية واللغة السواحيلية بقسم اللغات الافريقية كلية الدراسات الإفريقية العليا جامعة القاهرة (مصر).

- **د. أوان عبد الله الفيضي**

  الأستاذ المساعد في كلية الحقوق- جامعة الموصل(العراق).

- **د. رامي عاشور**

  دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر).

- **د. محسن الندوي**

  علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب).

- **د. عبد السلام بشير خليفة**

  دكتوراه في العلاقات الدولية . جامعة الزاوية (ليبيا).

- **د. عوض أحمد حسين شبا**

  نائب مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر(السودان).

- **د. جمال علي سالم**

  باحث متخصص في العلاقات الدولية (العربية والأفريقية) (ليبيا).

- **د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي**

  أستاذ مشارك – جامعة كسلا – كلية التربية – قسم الجغرافيا (السودان).

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة:

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكّمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق – بغداد، بالتعاون مع دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، وثقافيا واجتماعيًا، أملا في وجود دراسات وأبحاث تطرح رؤى وأفكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون أفكارنا نحن الأفارقة والعرب معا يدًا وصوتًا واحدًا يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

شروط النشر

- أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com
- يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.
- يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.
- تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ- يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب- يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ت- الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

ث- الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- يراعى في أسبقية النشر:

أ- الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د- تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

كيفية اعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.

عنوان جهة الباحث

- الملخص التنفيذي باللغة العربية- الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة ، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش،

وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الاصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.
- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للاتي:

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

يراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس(A4) ، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic
- حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس ، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.
- حجم ١١ عادي للجداول والأشكال ، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.
- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman ، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية ، ١٤ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال ، ١٢ عادي للملخص والهوامش.
- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢.٥) من جميع الجهات.

وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.

والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الاكاديميين من الدول العربية، والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.

حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والافريقية، كما يتولى اتحاد الاكاديميين العرب (صنعاء) الذي عقد شراكة مع المجلة، نشر المجلة في كافة ارجاء الوطن العربي.

Iraqi-African Center For Strategic Studies
Tel: 00964776837196
(NGO)1E78478
http://ciaes.net/

تقرأ في هذا العدد

➢ الافتتاحية ..... بقلم: رئيس التحرير	13
➢ الدور الأمني والعسكري الإسرائيلي في منطقة القرن الأفريقي منذ مطلع الألفية ..... عبد الناصر محمد مأمون عيسى (مصر)	15
دول الخليج العربي في القرن الأفريقي تنافس قاد لصراع .... د.أمينة العريمي (الإمارات)	49
➢ أهمية التواصل العربي الأفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة .... د. سعيد علي كوزي (السودان)	67
➢ القومية وأثرها في الحياة الفكرية والأدبية في السودان .... د. حسّان بشير حسّان حامد(السودان)	101
➢ المشاهدات المستقبلية للموانئ السودانية بقارة إفريقيا- دراسة استشرافية ..... د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي (السودان)	137
➢ كوفيد – ١٩ والتعليم عن بعد: بين ظروف الاضرار وإمكانية التنفيذ ج١ د. نزار خليل أبوبكر سليمان، د. نهى حسن المبشر الطيب (السودان)	167
➢ أثر الاستعمار البرتغالي على أوضاع ومكانة المرأة في أفريقيا جنوب الصحراء جمهورية "أنجولا نموذجاً" . د. سهام عبد الباقي محمد (مصر)	191
➢ دور اللغة العربية في نشر الإسلام في زنجبار .... أ.د. محمد علي محمد نوفل، د. سيد رشاد قرني محمد (مصر)	215
➢ علم اللغة الحاسوبي ودوره في تطوير اللغة العربية في إفريقيا .... د. سيد رشاد قرني محمد (مصر)	235
➢ ثنائية الاتساق والانسجام (قصيدة رسالة النبيّ في حاشية البحر أنموذجاً) ..... د. سطام عواد نايف القويدر(الأردن)	259
➢ الحشاشون نشأتهم وتاريخهم .... د. عبدالسلام عبد اللطيف الهولي، (الكويت)	281

افتتاحية العدد

انتهي العام ٢٠١٩ وقد كان منذ بدايته وحتى نهايته سلسلة من الأحداث التي وضعت القارة الأفريقية والدول العربية، في بؤرة اهتمامها، فقد كان هذا العام هو عام رئاسة جمهورية مصر العربية للاتحاد الأفريقي، والذي شغلت انظار العالم بمؤتمراتها، وملتقياتها الشبابية ، خاصة الشباب الأفريقي، والتي رصدت كافة التحديات التي تواجهها الإنسانية خاصة الانتشار غير المسبوق للصراعات والنزاعات، واللاجئون والعائدون والنازحون داخلياً: والحلول الدائمة للنزوح القسري في أفريقيا.

بالإضافة للعديد من المبادرات التي تم عرضها من قبل الشباب الأفريقي لدي العديد من دول المشاركة في هذه الملتقيات، والتي مثلت رؤى مستقبلية وحلول لمجابهة التحديات التي تواجه مجتمعاتنا الأفريقية كبادرة نحو الارتقاء بالقارة ومقدراتها، ناهيك عن رغبة الشباب الأفريقي في التواصل والتعاون بين شعوب القارة باعتباره أحد أهم الدوافع في تعزيز التواصل الفكري والثقافي وكذلك الرغبة أيضاً لدى هؤلاء الشباب في البحث عن حلول للمشكلات التي تعج بها القارة ولا تطول في النهاية سوى شبابها الواعد الذي يتطلع لمستقبل مشرق خالٍ من كافة التحديات التي تعيق طموحاته نحو الارتقاء للأفضل له ولمجتمعه.

لذلك كان لهذا العدد المزدوج رؤية في عرض بعض التحديات التي تواجه القارة الأفريقية، والتي بدأت بعرض دراسة خاصة بالدور الأمني والعسكري الإسرائيلي في القارة، وخاصة في منطقة القرن الأفريقي، وكيفية مواجهته، وكذلك عرض أهمية التواصل العربي الأفريقي لمواجهة التحديات. ناهيك عن العديد من الدراسات المختلفة التي تناولت الشأن السوداني والعربي، كذلك تتطرق هذا العدد لمعرفة أهمية اللغة العربية في نشر الإسلام في القارة خاصة في دولة (زنجبار)، تنزانيا حاليا، بالإضافة لعرض دور ومكانة المرأة الأفريقية في ظل الاستعمار، كل هذا واكثر من المعلومات والبيانات الهامة تم عرضه في العدد.

بقلم:

دينا العشري

رئيسة التحرير

الدور الأمني والعسكري الإسرائيلي في منطقة القرن الأفريقي منذ مطلع الألفية

عبد الناصر محمد مأمون عيسى
باحث دكتوراه- كلية الدراسات الإفريقية العليا

ملخص:

تعد الدولة الإسرائيلية دولة عسكرية بالأساس، فهي تقوم على أساس ضمان بقاء الدولة من خلال ضمان استمرار التفوق العسكري، وتحاول أن تكون أحد محددات السلم والأمن في الإقليم المحيط، وتحاول تدعيم أوجه التعاون مع دول القرن الأفريقي، خاصة في المجالات الأمنية والعسكرية، حيث تقدم إسرائيل المعونة العسكرية للعديد من انظمة الحكم، وبعض الحركات المعارضة في القارة الأفريقية، سواء فيما يتعلق بتوفير السلاح، أو التدريب العسكري، أو تجارة الأسلحة، وتتم هذه التجارة بشكل مشروع، واحيانا بشكل غير مشروع، وهو ما يساهم في استمرار بعض الصراعات والحروب الأهلية في بعض الاقاليم الأفريقية.

تنطلق السياسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في منطقة القرن الأفريقي من العديد من الأهداف الأمنية والعسكرية التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها، وهى اهداف تتقاطع مع العديد من الاستراتيجيات الإسرائيلية في المناطق والاقاليم الأفريقية الأخرى، وإن كانت تخص منطقة القرن الأفريقي بعدد من الأهداف والمصالح التى تسعى إلى تحقيقها, والتى تسهم في المحافظة على التفوق في ميزان القوى الإقليمي، وتتبنى العديد من الآليات والأدوات التى نجحت من خلالها في اختراق القرن الأفريقي والتغلغل في مضمون وتوجهات السياسات الأمنية والعسكرية للكثير من دول هذه المنطقة، وهو ما جعل إسرائيل تهتم بتطوير مضمون وابعاد علاقاتها بدول القرن الأفريقي، وتسعى لإيجاد سبل التعاون والتفاعل، خاصة منذ بداية الألفية الثالثة، مع ما تواجهه هذه الدول، والتحديات التى تنبع من دول واقاليم الجوار، وتراجع الدور العربي، والتحديات التى تواجه القوى الإقليمية، كافة تلك المتغيرات شكلت البيئة المناسبة لتطوير إسرائيل علاقاتها بدول القرن القرن الأفريقي، وذلك بهدف تحقيق عدد من الأهداف والمصالح، وأن يصبح لها الدور المؤثر في التطورات والسياسات الداخلية في هذا الاقليم، وسعت لاستخدام عدد من الأدوات الأمنية والعسكرية للقيام بهذا الدور بابعاده العسكرية والأمنية.

الكلمات الدالة: (إسرائيل- القرن الإفريقي- الأمن العربي- الأمن الإفريقي- سلاح إسرائيل)

Summary

The Israeli state is considered primarily a military state, as it is based on ensuring the survival of the state by ensuring continued military superiority, and trying to be one of the determinants of peace and security in the surrounding region, and is trying to strengthen aspects of cooperation with the countries of the Horn of Africa, especially in the security and military areas, where Israel provides Military aid to many systems of government, and some opposition movements on the African continent, whether with regard to the provision of arms, military training, or arms trade, and this trade takes place in a legitimate, and sometimes unlawful, manner, which contributes to the continuation of some conflicts and civil wars in some The African regions.

The Israeli security and military policy in the Horn of Africa region is launched from many of the security and military goals that Israel seeks to achieve, and they intersect with many Israeli strategies in other African regions and territories, although they concern the Horn of Africa region with a number of goals and interests that it seeks to achieve, Which contribute to maintaining superiority in the regional balance of power, adopting many mechanisms and tools through which it succeeded in penetrating the Horn of Africa and penetration into the content and orientations of security and military policies of many countries in this region, which is what caused Israel is interested in developing the content and dimensions of its relations with the countries of the Horn of Africa, and seeks to find ways of cooperation and interaction, especially since the beginning of the third millennium, with what these countries face, and the challenges that emanate from neighboring countries and territories, the decline of the Arab role, and the challenges facing regional powers, all of these variables have formed The appropriate environment for Israel to develop its relations with the countries of the Horn of Africa, with the aim of achieving a number of goals and interests, and to have an influential role in internal developments and policies in this region, and sought to use a number of security and military tools to carry out.

Key Words: (Israel- Horn of Africa- Arab Security - African Security - Israeli Weapons)

مقدمة:

تحاول عدد من القوى الإقليمية تدعيم دورها التأثيري في حياة شعوب ودول منطقة القرن الأفريقي من خلال العديد من الأدوات والآليات الأمنية والعسكرية، ومحاولة استغلال واقع وسمات دول القرن الأفريقي في تلك المجالات، واستغلال الواقع الأمني، وحالة الصراع، والحروب الداخلية والبينية التى بين دول القرن الأفريقي، فهي تشكل بيئة مناسبة لتحركات القوى التى تجد مصالحها، وتحقق أهدافها في ظل هذه البيئة غير المستقرة، فقد حاولت كل من إسرائيل، وتركيا، وإيران، العمل على تطوير العلاقات التى تجمعها بدول القرن الافريقي على الصعيد الأمني والعسكري والتسليحي، وذلك حتى تستطيع القيام بدور تأثيري في تلك المنطقة، وعلى رأس تلك القوى الإقليمية تأتى الدولة الإسرائيلية.

حيث تحاول الدولة الإسرائيلية تأكيد تفوقها وتقدمها التقني في المجالات العسكرية والأمنية، وفي مجال تجارة الأسلحة المتقدمة، من خلال تنويع مجالات العلاقات مع العديد من اقاليم العالم، وأن يصبح لها دور في بعض الصراعات والحروب، ويعد اقليم القرن الأفريقي من الاقاليم التى تتمتع إسرائيل فيها بدور عسكري وأمني واضح، وهو ما يظهر من تحليل طبيعة العلاقات التى تجمع الدولة الإسرائيلية بدول هذا الاقليم، وذلك حتى تستطيع تحقيق عدد من الأهداف والمصالح التى تبغيها من دورها في هذا الاقليم، وذلك من خلال عدد من الآليات والأدوات التى تستخدمها للقيام بدور يحقق أهدافها ومصالحها، وكافة هذه السمات جعلت من الضروري التطرق لطبيعة الدور الأمني والعسكري لإسرائيل من خلال المحاور الآتية:

المطلب الأول: طبيعة العلاقات الأمنية والعسكرية الإسرائيلية بدول القرن الأفريقي.

المطلب الثاني: الأهداف والمصالح الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في القرن الأفريقي.

المطلب الثالث: أدوات وطبيعة دور إسرائيل الأمني والعسكري في القرن الأفريقي.

المطلب الأول: طبيعة العلاقات الأمنية والعسكرية الإسرائيلية بدول القرن الأفريقي

تقوم العقيدة العسكرية الأمنية لإسرائيل على أساس ما يطلق عليه "القانون الشفوي" الذي كان يستند على ثلاثة مبادىء هي: الردع، والإنذار المبكر، والتفوق العسكري، وفي عام ٢٠٠٦، وبعد مراجعة هذه العقيدة الأمنية، أضيف إلى هذا القانون مبدأ "الدفاع"، ويضيف بعض العسكريين وقادة الفكر الاستراتيجي الأمني لإسرائيل عناصر أخرى إلى هذا القانون تتمثل في: الوقاية، والاستباق، والتحالف مع الولايات المتحدة والقوى الإقليمية، وقد حكمت هذه المبادىء العديد من تطورات العلاقات الأمنية والعسكرية بين إسرائيل وعدد من دول القرن الأفريقي، وبتطبيق الوقاية والاستباق، يمكن القول أن دور وغارات إسرائيل على السودان، وفي إيران، وسوريا، هي تطبيق لتلك المبادىء، وفي محاولة تطبيق المبدأ الثالث "بناء تحالفات إقليمية، وضعت الدولة الإسرائيلية منطقة القرن الأفريقي في مستوى متقدم لأهميتها في تطبيق تلك العقيدة العسكرية[١].

وتعد الدولة الإسرائيلية دولة عسكرية بالأساس، فهي تقوم على أساس ضمان بقاء الدولة من خلال ضمان استمرار التفوق العسكري، وتحاول أن تكون أحد محددات السلم والأمن في الإقليم المحيط، وتحاول تدعيم أوجه التعاون مع دول القرن الأفريقي، خاصة في المجالات الأمنية والعسكرية، حيث تقدم إسرائيل المعونة العسكرية للعديد من انظمة الحكم، وبعض الحركات المعارضة في القارة الأفريقية، سواء فيما يتعلق بتوفير السلاح، أو التدريب العسكري، أو تجارة الأسلحة، وتتم هذه التجارة بشكل مشروع، واحيانا بشكل غير مشروع، وهو ما يساهم في استمرار بعض الصراعات والحروب الأهلية في بعض الاقاليم الأفريقية، وهو ما جعل التقديرات تشير إلى أن قيمة الصادرات الإسرائيلية من السلاح للدول الأفريقية بلغ قرابة ١٠٧ مليون دولار في عام ٢٠١٠، وارتفع في عام ٢٠١٤ ليصل قرابة ٣١٨ مليون دولار، واشارت بعض التقارير أن إجمالي تلك المبيعات من عام ٢٠١٥ حتى عام ٢٠١٨ تجاوز حد المليار دولار[٢].

---

١) د. حمدي عبد الرحمن، "تأثير الفراشة..وإعادة اختراق إسرائيل لدول حوض النيل"، **قراءات أفريقية** (لندن: المنتدى الإسلامي، العدد ١٤، فبراير ٢٠١٥)، ص ص ٣-٦.

٢) بوفراش يعقوب، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول القارة الأفريقية"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، فبراير ٢٠١٥)، ص ١٨.

خاصة أن الدولة الإسرائيلية تحظى بمصداقية كبيرة لدى الدول الأفريقية في مجال الاستخبارات والتدريب العسكري، ولذلك ركزت إسرائيل في تفاعلاتها الأفريقية منذ البداية على هذه المسائل التى تم ترجمتها إلى شكل شراكات أمنية، وتولي إسرائيل أهمية خاصة لمنطقة القرن الأفريقي لاعتبارات عديدة منها وجود السودان كدولة إسلامية، وتخوف إسرائيل من تحول القرن الأفريقي إلى منطقة نفوذ إيرانية، وهو ما يعرض مصالحها للخطر، لذلك تحاول تدعيم علاقتها العسكرية والأمنية مع العديد من دول هذه المنطقة، ذلك من خلال العديد من الأدوات، وزادت الانشطة العسكرية والأمنية الإسرائيلية منذ مطلع الألفية[١]، وهو ما يظهر من تحليل طبيعة علاقات إسرائيل مع دول القرن الأفريقي على النحو الآتي:

أولاً: إسرائيل وإثيوبيا:

يعود التعاون العسكري والأمني والاستخباراتي بين إثيوبيا وإسرائيل إلى منتصف القرن الماضي، في إطار ما اطلق عليه "حلف المحيط"، والذي ركز على مواجهة حركة التحرير الإريترية، والمطالب الصومالية المتصاعدة، وتمدد التأثير الناصري، حتى داخل المجتمع الإثيوبي، وحركة القومية العربية، والسيطرة الناصرية على الصوت والعقل الأفريقي، وحينها كانت إسرائيل تسيطر على تدريب وتشكيل عقيدة الجيش الإثيوبي، وتتولى الإشراف التام على "كلية القادة والاركان" في الجيش الإثيوبي، وكان خبراء إسرائيل هم من يقودون الحرب ضد الثورة الإريترية، وهو ما أكده "اسحاق رابين"، نائب رئيس هيئة الاركان العامة في إسرائيل في ذلك الوقت، وكانت إسرائيل هي من ساعدت في احباط محاولة الانقلاب على الامبراطور "هيلاسلاسي" في نهاية عام ١٩٦٠، وهو ما جعل إثيوبيا تتحول بعد ذلك لتكون بمثابة مركز تجسس على العرب وأفريقيا، من خلال العمل تحت غطاء شركات أو مؤسسات اقتصادية، وقاد العديد من الخبراء الإسرائيليين الحرب ضد إريتريا إلى جانب الجيش الإثيوبي، وقدمت لإثيوبيا خبراء في حرب العصابات، وأسسوا وحدات لحرس الحدود مع الجيش الإثيوبي، وعلى الرغم من تغير الواجهة الإثيوبية مع نظام "مانجستو هيلا مريام"، لكن ظلت إسرائيل هي الداعم لهذا النظام في حربه مع إريتريا من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٧٨، سواء بالاسلحة أو بالخبراء، وكانوا العسكريين الإثيوبيين الذين دربتهم إسرائيل هم الداعم الإساسي لحكم مانجستو[٢].

---

١) بلال المصري, "قمة أفريقيا– إسرائيل في توجو: المغزي والنتائج المتوقعة"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦)، ص ١٥.

٢) محمود محارب، "إسرائيل والقرن الأفريقي: العلاقات والتدخلات"، **سياسات عربية** (القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد ٣، يوليو ٢٠١٣)، ص ص ٢١–٢٣.

واستمرت إسرائيل تحاول دعم كافة صور التقارب الأمني والعسكري مع الدولة الإثيوبية، رغبة في استغلال موقع وقدرات وتأثير تلك الدولة في دعم أمن وبقاء الدولة الإسرائيلية، وحتى تستطيع محاصرة النفوذ العربي، والحيلولة دون أي تضامن عربي أفريقي في هذه المنطقة، ولذلك شهدت الدولة الإثيوبية العديد من الأنشطة الدالة على كثافة التعاون العسكري والأمني، مثال ذلك النشاط المتزايد للموساد، والتعون الاستخباراتي مع أجهزة الاستخبارات الإثيوبية، كذلك التسلح الذي تقوم به إسرائيل للجيش الإثيوبي، والذي تم في عام ٢٠١٠ مقابل السمات بتهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل(١).

وتؤكد بعض وجهات النظر إن إسرائيل تحاول من خلال التعاون العسكري مع إثيوبيا أن تعمل على زيادة وتيرة عدم الاستقرار السياسي في المنطقة المحيطة، بما يسهم في إضعاف العمل الأفريقي الجماعي، ويجعل القارة ضمن مناطق النفوذ الأمريكي، وتؤمن خضوع مواردها وثرواتها للنهب والاستغلال، وهو ما يسهم في تأمين البحر الأحمر، ويحول دون التضامن العربي الأفريقي، ويحرم العرب من أفريقيا كعمق استراتيجي، وهو ما جعلها تعمل على استقطاب وتدريب القادة العسكريين الإثيوبيين، لتخلق نخبة عسكرية تدين لها بالولاء الكامل(٢).

وهو ما جعلها تحصل من الدولة الإثيوبية على تسهيلات عسكرية عدة، مثل استخدام القواعد الجوية والبحرية وقواعد التجسس، وإنشاء محطات الإنذار والاستطلاع لخدمة انشطتها الاستخباراتية، ومشاركة إسرائيل في بناء وتنظيم الأجهزة الأمنية داخل ا لدولة الإثيوبية، وعقدها العديد من صفقات التسليح، وهو ما يجعلها من الدول المؤثرة في القرار الإثيوبي، وهو ما يهدد مصالح الدول العربية، وخاصة السودانية والمصرية(٣).

وترى إسرائيل في إثيوبيا هي أهم دولة في منطقة القرن الأفريقي، ويمكن أن تكون اداتها في أمن البحر الأحمر، من خلال التأثير على الدول المشاطئة لذلك المضيق.

1) Institute of Jewish Policy Research, "Ethiopian Immigrants in Israel: Experience and Prospects", **Report No. 1 from Institute of Jewish Policy Research** (Tel Aviv: Institute of Jewish Policy Research, 2012), pp. 4-15

2) Michael B. Bishk, " Israel and Ethiopia: From a Special to a Pragmatic Relationship", **Conflict Quarterly** (London: Wiley Online Liberally, Spring 1994), pp. 50-52.

٣) محمود محارب، "إسرائيل والقرن الأفريقي..الانعكاسات والتدخلات"، النور حمد وأخرين (محررون)، **العرب والقرن الأفريقي: جدلية الجوار والانتماء** (بيروت: المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣)، ص ص ٢٠٠-٢١٢.

لذلك ظلت تزودها لمختلف اشكال المساعدات العسكرية من اسلحة ومساعدات فنية وتدريب وبناء مدارس عسكرية، وهو ما صرح به "موشي ديان"، من أن إسرائيل تزود إثيوبيا بالاسلحة والمساعدات العسكرية في حربها ضد الصومال وإريتريا، فعلى الرغم من تبنى إسرائيل موقف الحياد من الحرب الإرترية الإثيوبية، لكن اتهم الرئيس الإرتري في يناير ١٩٩٨ إسرائيل بالانحياز إلى إثيوبيا، ذلك لأنها تقوم بصيانة الطائرات الإثيوبية من طراز "ميج١"، الأمر الذي تم تبريره بكونه يعبر عن مصالح بسبب اتفاقيات بين الطرفين ملزمة بهذه الصيانة(١).

ولا تزال إسرائيل واحدة من دوائر العلاقات الأساسية للدولة الإثيوبية، وهو ما ظهر في موقف رئيي الوزراء الإثيوبي "آبي أحمد" خلال زيارته في نهاية شهر أغسطس ٢٠١٩، والتى أكد خلالها على عمق العلاقات بين الطرفين في المجالات المختلفة، ومنها المجالات العسكرية، وهو ما أكدته العديد من التقارير حول التعاون العسكري بين الطرفين في حماية المصالح الاستراتيجية، ومنها المشروعات القومية، وخاصة في ظل ما يواجهه النظام الإثيوبي من تحديات أمنية على المستوى الداخلي، ومع التأثيرات الأمنية التى تسبب فيها حراك اليهود من أصول إثيوبيا (يهود الفلاشا) اعتراضاً على بعض الأوضاع الأمنية في الداخل الإسرائيلي منذ يوليو ٢٠١٩ (٢).

ثانياً: إسرائيل وكينيا:

قامت الدولة الإسرائيلية ببناء قاعدة عسكرية وامنية إسرائيلية قرب ميناء مومباسا في كينيا في عام ١٩٩٨، بعد حادثتي الاعتداء على السواح اليهود، كان أولها استهداف طائرة ركاب إسرائيلية تنقل ٢٧٠ راكبا، وتعرضت لهجمات صاروخية اثناء اقلاعها من مطار مومباسا تجاه إسائيل، والحادثة الثانية حادثة تفجير سيارة مفخخة امام فندق "باراديز" في المدينة ذاتها، والذي راح ضحيته عدد من السياح اليهود، وكانت قد ارسلت قد أرسلت نحو ١٠٠ خبير لتدريب الوحدات الخاصة الكينية على مكافحة الإرهاب منذ عام ١٩٩٥، ودعمت كافة أوجه التعاون بين الأجهزة لأمنية والمخابراتية في الطرفين، وتساعد إسرائيل كينيا من خلال تدريب وإعداد الكوادر في مختلف المواقع الهامة في الأجهزة الأمنية والعسكرية(٣).

---

١) **المرجع السابق**، ٢٠٣-٢٠٩.

٢) عبد العزيز إبراهيم، "بعد شهرين من أزمة يهود الفلاشا..رئيس وزراء إثيوبيا بإسرائيل"، موقع العربية (تمت الزيارة ٢٠١٩/١٢/٢، الساعة ٨ص)، على الرابط:

www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2019/09/01/بعد-شهرين-من-أزمة-الفلاشا-رئيس-وزراء-إثيوبيا-بإسرائيل

٣) ميلود وضاحي، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول إفريقيا: دراسة حالة القرن الأفريقي ١٩٩٠-٢٠١٣"، **رسالة ماجستير** (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضيف، ٢٠١٥)، ص ١٣١.

بل أن نشاط وتأثير مكتب الموساد الإسرائيلي في نيروبي يصل لبعض دول الجوار، ويتخذ من مكتب شركة "إل-عال" ساتراً له، بل وكانت الوحدات الإسرائيلية الموجودة في كينيا هي المسئولة عن إمداد جنوب السودان بالسلاح منذ منتصف القرن الماضي في حربها مع شمال السودان، كما يسيطر الخبراء الإسرائيليين على وحدة الخدمة العامة الكينية "GSM" الخاصة بحماية المطارات وفض الشغب ومكافحة الإرهاب، ويشرف خبراء إسرائيليين على تدريبها من خلال دورات في إسرائيل، وتمدها بالأسلحة الإسرائيلية الصنع، كما تسيطر إسرائيل على تكوين وتدريب الحراسة الخاصة بالرئيس الكيني الحالي، كما تم الاتفاق في العام ٢٠١٧ على بناء جدار على الحدود الكينية الصومالية لمنع تمدد حركة شباب المجاهدين الصومالية إلى الاراضي الكينية[١].

ثالثاً: إسرائيل والسودان:

ما يحرك التوجه الإسرائيلي نحو السودان هو استراتيجية عسكرية أمنية تطلق عليها إسرائيل استراتيجية "شد الاطراف"، تلك التى تعتمد عليها في تعاملها مع الدول العربية، حيث ترى إسرائيل في السودان ذات التوجه الإسلامي (وقتما كان البشير يحكم حتى ابريل ٢٠١٩) خطراً على مصالحها في منطقة القرن الأفريقي وحوض النيل، لذلك سعت إلى شد اطرافه من خلال خلافات داخلية كما هو الحال مع الجنوب ومع دارفور، وخلافات مع دول الجوار، واتهامات متبادلة بين نظام الخرطوم ونظم دول الجوار بدعم المعارضة المسلحة في تلك الدول، ومحاولة التأثير على الوضع الداخلي باستغلال سوء الإدارة الحكومية، خاصة مع العلاقات المتميزة التى كانت تجمع السودان مع إيران في مرحلة تاريخية، ومع دول عربية خليجية في مرحلة تالية، وشكل تحالفات السودان الإقليمية، لذلك حاولت إسرائيل استغلال المتناقضات داخل المجتمع السوداني، وبين المركز في الخرطوم والاطراف، والخلافات بين السودان وبين عدد من دول الجوار والقوى الإقليمية، وسعت إسرائيل إلى تطويق الحكومة الإسلامية في السودان من خلال تدعيم صور ومجالات التعاون العسكري والأمني مع دول الجوار، خاصة كينيا وجنوب السودان، بما يسهم في شد اطراف الدولة السودانية[٢].

---

١) **المرجع السابق**، ص ١٣٢.

٢) إبراهام روتام، محمد العراف (ترجمة)، **عقيدة عسكرية لمفهوم متجدد للأمن القومي: استراتيجية شاملة لإسرئيل** (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠٠١)، ص ص ٦٩-٧١.

حيث تمتد العلاقات العسكرية بين إسرائيل وفصائل أو حركات داخل السودان إلى الفترة التى اعقبت استقلال هذه الدولة، حين طورت إسرائيل علاقاتها مع حزب الأمة المناهض لمصر ووحدة وادي النيل، كما طورت علاقتها بحركات التمرد التى كانت في الجنوب، كما قامت إسرائيل بتنفيذ هجوم جوي من طائرات حربية إسرائيلية على قافلة شاحنات في السودان ادعت أنها تحمل معدات قتالية تمهيدا لنقلها إلى قطاع غزة في وقت سابق، ذلك في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨، و ١٧ يناير ٢٠٠٩، كافة هذه المتغيرات أكدت على أن العلاقة بين السودان وإسرائيل ليست على النحو الذي يخدم مصلحة الطرفين، وربما يسهم تحسن العلاقات السودانية الأمريكية في تعديل بعض من سماتها[١].

رابعاً: إسرائيل وجنوب السودان:

كما سعت إسرائيل إلى تطوير علاقاتها بالدولة الجديدة في جنوب السودان على الاصعدة الأمنية والعسكرية، حيث تمتد العلاقة الأمنية والعسكرية بين إسرائيل وجنوب السودان، ومع الفصائل التى كانت ترفع راية التمرد داخل هذه الدولة، إلى منتصف القرن الماضي، حين كانت إسرائيل تمد الفصائل المتمردة بالاسلحة تهريباً من دول الجوار لدعمها في مواجهتها مع حكومة الخرطوم، وهذا ما دفع إسرائيل وجنوب السودان أن يعلنا بعد استقلال الأخيرة عن أن العلاقة بينهما استراتيجية، وأكد وزير الخارجية الإسرائيلي "ليبرمان" في عام ٢٠١٢ على أن: "التعاون بين البلدين سيبنى على الأسس المتينة التى يسترشدان بها الطرفين في إقامة علاقات ود وتكافؤ واحترام متبادل"، وهذا ما جعل إسرائيل تمد جنوب السودان بترسانة من الاسلحة لتدعيم تأثيرها ووزنها الإقليمي أمام السودان الشمالي، واستخدمت أرضها في أعمال تجسس وهجوم على أهداف داخل السودان أو داخل دول الجوار، بل وتم الاتفاق في عام ٢٠١٤ على إقامة قاعدة عسكرية إسرائيلية على الحدود بين جمهورية السودان ودولة جنوب السودان[٢].

1) Baroness Caroline Cox, "The Strategic Importance of South Sudan", **Paper Published by Tel Aviv University** (Tel Aviv: Tel Aviv University, 2013), pp. 31-33.

٢) نائل عيسى جودة شقلية، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الأفريقي وأثرها على الأمن القومي العربي ١٩٩١-٢٠١١"، **رسالة ماجستير** (غزة: جامعة الأزهر، ٢٠١٣)، ص ص ١٣٥-١٣٦.

خامساً: إسرائيل وإريتريا:

كانت إسرائيل من أوائل الدول التى اقامت علاقات مع اسمرا بعد تشكيل الحكومة الإريترية المؤقته في عام ١٩٩١، ذلك بحكم موقع إريتريا الاستراتيجي المطل على باب المندب، وشاطئها الطويل على البحر الأحمر المهم أمنياً وعسكريا للدولة الإسرائيلية، وموانيها الرئيسية، والجزر الكثيرة الاستراتيجية التابعة لها، وحرصت قبيل الاستقلال على فتح قنوات اتصال مع "اسياس أفورقي"، ودعمه في نضاله ضد مانجستو، بعد التغير الايديولوجي في طبيعة التوجهات التى لرئيس الوزراء الإثيوبي، لذلك بعد حصول إريتريا على الاستقلال، قامت إسرائيل بتوقيع اتفاقية أمنية واقتصادية في عام ١٩٩٥، وكانت الجوانب المهمة من هذه الاتفاقية ما يخص التعاون العسكري والأمني، فقد زودت إسرائيل بموجبها القوات البرية والبحرية والجوية الإريترية بانواع مختلفة ومتطورة من الأسلحة، كما أرسلت مئات من الخبراء العسكريين والتقنيين لتدريب الجيش الإريتري ووحداته العسكرية الخاصة والأجهزة الأمنية والشرطة الإريترية، وفي مقابل ذلك، أفادت مصادر كثيرة أن إسرائيل حصلت على قاعدتين عسكريتين في جزيرتي فاطمة وحالب بأرخبيل دهلك، وهي تستعمل إحداهما ميناء عسكرياً يقدم خدمات إلى أسطولها الحربي، بما في ذلك غواصاتها الإلمانية الصنع التى تعد واحدة من أكثر الغواصات تطوراً، والتى تحمل صواريخ ذات رؤوس نووية، اما القاعدة العسكرية الثانية، فتستعملها إسرائيل قاعدة تنصت وتجسس في تلك المنطقة الهامة المشرفة على باب المندب[١].

ويتميز الوجود الإسرائيلي في إريتريا بأنه محدود، ولكنه مؤثر وذات معزى كبير، ففي عام ٢٠١٢ كشفت وكالة "ستر اتفور" الأمريكية عن أن إسرائيل تمتلك وحدات بحرية في أرخبيل دهلك وميناء مصوع، فضلاً عن وجود مركز للتنصت في جبال "أمبا سويرا"، وهي الوحدات التى تختص بأية أنشطة في البحر الأحمر، ويرى البعض أن الهاجس الأمني وقتها هو من حرك إريتريا للقيام بهذه الخطوات، وكسر العزلة التى كانت تفرضها عليها عدد من القوى الإقليمية، وهو ما جعل إريتريا ساحة لتنافس العديد من القوى الإقليمية العربية وغير العربية، ويصبح السؤال هل تؤثر الترتيبات التصالحية التى تمت في القرن الأفريقي عامي ٢٠١٨ و ٢٠١٩ على الوضع والدور العسكري الإسرائيلي في إريتريا[٢].

---

١) محمود محارب، **مرجع سبق ذكره**، ص ٤٨.

٢) إحسان مرتضى، "الأمن العربي وإشكاليات التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا"، **ورقة منشورة في مجلة جيش الدفاع الوطني اللبناني** (بيروت: جيش الدفاع الوطني اللبناني، ٢٠٠١)، ص ص ١٠-١٣.

وهو ما كان قد أكده رئيس التحالف الإريتري المعارض "حسين خليفة" في عام ٢٠٠٥، حن أكد أن العلاقات الوطيدة التى تربط الرئيس الإريتري "أسياس أفورقي" بإسرائيل تقف وراء رفضه انضمام بلاده إلى جامعة الدول العربية، وأشار إلى أن أفورقي أبقى على القواعد العسكرية الإسرائيلية في ثلاث جزر إريترية بمقابل مادي، رغم مطالبة الجبهة الشعبية في إريتريا بإغلاق هذه القواعد(١).

سادساً: إسرائيل والصومال:

كذلك إسرائيل قد استغلت الحرب الأهلية، وتمكَّنت من مدِّ جسور التواصل مع أول إقليم أعلن انفصاله في الصومال في مايو ١٩٩١م، عقب سقوط نظام سياد بري، تحت مسمى "جمهورية أرض الصومال **Somaliland**" التي تقع في شمال البلاد، وقد اختير محمد عقال رئيسًا لها. وحقيقة كان عقال مهيأً بدوره للتواصل مع إسرائيل بعدما أدار ظهره للعالم العربي؛ وفي ضوء ذلك بادر بإرسال خطاب إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في يوليو ١٩٩٥م، طلب فيه عقد اتفاقية استراتيجية مع إسرائيل؛ لمواجهة ما أطلق عليه "الأصولية الإسلامية"، طالبًا منه التدخل لوقف هذا "الخطر"، مضيفًا أنه رغم أن ٩٨٪ من سكان الصومال مسلمون غير أنهم ليست لديهم الرغبة في تطبيق القوانين الإسلامية، وفي نهاية خطابه حدَّد عقال مطالبه في ثلاث: مد "جمهورية أرض الصومال" بالمعدات العسكرية والخبراء، وإدارة ومراقبة الاستفتاء فيها نهاية ١٩٩٦م، وتقديم المعونات لها(٢).

وفي واقع الأمر، كانت مطالبة عقال لإسرائيل على نحو صريح بالتدخل في الصومال، فرصة لها من الناحية الاستراتيجية؛ حيث كانت، تسعى بدورها إلى الحصول على تسهيلات في ميناء بربرة، ورغم ذلك كانت حذرة للغاية في الاستجابة لها؛ لأن تدخلها كان سيعزز من موقف عقال الانفصالي، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى كان هناك اعتقاد سائد بأن أي تدخل من الإسرائيليين، سيدفع بقية الفصائل الصومالية للتوحد لمجابهته، بل ربما كان سيدفع بقوى أخرى بالمنطقة إلى التضامن مع هذه الفصائل، مما كان سَيُعَرِّض المصالح الإسرائيلية بالقرن الإفريقي للخطر(٣).

---

١) ميلود وضاحي، **مرجع سبق ذكره**، ص ١٢٧.

2) Social Research and Development Institute, "Somaliland Statehood, Recognition and the Ongoing Dialogue with Somalia", **Somaliland Development Series 3** (Hargeisa: Social Research and Development Institute, 2013), pp. 78-104.

3) Hassan Yussuf Muhammed, " The Role of External Actors in the Somali Conflict A Post 2000 Study of Kenya and Ethiopia's Involvement In the Conflict of Somalia", **Thesis for Bachelor's Degree** (Malmö, Sweden: Malmö University, 2014), pp. 35-51.

وعوضًا عن ذلك بدأت تل أبيب في خلق وجود لها بأرض الصومال بسبل أخرى، لا سيما على مستوى رجال الأعمال الإسرائيليين، الذين غالبًا ما يجنَّدون لخدمة أهداف الدولة العبرية، وفي هذا الصدد زار رجال أعمال تابعين لشركة "شاليفيت. أيه.أس إنترناشيونال القابضة" أرض الصومال في عام ٢٠٠١م؛ من أجل الاستثمار فيها، وقد روَّج رجال الأعمال الإسرائيليون إلى أن مشاريعهم تهدف لخدمة الإقليم؛ من خلال إقامة وتأهيل المرافق الحيوية به، والتي اشتملت على توسيع مطار بربرة وميناءها، وإعادة تأهيلهما، وإقامة مكتب اتصال فيهما، وتعبيد الطرق المؤدية إلى المطار والميناء وتحسينها، وإعادة بناء وسط المدينة التي دمَّرته الحرب الأهلية، فضلًا عن إقامة المشاريع الزراعية والاستثمار في مجال التعدين(١).

وتتويجًا لذلك، بدأ منحى علاقات إسرائيل بأرض الصومال يأخذ بُعدًا جديدًا، تمثَّل في توقيع محمد عقال اتفاقية مع إسرائيل في نوفمبر ٢٠٠١م، تضمنت تقديم مساعدات عسكرية لأرض الصومال وتدريب أفرادها.

وفي ضوء محاولات دعم العلاقات غير الرسمية بين الكيان الانفصالي وإسرائيل، زار مبعوث خاص للرئيس السابق "أرض الصومال" طاهر ريالي كاهين **Tahir Rayale Kahin** تل أبيب عدة مرات وطلب الاعتراف بها، غير أن إسرائيل امتنعت عن ذلك، ليس عن موقف مبدئي، ولكن لأن "أرض الصومال" لم تحظ باعتراف المجتمع الدولي كدولة مستقلة، وفي حالة اعتراف تل أبيب بها سيبدو موقفها شاذًّا، وتظهر كداعمة للحركات الانفصالية، مما سيضر بعلاقاتها بالدول الإفريقية، لا سيما دول القرن الإفريقي(٢).

ويبدو أن المتغيرات الإقليمية واستشراء القرصنة البحرية بالسواحل الصومالية، وتعرض مصالحها للخطر- لا سيما بعد حادث تعرض إحدى سفنها المسماة "أفريكا ستار" للقرصنة قبالة تلك السواحل- قد دفع إسرائيل إلى اختبار مدى تقبُّل الرأي العام لقرار اعترافها بأرض الصومال" التي تشارك بموقعها الاستراتيجي في التحكم في مضيق باب المندب وخليج عدن، فأعلنت في ١١ فبراير ٢٠١٠م، عن استعدادها للاعتراف بأرض الصومال، ورغبتها في أن تجد دولة إسلامية صديقة في القرن الإفريقي، مشبِّهة الصومال بأفغانستان أخرى بالمنطقة(٣).

---

1) **Idem.**

٢) د. سامي صبري عبد القوي، "إسرائيل والصومال بين التغلغل ومحاولات التطبيع"، قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٣، الساعة ١٠ م)، على الرابط:

http://www.qiraatafrican.com/home/new/إسرائيل_والصومال_بين_التغلغل_ومحاولات_التطبيع

٣) **نفسه.**

وتحاول إسرائيل استغلال الأوضاع الأمنية والصراع الدائم داخل الدولة الصومالية في تدعيم وجودها، وفي إيجاد دوراً لها داخل هذه الدولة المهمة، واستظلت في تحقيقها لهذا الهدف بالعمليات الإغاثية الإنسانية، من أجل فتح مراكز إسرائيلية بالعاصمة مقديشيو، لإغاثة الشعب الصومالي، وهو ما تم بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية، كما سعت إسرائيل للإتصال بالمعارضة الصومالية، سواء بشكل مباشر أو من خلال إثيوبيا، بهدف إيجاد عناصر موالية لها في منطقة القرن الأفريقي، ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للأمن القومي الإسرائيلي، وقد زار العديد من فرق الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية إقليم "صومالي لاند" التابع للصومال، وكان الهدف المعلن هو إجراء مباحثات حول نشاط الجماعات الإرهابية، ومواجهة الجماعات الإسلامية المتشددة المنتشرة في الصومال، والتى تخشى إسرائيل والولايات المتحدة أن تنفذ عمليات إرهابية جديدة تستهدف مصالحها في القرن الأفريقي[١].

فخلال الحرب الأهلية داخل الصومال كان لإسرائيل نصيبها في الجماعات المسلحة الصومالية، حيث صرح زعماء حرب صوماليين بوجود علاقات تربطهم بالكيان الصهيوني، بل أكدت صحف وتقارير إسرائيلية أن هناك اجتماعات جرت بين مسؤولين صوماليين ورئيس الوزراء الإسرائيلي في تل ابيب في يونيو ٢٠١٦، وتؤكد أن الرئيس الصومالي كان في زيارة إلى عاصمة إسرائيل، وهو من قاد تلك اللقاءات، وهو ما تنفيه الجهات الرسمية الصومالية[٢].

ومن المرجح أن إسرائيل تهدف من ذلك إلى السيطرة على مضيق باب المندب، البوابة الجنوبية للبحر الأحمر؛ حيث إن مراقبة هذا الممر تعني القدرة على عرقلة الحركة الملاحية الآتية من منطقة الشمال، وتحديدًا من قناة السويس، كما تهدف إلى استثمار هذه المنطقة لإقامة قاعدة عسكرية وإرساء الغواصات الحربية في ميناء بربرة، وهو ما يعني – في مجمله – محاولة خلق وجود عسكري إسرائيلي في الصومال[٣].

---

١) ميلود وضاحي، **مرجع سبق ذكره**، ص ص ١٢٢-١٢٣.

٢) سيدي أحمد ولد الأمير، "دبلوماسية السلاح ومنظومات التجسس: هكذا تخترق إسرائيل عمق أفريقيا" موقع ميدان، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٢، الساعة ٩ م)، على الرابط:

https://midan.aljazeera.net/reality/politics/2019/1/20

٣) **نفسه.**

سابعاً: إسرائيل وجيبوتي:

تحاول إسرائيل أن تجد لها دور داخل جيبوتي، نتيجة سياسات بناء القواعد العسكرية التى تتبناها الدولة الجيبوتية، والتى تراها جيبوتي أنها تؤدى دوراً بارزا للمجتمع الدولي لمواجهة التحديات التى تجتاح منطقة القرن الأفريقي، لذلك توجد قواعد للولايات المتحدة، وفرنسا، والصين، والسعودية، وتسهيلات لعدد من القوى الإقليمية، كما تحاول عدد من القوى الحصول على نصيب من تلك القواعد حتى تستطيع تعظيم دورها في منطقة القرن الأفريقي، ومن هذه القوى الدولة الإسرائيلية التى ترى أن لديها معلومات استخباراتية تفيد أن شركات بغطاء مدني، وهي بالأصل تابعة للحرس الثوري الإيراني تستغل بعض الثغرات القانونية وبعض الشركات العالمية لتضع لها قدما على موانئ جيبوتي، وكانت إسرائيل قد رصدت بعض هذه التحركات وأبلغت الولايات المتحدة بذلك، كما طلبت من بعض الدول الصديقة تنبيه السلطات في جيبوتي للأمر، وهو ما يجعل الدولة الجيبوتية ترى في تطبيع العلاقات مع إسرائيل من الأمور التى تهدد أمنها القومي، بحسب تعبير الرئيس "اسماعيل عمر جيله" حين أكد: "كانت هناك محاولات في عهد إسحاق رابين بعد اتفاق أوسلو في ١٩٩٣، وبعد مبادرة السلام العربية وبعد حديث الملك عبدالله في قمة بيروت سنة ٢٠٠٢، حاولوا تطبيع العلاقات وبعض الدول العربية أعتقد أنها ألغت من الجوازات المكتوب فيها لا يسافر إلى إسرائيل، وتم فتح مكاتب فيها"(١).

لكن لم يتم رصد حتى العام ٢٠١٩ أية تطورات واضحة للعلاقات الأمنية بين إسرائيل وجيبوتي، على الرغم من المحاولات الإسرائيلية الدائمة لأختراق تلك الدولة، والحصول على تسهيلات عسكرية في الإقليم الجيبوتي، بخاصة بعد التغيرات السياسية التى تشهدها السودان منذ ٢٠١٩، والتطورات التى تلحق بعلاقات دول القرن الأفريقي بعدد من القوى الإقليمية، سواء العربية، أو غير العربية، والتطورات التى تسببها المصالحات التى يقوم بها "آبي أحمد" منذ العام ٢٠١٨، هي جميعها جعلت الدولة العبرية تسعى إلى استغلال كافة الأحداث لدعم وجودها وعلاقاتها الأمنية والعسكرية مع دول القرن الإفريقي.

---

١) جميل الذيابي، "رئيس جيبوتي للحياة: إسرائيل حاولت التقرب ولم نقبل، ولعبنا دوراً مهماً في الصومال، وإتفاق أمني قريب مع السعودية"، جريدة الحياة اللندنية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/١٦، الساعة ٩ص)، على الرابط

http://www.alhayat.com/article/665085

& - Degang Sun,Yahia H. Zoubir, "The Eagle's Nest in the Horn of Africa: US Military Strategic Deployment in Djibouti", **Africa Spectrum** (Berlin: GIGA German Institute of Global and Area Studies, Vol. 51, No. 1, 2016), pp. 111-124.

المطلب الثاني: الأهداف والمصالح الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في القرن الأفريقي

تنطلق السياسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في منطقة القرن الأفريقي من العديد من الأهداف الأمنية والعسكرية التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها، وهى اهداف تتقاطع مع العديد من الاستراتيجيات الإسرائيلية في المناطق والاقاليم الأفريقية الأخرى، وإن كانت تخص منطقة القرن الأفريقي بعدد من الأهداف والمصالح التى تسعى إلى تحقيقها، والتى يأتى على رأسها:

أولاً: الحفاظ على الأمن القومي الإسرائيلي:

يرتكز مفهوم الأمن في الاستراتيجية الإسرائيلية إلى طبيعة خاصة ترجع لسبب أساسي وهو الرغبة التوسعية لإسرائيل في إنشاء إسرائيل الكبرى، فإسرائيل دولة لا تعرف أن تعيش داخل حدودها، وهو ما أكده "بن جوريون" حين قال: "إن خريطة إسرائيل ليست خريطة بلادنا، فلدينا خريطة أخرى نسعى إلى تحقيقها، هي أن تكون من الفرات للنيل"، ولتحقيق هذا الهدف تسعى إسرائيل لمد نفوذها وعلاقات صداقة مع جميع الدول، خاصة التى لها تأثير على الدول المحيطة بها، ومنها منطقة القرن الأفريقي، وهو ما يجعل المحرك الأساسي لسياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية السعي إلى ضمان وتحقيق الأمن القومي الإسرائيلي، وتقليل تأثير المخاطر المتوقع حدوثها له، وهو ما جعل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية من المؤسسات الأساسية في صياغة السياسة الخارجية الإسرائيلية، والتى أكدت على أهمية وجود دور إسرائيلي في منطقة القرن الأفريقي، وما لهذه المنطقة من تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على الأمن القومي الإسرائيلي، وهو ما شكل دافعاً وهدفاً استراتيجيا تسعى الدولة الإسرائيلية إلى تحقيقه من خلال دورها في منطقة القرن الأفريقي(١).

١) المركز الديمقراطي العربي، "التدخل الإسرائيلي في أفريقيا وتأثيره على الأمن القومي المصري: دراسة حالة إثيوبيا"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٨)، ص ص ٢٢-٢٩.

ثانياً: تطويق الأمن القومي العربي:

لا يزال يشكل الأمن القومي العربي وقوته خصماً من الأمن القومي الإسرائيلي وفقاً لأدبيات الأمن القومي الاستراتيجي الإسرائيلي، وهو ما يفسر تحرك كافة أجهزة الأمن الإسرائيلية لتطويق الأمن القومي العربي، ومحاولة إضعاف أسسه، والتأثير على مرتكزاته، وهو ما يفسر جزئياً النشاط الواسع لأجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية في منطقة القرن الأفريقي، التى تشكل أحد مكونات الأطار الحاكم للأمن القومي العربي، حيث تعمل الأجهزة الإسرائيلية على إضعاف التضامن الأمني بين الدول العربية والأفريقية، خاصة في منطقة القرن الأفريقي، بل وأن تقدم العربي بمثابة تهديد للأمن القومي الأفريقي، وتصوره بصورة الإرهابي الذي يسعى لنقل الفكر التكفيري لربوع القارة، وتعمل كذلك على تطويق الدول العربية بحزام موالي لإسرائيل، وتعمل على تعميق الخلافات بين الدول العربية والأفريقية، وتوسيع الوجود العسكري في هذه المنطقة، بما يمكنها من إمكانية الهجوم المباشر على خصومها في مضيق باب المندب، وهو ما يسهل لها الحصول على عمق استراتيجي في البحر الأحمر، وتأمين خطوطها البحرية والعسكرية[١].

ثالثاً: إيجاد قنوات اتصال استخبارانية:

تحاول إسرائيل من خلال علاقاتها بدول القرن الأفريقي أن تجد قنوات وأسس للتعاون وتبادل المعلومات بين الموساد وأجهزة الاستخبارات الأفريقية، ولذلك تم السماح لها بإقامة مراكز اتصال للموساد في العديد من تلك الدول، بهدف رصد التحرك المنافس، سواء كان التحرك عربياً أو غير عربياً، وتظل الأداة المخابراتية العلنية والسرية واحدة من أهم أدوات العمل الإسرائيلي في منطقة القرن الأفريقي، خاصة في ظل التهديدات الأمنية التى تجتاح تلك المنطقة، والتى ترى فيها إسرائيل فصة لتحقيق أهدافها التغلغلية، والتى تلعب فيها الأجهزة الاستخباراتية الدور الأساسي، ولهذا تحاول إسرائيل تدعيم هذا الدور في كافة الابعاد التى تسعى أن يكون لها دوراً فيها، وفي كافة الدول[٢].

---

١) د. محمد المصري، "نظرية الأمن الإسرائيلي"، موقع دنيا الوطن، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٥، الساعة ٩ص)، على الرابط:

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/07/14/139596.html

٢) نفسه.

رابعاً: القيام بعمليات تخص الأمن القومي الإسرائيلي أو لدول شريكة:

تستغل الدولة الإسرائيلية وجودها في منطقة القرن الأفريقي، حتى تستطيع القيام بعمليات استخباراتية، أو أمنية عسكرية، تحاول من خلالها حماية المصالح الإسرائيلية، أو أن تحقق أهداف دول شريكة لها، تحمى مصالحها، أو تنفذ أهدافها، من خلال القوات، أو التدريب، أو العمل الاستخباراتي، وهو ما يجعل الوجود والدور الإسرائيلي مهم لأمنها وأمن عدد من القوى الشريكة لها، والجدير بالذكر هنا أن إسرائيل استطاعت أن تبني قواعد جوية وبحرية في دول القرن الإفريقي، وبالطبع الغاية الرئيسية منها هو تهديد الأمن العربي والضغط على مصر والسودان، وقد تحولت جميع هذه القواعد إلى مراكز للتجسس على الدول العربية وعلى الدول الإفريقية نفسها، كما شكلت إسرائيل فرق عمل أمنية ومجموعات عسكرية بشكل مشترك مع عدد من الدول الإفريقية، الغاية منها هو تقوية نفوذ إسرائيل داخل الأجهزة العسكرية والأمنية الإفريقية عبر هذه المجموعات التي تضم الكثير من كبار الضباط الذين تلقوا تدريبهم في المعاهد العسكرية الإسرائيلية في إسرائيل أو تدربوا بواسطة مستشارين إسرائيليين في بلدانهم جميعهم يدينون بالولاء للمصالح الإسرائيلية، وهو ما حدث في إثيوبيا، وكينيا، وإريتريا[1].

خامساً: تأمين سوق رائج لبيع الأسلحة الإسرائيلية:

تعد منطقة القرن الأفريقي، مع ما تشهده من عدم استقرار، ونشاط للعديد من أجهزة الأمن العسكرية التابعة للكثير من الدول المحيطة، من المناطق التى تشكل سوقاً جاذباً للسلاح الإسرائيلي، خاصة في ظل شيوع مظاهر عدم الثقة بين مختلف الجماعات، وضعف أجهزة الحكم، والأجهزة الأمنية في تلك الدول، والدور الإسرائيلي في تفاقم أزمة عدم الثقة، والدفع لاستمرار مظاهر عدم الاستقرار والصراع، كافة هذه السمات، تحاول من خلال أجهزة الدولة الإسرائيلية تأمين سوقاً رائجاً للسلاح، سواء للحكومات، أو لبعض الحركات المتمردة الهادفة للإنفصال، بل واحياناً لجماعات متشددة لا تعارض الدور والمصالح الإسرائيلية والأمريكية في المنطقة.

---

١) أحمد محمود، "تطور العلاقات الإسرائيلية الأفريقية"، موقع قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٨، الساعة ١٠م)، على الرابط:

http://www.qiraatafrican.com/home/new/تطور_العلاقات_الإسرائيلية_الأفريقية

وهو ما تأكده بعض التقارير التى تشير إلى مبيعات إسرائيل للسلاح لإريتريا وإثيوبيا وجنوب السودان، وأن هذه المبيعات في تطور وزيادة مستمرة، وأن إسرائيل تهتم بمجال تطوير وصيانة الطائرات والأنظمة الجوية، ووسائل التنصت والحرب الالكترونية، والرادارات، والطائرات بدون طيار، خاصة التى تستخدم في مجال المراقبة، إضافة إلى الأسلحة والذخيرة الخفيفة، وتحاول إسرائيل اخفاء حقيقة أرقام مبيعات هذه الاسلحة، خاصة أن الشركات الخاصة الإسرائيلية تعمل إلى جانب الشركات الحكومية في هذا الصدد، ذلك في ظل سعي إسرائيل إلى تطوير علاقتها بالحكومات والميليشيات ورجال تجارة السلاح في منطقة القرن الأفريقي[١].

سادساً: المساهمة في الجهود الرامية لجعل القارة تحت سيطرة نفوذ دولي بعينه:

تهدف إسرائيل من خلال كافة التحركات الأمنية والعسكرية التى تقوم بها في منطقة القرن الأفريقي إلى تأمين استمرار منطقة القرن الأفريقي، بل والقارة الأفريقية، تحت تأثير وسيطرة نفوذ القوى المتحالفة مع الكيان الصهيوني، ذلك من خلال القيام بدور الوكيل في هذه المنطقة عن تلك القوى الدولية والإقليمية، وهو ما يسهم في جعل القارة في حالة التابع، وفي تحقيق أهداف إسرائيلية مرتبطة بمصالح وادوار دولية، وهو ما يجعل الدور الإسرائيلي مقبول ومسموح به من قبل العديد من القوى الدولية، بل ويلقى هذا الدور دعماً من بعض الدول، وهو ما يجعل الدور الأمني والعسكري الإسرائيلي بمثابة دور الوكيل في منطقة بها الكثير من مصالح القوى الدولية والإقليمية، ويجعل قوة ومنافسة وسيطرة النفوذ الإسرائيلي من الأهمية بمكان للدولة اليهودية، وللقوى الحليفة التى تحاول من خلال هذا الدور تحقيق أهداف التواجد، والسيطرة، والتغلغل، والتجسس، والمعرفة بأمور وتطورات الأوضاع الداخلية في منقطة القرن الأفريقي، التى تؤثر على الأمن القومي للعديد من الدول والاقاليم المحيطة[٢].

---

١) أحمد أبو حجر، "٤أهداف إسرائيلية من التوغل في القارة الافريقية"، موقع اليوم السابع، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٩، الساعة ١٠ص)، على الرابط:

www.youm7.com/story/2016/7/5/4-أهداف-إسرائيلية-من-التوغل-فى-إفريقيا-استقطاب-دول-القارة/٢٧٨٩١٢١

2) Daniel R. Mekonnen, Mussie Tesfagiorgis, "the Horn of Africa at the Brink of the 21st Century: Coping with Fragmentation, Isolation and Marginalization in a Globalizing Environment", **Paper Published at the Fourth European Conference on African Studies (ECAS4)** (Uppsala, Sweden: the Fourth European Conference on African Studies, 2011), pp. 19-44.

سابعاً: إضعاف أسس التضامن العربي الأفريقي المحتمل:

كما تحاول إسرائيل من خلال كافة انشطتها في القارة الأفريقي بشكل عام، ومنطقة القرن الأفريقي بشكل خاص، أن تعمل على أضعاف كافة أسس التضامن أو التقارب العربي الأفريقي الذي يمكن أن يظهر، من خلال تفاقم مظاهر عدم الثقة، أو تشويه صورة العربي، والعمل على استمرار المدركات السلبية بين الطرفين، واستغلال أحداث بعينها لتشويه العمل العربي، وتقديم نفسها في كافة المحافل أنها بديل، واستغلال أدواتها الاقتصادية والسياسية والثقافية في القيام بهذا الدور، ومنع التواصل والتضامن العربي الأفريقي، والتأثير على المصالح العربية في منطقة القرن الأفريقي، وما يتعلق من هذه المصالح بالأمن القومي العربي، وهو ما ظهر من موقف الدولة الإفريقية من نقل العاصمة الإسرائيلية إلى القدس، وإن كانت قد حاولت مصر التأثير على ذلك خلال رئأستها للاتحاد الإفريقي خلال العام ٢٠١٩، وعودة العلاقات العربية الإفريقية إلى حالة التضامن البيني[١].

ثامناً: تأمين البحرالأحمر كجزء من الأمن القومي الإسرائيلي:

تصنف أدبيات الأمن القومي الإسرائيلي منطقة القرن الأفريقي بأنها موقع استراتيجي أمنياً بالنسبة للدولة العبرية، وهو مجال حيوي للتحرك العسكري الإسرائيلي، وذلك حسب ما حدده "ارئيل شارون" رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، حين أكد أنه: "من أجل قيام دولتنا الكبرى ذات الهوية اليهودية نقية كقوة إقليمية في المنطقة يجب علينا تأمين دائرة مجال حيوي لها وهي المنطقة التى تضم مصالح إسرائيل الاستراتيجية، وتشمل جميع مناطق العالم العربي المتاخمة، وعلاوة على إيران وتركيا بالإضافة إلى شمال وشرق أفريقيا"، لذلك تضع إسرائيل البحر الأحمر، والدول المشاطئة له على أولويات قائمة استراتيجيتها الخارجية وعلاقاتها العسكرية والأمنية، وهي تتخوف من السيطرة العربية أو الإسلامية على هذا المضيق الرئيسي[٢].

---

١) د. حمدي عبد الرحمن، "المواقف الأفريقية من القضية الفلسطينية..الدوافع والمسارات"، موقع قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ١٩/١/٢٠١٩، الساعة ١٠ص)، على الرابط:

http://www.qiraatafrican.com/home/new/المواقف_الأفريقية_من_القضية_الفلسطينية_الدوافع_والمسارات

2) Turki Al Anazi, "Strategic Importance of the Red Sea", **USAWC Strategy Research Project** (Washington, D.C.; USA War College, 2001), pp. 2-8.

تاسعاً: مواجهة الإرهاب لحماية المصالح اليهودية:

تحاول إسرائيل من خلال الدور الأمني والعسكري مواجهة التهديدات التى تشكلها الحركات الجهادية، والتأثير على المصالح الإسرائيلية والاستثمارات اليهودية في دول القرن الأفريقي، خاصة بعد أن استهدف تنظيم القاعدة، والتنظيمات التابعة له، الكثير من الشركات والمصالح الإسرئيلية في دول القرن الأفريقي، وهو ما جعل تلك الدول مركز لنشاط واسع للموساد، خاصة إثيوبيا وكينيا، في محاولة لرصد كافة التطورات التى تحدث في القرن الأفريقي، والحد من انتشار الجماعات المتطرفة في هذه المنطقة، وهو ما يجعل الضغوط الأمنية التى تتعرض لها دول هذه المنطقة نتيجة استمرار نشاط حركة شباب المجاهين الصومالية المرتبطة بالتنظيمات الإرهابية الدولية، توفر بيئة خصبة للتنسيق بين إسرائيل ودول القرن الأفريقي حول تعزيز الجهود الأمنية لمواجهة تلك الجماعات، وهو ما بات يحتل موقع الصدارة في المباحثات الثنائية التى تجمع إسرائيل بدول منطقة القرن الأفريقي، وبحث سبل تعزيز التعاون الأمني، وهو ما يعنى أن عامل الإرهاب ظل محفزاً لإسرائيل لتوطيد علاقاتها مع دول المنطقة[١].

وتحاول إسرائيل من خلال هذه الجهود الترويج لما يشبه نموذج إسرائيلي لمواجهة الإرهاب، ومعه تصنف أنشطة المقاومة الفلسطينية بكونها عمليات إرهابية، وهو ما تحاول إسرائيل التأكيد عليه بصفة دائمة من أنها تساعد دول القرن الأفريقي لمواجهة الإرهاب الإسلامي، وهو ما دفع "أهورو كينياتا" الرئيس الكيني أن يقترح تشكيل كتلة من دول شرق أفريقيا "إثيوبيا واوغندا ورواندا وكينيا وجنوب السودان" لمواجهة الإرهاب، على أن تنضم لهم إسرائيل لمواجهة الجماعات الإسلامية المتطرفة، وأن يكون لإسرائيل الدور في تحديث جيوش الدول الأعضاء، من خلال التدريب، واستغلال امكانياتها الاستخباراتية، واجهزتها المكلفة بمكافحة الإرهاب، وهذا ما يفسر تدريب الخبراء الإسرائيليين لقطاعات من الجيش الكيني، وحصول الأخير على أسلحة ومعدات عسكرية، وهو ما تجلى في تأسيس مركز للموساد في مدينة مومباسا الكينية[٢].

---

١) فهد ياسين، "التغلغل الإسرائيلي في شرق أفريقيا: أهدافه ومخاطره"، **تقرير من مركز الجزيرة للدراسات** (الدوحة: مركز لجزيرة للدراسات، اغسطس ٢٠١٦)، ص ٦.

٢) محمود عبد الواحد، "مكافحة الإرهاب في شرق أفريقيا بين الوهم والواقع"، موقع السياسة الدولية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٩، الساعة ١١ص)، على الرابط:

http://www.siyassa.org.eg/News/15788.aspx

عاشراً: منع انتشار الإسلاميين وسيطرتهم على المنطقة:

من الأهداف المعلنة الأساسية التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال دورها وعلاقاتها مع دول القارة الأفريقية بشكل عام، ودول منطقة القرن الأفريقي بشكل خاص، هو أن تمنع انتشار الجماعات الإسلامية المتشددة في دول منطقة القرن الأفريقي، لمنع استهداف هذه الجماعات للمصالح الإسرائيلية أو شركاءها، وإن كانت هذه الجماعات تضع إسرائيل كعدو بعيد، وتستهدف في البداية نظم الحكم وأجهزة دولها لإقامة الدولة الإسلامية بحسب زعمهم، وهو ما يصب أيضاً في مصلحة إسرائيل، والدول التى تبيع الاسلحة لهذه الجماعات، وتحصل على البترول أو الماس، وخاصة أن الدولة الإسرائيلية في عام ٢٠١٦ تبوأت المرتبة الخامسة بين مصدري الماس بحصة تتجاوز ٦.٧٪ من السوق العالمي، والمركز الرابع كمستورد عالمي لهذا المعدنا بحصة تتجاوز ٧.٦٪، وتشير الأرقام الحكومية إلى أن صادرات الماس في عام ٢٠١٧ بلغت نحو ٧.٣ مليار دولار، وتشير بعض التقارير إلى أن استراتيجيات الحصول على الموارد المنجمية من أفريقيا مريبة، وتشير إلى ضلوع إسرائيل في بيع أسلحة لجماعات أو تنظيمات أو عصابات مقابل الحصول على هذه المعادن، وهو ما يشكك في مصداقية الأهداف التى تعلنها الدولة الإسرائيلية[١].

أحدى عشر: منافسة القوى الإقليمية عسكرياً:

تعمل الدولة الإسرائيلية من خلال خططها واستراتيجاتها على المحافظة على قدرات الدولة السملة، وتعظيم مكانتها الإقليمية، ذلك من خلال تفعيل خطتي "إسرائيل حتى ٢٠٢٨" والتى قامت على أسس الخطة "تيفن ٢٠١٢" لتطوير المؤسسة العسكرية، والتى تحاول منع ظهور منافسين آخرين لها في المنطقة، خاصة دول مثل إيران، وتركيا، ومصر، والسعودية، أو دول خليجية أخرى، وهو ما دفعها إلى تطوير علاقاتها بدول القرن الأفريقي، والتى تسهم في المحافظة على التفوق في ميزان القوى الإقليمي، خاصة أن إسرائيل بدأت التعامل مع الدول العربية والقوى الإقليمية وفقاً لقدراتها الردعية، وليس قواتها الهجومية أو نواياها الحربية، وهو ما جعل العلاقات مع دول القرن الأفريقي أحد أدوات إسرائيل في الاحتفاظ بمركز الثقل وبدور أكبر لها أمنياً وعسكرياً في المحيط الإقليمي، وهو ما يفسر تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي "أفيغدور ليبرمان" في مارس من العام ٢٠١٨، حين أكد: "إن الفرص في أفريقيا لا تحصى، وإسرائيل تمتلك ما تحتاج له إفريقيا في مجال الزراعة والصحة والأمن...في كل دلوة ندخل إليها ونقيم تحالفات وتعاون، نطرد إيران منها ونعزلها أكثر"[٢].

---

١) عزرا ناهماد، "عودة إسرائيل الظافرة إلى أفريقيا"، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/١٢، الساعة ٩ ص)، على الرابط:
www.orientxxi.info/magazine/article2005

٢) حسين خلف موسى، "محددات سياسة الأمن القومي الإسرائيلي في ضوء مرحلة ما بعد الثورات العربية"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦)، ص ص ٦-٨.

المطلب الثالث: أدوات وطبيعة دور إسرائيل الأمني والعسكري في القرن الأفريقي

تحاول الدولة الإسرائيلية العمل على تحقيق الأهداف السابق الإشارة لها، وتضطلع للقيام بدور مؤثر، وأن يكون لها دور بارز في منطقة القرن الأفريقي، من خلال العديد من الأدوات والسياسات التى تحقق مصالحها، ويمكن إجمال تلك الأدوات في النقاط الآتية:

أولاً: الاتفاقيات والمعاهدات مع دول القرن الأفريقي:

نجحت الدولة الإسرائيلية في أن تجد لها دوراً في منطقة القرن الأفريقي من خلال عدد كبير من الاتفاقيات التى تتعلق بالابعاد الأمنية والعسكرية، وأن تحصل على مناطق نفوذ في هذه المنطقة ترتيباً على تلك الاتفاقيات والعاهدات، التى تعلقت بحصول إسرائيل على تسهيلات عسكرية، أو الحق في إقامة قواعد عسكرية، أو العمل على تسليح، أو تدريب قطاعات أمنية داخل تلك الدول، حيث إن إسرائيل ترتبط مع إريتيريا باتفاقية أمنية تم توقيعها في العام ١٩٩٦، حصلت بموجبها إريتيريا على مساعدات عسكرية ضخمة، وحصلت إسرائيل على تسهيلات لتعزيز وجودها في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وأصبح لها تواجد عسكري في مضيق باب المندب، وهذا هو الحال مع إثيوبيا، بتوقيع العديد من معاهدات التسليح، والتدريب، والتعاون العسكري، الذي يضمن لإسرائيل الدور الأمني والعسكري في هذه المنطقة، ويضمن لإثيوبيا التفوق والتأثير على الأوضاع الأمنية والعسكرية في منطقة القرن الأفريقي، وهو ما يحقق الأهداف التى تسعى لها الدولتان، وكذلك مع كينيا، حين تم التوقيع في عام ٢٠١٧ على اتفاقية لتدريب وحدات خاصة من القوات العسكرية، لمكافحة الإرهاب الذي مصدره الدول المسلمة المحيطة[١].

ثانياً: الشركات الإسرائيلية:

ويمكن التمييز في هذا الاطار بين نوعين من الشركات، شركات المرتزقة، ومن أبرزها شركة "ليف دان" وشركة "الشبح الفضي" التى تتولى تدريب وتسليح ميليشيات تنتمى لعرق معين التى تتولى حماية الرؤساء والشخصيات السياسية المهمة.

---

١) آريه عوديد، عمرو زكريا خليل (ترجمة)، **إسرائيل وأفريقيا: العلاقات الإسرائيلية الأفريقية** (القاهرة: المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع، ٢٠١٤)، ص ص ٥٢٧-٥٤٠.

وهناك شركات تتولى تنفيذ مخطط إسرائيل في أفريقيا، وأهمها شركة "يول باريلي" للأسرار، وشركة "أباك" وهما شركتان فرنسيتين مملوكتان لعناصر يهودية، تعملان في الجوانب الأمنية، وهذه الشركات تعمل بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية والمخابراتية الإسرائيلية، وهي التى تسعى لتحقيق الأهداف الأمنية العامة التى تحاول إسرائيل القيام بها داخل القرن الأفريقي، ولذلك تسعى هذه الشركات للقيام بدور واسع، ومؤثر، وفعال ومتغلغل داخل دول القرن الأفريقي، وتستغل تلك الدول الوضع الأمني في الكثير من دول القرن في مد تأثيرها، وخاصة في ظل إنشغال القوى الإقليمية والدولية بالكثير من الأحداث التى تموج بها المنطقة، خاصة بعد التغير السياسي الذي شهده السودان في ابريل من العام ٢٠١٩[١].

ثالثاً: إدامة واستمرار الصراعات داخل وبين دول القرن الأفريقي:

تتبنى إسرائيل سياسة تهدف إلى إشعال وتصعيد الصراعات في إفريقيا بهدف إسقاط أنظمة تسعى للتقارب مع الدول العربية أو يمكن أن تضر بالمصالح الإسرائيلية، وتستطيع وقتها إن تحكم السيطرة السياسية والاقتصادية على دول المنطقة، وفي نفس القوت تتعاون مع الانظمة السياسية الموالية لها، وتعمل على توسيع دور وتأثير حركات المعارضة في الدول غير الموالية لإسرائيل لنشر حالة عدم الاستقرار السياسي، وهو ما يحقق أهدافها من خلق دور أمني وعسكري لها، أو زيادة مبيعات الاسلحة لهذه الجماعات المتمردة[٢].

وتقدم "إسرائيل" المعونة العسكرية لعدد من أنظمة الحكم الأفريقية، سواءٌ فيما يخص توفير السلاح أو التدريب العسكري، وطبقاً لتقارير الأمم المتحدة، هناك تغلغل للشركات "الإسرائيلية" في التجارة غير المشروعة للسلاح، فقد ثبت تورطها في عقد صفقات لشراء الأسلحة مما يساعد على استمرار الصراعات والحروب الأهلية في أفريقيا وإطالة أمدها والذي يعود بالنفع على هذه الشركات.

---

١) د. محمد عاشور، "ثمار شد الاطراف: سياسة إسرائيل تجاه أفريقيا"، **ورقة منشورة في مركز الحضارة للدراسات والبحوث** (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠١٧)، ص ص ١-١٢.

٢) غازي دحمان، "التغلغل الصهيوني في أفريقيا ومخاطره على الأمن العربي"، المركز الفلسطيني للإعلام، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٣٠، الساعة ١٠م)، على الرابط:

www.palinfo.com/news/2008/6/28/التغلغل_الصهيوني_في_أفريقيا_ومخاطره_على_الأمن_العربي

وقد استندت استراتيجية "إسرائيل" في بناء علاقات التعاون العسكري مع الدول الأفريقية إلى مجموعة من المبادئ والركائز الأساسية تتمثل في التأهيل النفسي للقبول بالوجود "الإسرائيلي"في المنطقة لتوفير مناخ يتيح قناعة القيادات الأفريقية بضرورة وأهمية الاعتماد على "إسرائيل" في إعداد وتأهيل كوادرهم العسكريين، وبناء وتنظيم أجهزتهم الأمنية من منطلق مبدأ المصالح المشتركة، خاصةً في ظل تقدمها العلمي، وعلاقاتها المتميزة بالقوي الدولية، وخبرتها الواسعة في العمل العسكري(١).

رابعاً: تجارة السلاح مع دول القرن الأفريقي:

والتى تتم بصورة شرعية احياناً، أي من خلال اتفاقيات وتجارة شرعية بين إسرائيل وعدد من الدول في القرن الأفريقي، أو تجارة غير مشروعة من خلال الشركات والوكلاء الذين يعلمون على نقل تلك الاسلحة إلى دول، أو إلى جماعات متمردة، أو ميليشيات إرهابية احياناً، وما يحرك إسرائيل في هذا الأمر هو سعيها لتحقيق أهدافها وفقط، فهي التى ساعدت الحركات المتمردة في جنوب السودان على طول تاريخ الحرب الانفصالية، وكان يحركها في ذلك موقفها من النظام السوداني، وهي التى تزود قوات الأمن الإثيوبية والكينية بالكثير من الاسلحة الخفيفة والثقيلة، وهي التى تبادل تلك الاسلحة ببعض المعادن النفيسة مع بعض الجماعات، سواء في القرن الأفريقي، أو في اقاليم القارة الأفريقية المختلفة، وهو ما يمكنها من التأثير والقيام بدور أمني وعسكري(٢).

هذا إضافة إلى اتفاقيات التعاون والتدريب التى تتضمن في الغالب بنود تتعلق بتجارة وتوفير تسليح لبعض الأجهزة العسكرية والأمنية، وهو ما يجعل هذه الأجهزة مخترقة بشكل كبير، وتعتمد بصورة اساسية على السلاح الإسرائيلي، الذي بات يشكل أحد مصادر الدخل القومي الإسرائيلي(٣).

خامساً: إختراق الأجهزة الأمنية لدول القرن الأفريقي:

ثم يأتي التركيز على اختراق الأجهزة الأمنية للدول الأفريقية من خلال بناء علاقات قوية مع المؤسسات العسكرية واستقطاب قياداتها وتلقيهم تدريباتٍ خاصة، لربط المنظومة العسكرية لدول القارة بالمنظومة العسكرية "الإسرائيلية".

---

١) نفسه.

٢) د. محمد عاشور، **مرجع سبق ذكره**، ص ٥.

٣) نفسه.

بالإضافة إلى الاهتمام والتركيز على الحراسات الخاصة بالقيادات الأفريقية وتزويدها بأحدث المعدات الخاصة لحماية الشخصيات الهامة وتدريبهم في المراكز "الإسرائيلية" سعياً منها للفت أنظار تلك القيادات، وبناء الثقة معهم من خلال الترويج لفكرة حرص "إسرائيل" على حياتهم الخاصة وعلى أمنهم وأمن عائلاتهم(١).

وهى الأداة الاستخباراتية الأساسية التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال التعاون مع الدول الأفريقية في مجال التدريب وتبادل المعلومات، والتسليح، فهي تسعى إلى تجنيد عدد من رجال الأجهزة الأمنية، سواء العسكرية أو الشرطية، الذين يحققوا أهداف إسرائيل في أجهزتهم، وهي أهداف معلوماتية، أو أهداف تتعلق بالتنسيق، وأهداف تتعلق بتغيير الصورة عن الدولة الإسرائيلية، وأخرى تتعلق بتغيير العقيدة والتوجهات الأمنية على ذات النهج الصهيوني، وأن ترى الأجهزة الشرطية والعسكرية في الدولة الإسرائيلية أنها الدولة الصديقة، وأن العرب والمسلمين هم الأعداء، وأن تنحاز لإسرائيل في قضيتها مع الدول العربية، ويبدو أن إسرائيل تنجح جزئياً في تحقيق هدف تحييد الدول الأفريقية، وعلى رأسها دول القرن الأفريقي، ولا يصبح لهذه الدول موقف من القضايا العربية الأفريقية، ولا أدل على ذلك من موقف إسرائيل من الانقلاب الفاشل على هيلاسلاسي في نهاية السبعينيات من القرن الماضي، وتدريبها لمعظم قادة القوات وأجهزة أمن جنوب السودان، وكينيا، وإثيوبيا، وهو ما يسهل لها إختراق تلك الأجهزة، أو أن يكون ولاء قادة هذه الأجهزة إلى إسرائيل(٢).

سادساً: الحراسات الخاصة بالشخصيات الهامة في دول القرن الأفريقي:

تتولى عدد من الشركات الإسرائيلية، أو أجهزة أمنية إسرائيلية أمن وحراسة العديد من الشخصيات الهامة، سياسياً وأمنياً، في العديد من دول القرن الأفريقي، وهو ما يجعل قرار تلك الشخصيات يتأثر بالجهات التى توفر له أمنه وسلامته، أو أن تكون حراسة تلك الشخصيات من قبل المجموعات التى تلقت التدريب في إسرائيل، وهو ما يحقق ذات الهدف، وهو ما يظهر في حالة جنوب السودان، وكينيا، وإثيوبيا، فمعظم حراسة قادة هذه الدول، إما شركات يهودية، أو من المجموعات التى تلقت التدريب في إسرائيل.

---

١) حسن العاصي، "الجيوش الأفريقية في العهدة الإسرائيلية"، موقع ديوان العرب، (تمت الزيارة ٢٠١٩/٢/١، الساعة ١٠ص)، على الرابط:

http://www.diwanalarab.com/spip.php?article50940

٢) نفسه.

وتأثرت عقيدتها العسكرية بالتوجهات والأهداف الإسرائيلية، وهو ما يمكن أن يمهد السبيل لإسرائيل للتأثير على تلك القيادات والشخصيات الهامة في تحقيق أهدافها وتطلعاتها داخل دول القرن الأفريقي، والتأثير على مواقف وتوجهات هذه الشخصيات تجاه القوى المنافسة أو الرافضة للتواجد والدور الإسرائيلي في القرن الأفريقي، والتعديل أو التأثير على مدركات هذه الشخصيات تجاه المحيط دول الجوار، وهو ما سيسهم في تحقيق تطلعات وأهداف الدولة الإسرائيلية[١].

سابعاً: السياسات المزدوجة: دعم حكومة ومعارضة أو متمردين:

تحاول إسرائيل كذلك تحقيق أهدافها وخلق دور أمني وعسكري لها في منطقة القرن الأفريقي من خلال القيام بدور ودعم واضح لكافة أطراف التفاعل السياسي داخل هذه الدول، سواء كانت تلك الأطراف تنتمي إلى الحكومة والنظام الحاكم، أو من المعاضة التى تصل لكونها حركات متمردة في بعض الأحيان، وهو ما يحقق لها فائدة مزدوجة، وتكون تلك العلاقات على مستوى الدعم، والتدريب، وتوفير الاسلحة، والدعم المعلوماتي، والاستخباراتي، وتوفير داعم إقليمي لها، وهو ما يحقق لها العديد من الفوائد، ويعدد ابعاد دورها الذي تسعى إلى القيام به في علاقتها مع تلك الدول والجماعات المعارضة أو المتمردة، وهو ما ظهر في حالة جنوب السودان، وإريتريا، وحتى في الصومال[٢].

لذلك تتعامل إسرائيل بحالة من الازدواجية في مجال الدعم العسكري، فهي تدعم النظم الأفريقية عسكرياً وكذلك عناصر المعارضة الداخلية لتلك النظم كضمان لاستمرار علاقاتها بالمنطقة في حال تغير الأوضاع السياسية فيها ووصول المعارضة للحكم في يومٍ ما، ويتم ذلك الدعم بصورة غير رسمية عن طريق شركات (ليف – دان) التابعة للموساد والمتخصصة في مجالات التدريب والحماية الأمنية[٣].

---

١) أحمد محمود، "تطور العلاقات الإسرائيلية الأفريقية"، موقع قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/٢/١٠، الساعة ٩ص)، على الرابط:

http://www.qiraatafrican.com/home/new/تطور_العلاقات_الإسرائيلية_الأفريقية

٢) سيدي أحمد ولد الأمير، "العلاقات الإسرائيلية الأفريقية..الخروج من السر إلى العلن"، **تقرير منشور في مركز الجزيرو للدراسات** (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٧)، ص ص ٤-٨.

٣) **المرجع السابق**، ص ص ٥-٧.

ثامناً: تسهيلات بحرية في موانىء دول القرن الأفريقي:

تحاول الدولة الإسرائيلية تبنى مختلف السياسات والأدوات التى تضمن أمن البحر الأحمر، وتحافظ على دورها وثقلها في هذه المنطقة، وذلك من خلال التعاون والاتفاقيات الثنائية التى تضمن لها تسهيلات في موانىء تلك المنطقة، خاصة في إريتريا وجيبوتي والصومال وكينيا، وهو ما يحقق لها الدور والوجود في تلك الموانىء الرئيسية الهامة المؤثرة في أمن المنطقة، وحصلت من خلال تلك العلاقات على تسهيلات في العديد من الموانىء البحرية، بل وتم السماح لها بانشاء منصات لجمع المعلومات في هذه المنطقة الحيوية، والتى تعد من أهم محددات الأمن القومي الإسرائيلي، وهو ما ظهر في علاقة إسرائيل بإريتريا، والمنافسة بين العديد من الشركات الإسرائيلية وشركات عالمية وإقليمية تعمل في مجال تطوير الموانىء، كشركة دبي العالمية، وسعي إسرائيل للحصول على نصيب في تطوير واستخدام موانىء دول القرن الأفريقي، وهو ما يعد من الأهداف المحققة للأمن القومي الإسرائيلي، ويخدم تطلعات القوى المرتبطة بها، وهو يتجلى في علاقات إسرائيل بكل من إريتريا، والصومال، وكينيا، والموقف الإسرائيلي من ادعاءات القرصنة التى كانت على السواحل الصومالية، وهي جميعها سياسات كان هدفها الوصول لمكانة ودور في الموانىء التى تطل على البحر الأحمر وتؤثر على الأمن القومي للأقاليم المحيطة[١].

تاسعاً: الانشطة الاستخباراتية في دول القرن الأفريقي:

تمتلك الدولة الإسرائيلية أحد أجهزة الاستخبارات المتقدمة في الشرق الأوسط، وتسعى إلى استغلال قدرة هذا الجهاز على تحقيق أهداف أمنية وعسكرية واستخباراتية تضمن لها دوراً أمنياً وعسكرياً في منطقة القرن الأفريقي، وذلك من خلال التعاون الشرعي الرسمي مع الأجهزة الأمنية والاستخباراتية في دول القرن الأفريقي، أو من خلال تجنيد عناصر من هذه الأجهزة الأفريقية، أو من خلال التسهيلات التى يحصل عليها الموساد في الدول الأفريقي، أو من خلال الأنشطة غير الرسمية وغير الشرعية التى تتم داخل دول القرن الأفريقي، أو من خلال التدريب والتعاون مع الأجهزة الاستخباراتية التابعة لدول القرن الأفريقي، وهو ما يجعل للدولة الإسرائيلية تأثيرات أمنية ومخباراتية على الأوضاع داخل دول القرن الأفريقي.

---

١) سمية عبد القادر شيخ محمود شولي، "موانىء القرن الأفريقي: ساحة جديدة للتنافس الدولي"، **تقرير منشور في مركز الجزيرو للدراسات** (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر ٢٠١٦)، ص ص ٣-٥.

ويوضح الأهداف التى تسعى لها الوحدات الرسمية وغير الرسمية في علاقاتها بأجهزة الأمن والاستخبارات في دول منطقة القرن الأفريقي، وهو ما جعل الموساد يؤسس له مكاتب داخل دول هذا الاقليم(١).

في النهاية يمكن القول، أن الدولة الإسرائيلية تتبنى العديد من الآليات والأدوات التى نجحت من خلالها في اختراق القرن الأفريقي والتغلغل في مضمون وتوجهات السياسات الأمنية والعسكرية للكثير من دول هذه المنطقة، وهو ما جعل إسرائيل تهتم بتطوير مضمون وابعاد علاقاتها بدول القرن الأفريقي، وتسعى لإيجاد سبل التعاون والتفاعل، خاصة منذ بداية الألفية الثالثة، مع ما تواجهه هذه الدول، والتحديات التى تنبع من دول واقاليم الجوار، وتراجع الدور العربي، والتحديات التى تواجه القوى الإقليمية، كافة تلك المتغيرات شكلت البيئة المناسبة لتطوير إسرائيل علاقاتها بدول القرن القرن الأفريقي، وذلك بهدف تحقيق عدد من الأهداف والمصالح، وأن يصبح لها الدور المؤثر في التطورات والسياسات الداخلية في هذا الاقليم، وسعت لاستخدام عدد من الأدوات الأمنية والعسكرية للقيام بهذا الدور بابعاده العسكرية والأمنية.

١) المرجع السابق، ص ص ٣-٧.

قائمة المراجع

أولاً: مراجع باللغة العربية:

(أ) الكتب:

١. إبراهام روتام، محمد العراف (ترجمة)، **عقيدة عسكرية لمفهوم متجدد للأمن القومي: استراتيجية شاملة لإسرائيل** (القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠٠١).

٢. آريه عوديد، عمرو زكريا خليل (ترجمة)، **إسرائيل وأفريقيا: العلاقات الإسرائيلية الأفريقية** (القاهرة: المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع، ٢٠١٤).

٣. النور حمد وأخرين (محررون)، **العرب والقرن الأفريقى: جدلية الجوار والانتماء** (بيروت: المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣).

(ب) مقالات:

١) د. حمدي عبد الرحمن، "تأثير الفراشة..وإعادة اختراق إسرائيل لدول حوض النيل"، **قراءات أفريقية** (لندن: المنتدى الإسلامي، العدد ١٤، فبراير ٢٠١٥).

٢) محمود محارب، "إسرائيل والقرن الأفريقي: العلاقات والتدخلات"، **سياسات عربية** (القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد ٣، يوليو ٢٠١٣).

(ج) اوراق بحثية:

١. إحسان مرتضى، "الأمن العربي وإشكاليات التغلغل الإسرائيلي في أفريقيا"، **ورقة منشورة في مجلة جيش الدفاع الوطني اللبناني** (بيروت: جيش الدفاع الوطني اللبناني، ٢٠٠١).

٢. المركز الديمقراطي العربي، "التدخل الإسرائيلي في أفريقيا وتأثيره على الأمن القومي المصري: دراسة حالة إثيوبيا"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٨).

٣. بوفراش يعقوب، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول القارة الأفريقية"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، فبراير ٢٠١٥).

٤. بلال المصري, "قمة أفريقيا– إسرائيل في توجو: المغزي والنتائج المتوقعة"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦).

٥. حسين خلف موسى، "محددات سياسة الأمن القومي الإسرائيلي في ضوء مرحلة ما بعد الثورات العربية"، **ورقة منشورة في المركز الديمقراطي العربي** (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦).

٦. د. محمد عاشور، "ثمار شد الاطراف: سياسة إسرائيل تجاه أفريقيا"، **ورقة منشورة في مركز الحضارة للدراسات والبحوث** (القاهرة: مركز الحضارة للدراسات والبحوث، ٢٠١٧).

(د) رسائل علمية

١. ميلود وضاحي، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دول إفريقيا: دراسة حالة القرن الأفريقي ١٩٩٠-٢٠١٣"، **رسالة ماجستير** (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضيف، ٢٠١٥).

٢. نائل عيسى جودة شقلية، "السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه منطقة القرن الأفريقي وأثرها على الأمن القومي العربي ١٩٩١-٢٠١١"، **رسالة ماجستير** (غزة: جامعة الأزهر، ٢٠١٣).

(هـ) تقارير:

١. سمية عبد القادر شيخ محمود شولي، "موانىء القرن الأفريقي: ساحة جديدة للتنافس الدولي"، **تقرير منشور في مركز الجزيرو للدراسات** (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر ٢٠١٦).

٢. سيدي أحمد ولد الأمير، "العلاقات الإسرائيلية الأفريقية..الخروج من السر إلى العلن"، **تقرير منشور في مركز الجزيرو للدراسات** (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٧).

٣. فهد ياسين، "التغلغل الإسرائيلي في شرق أفريقيا: أهدافه ومخاطره"، **تقرير من مركز الجزيرة للدراسات** (الدوحة: مركز لجزيرة للدراسات، اغسطس ٢٠١٦).

(و) مصادر من الانترنت:

١. أحمد أبو حجر، "٤أهداف إسرائيلية من التوغل في القارة الافريقية"، موقع اليوم السابع، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٩، الساعة ١٠ص)، على الرابط:
www.youm7.com/story/2016/7/5/4-أهداف-إسرائيلية-من-التوغل-فى-إفريقيا-استقطاب-دول-القارة/٢٧٨٩١٢١

٢. أحمد محمود، "تطور العلاقات الإسرائيلية الأفريقية"، موقع قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٨، الساعة ١٠م)، على الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/home/new/تطور_العلاقات_الإسرائيلية_الأفريقية

٣. جميل الذيابي، "رئيس جيبوتي للحياة: إسرائيل حاولت التقرب ولم نقبل، ولعبنا دوراً مهماً في الصومال، وإتفاق أمني قريب مع السعودية"، جريدة الحياة اللندنية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/١٦، الساعة ٩ص)، على الرابط
http://www.alhayat.com/article/665085

٤. حسن العاصي، "الجيوش الأفريقية في العهدة الإسرائيلية"، موقع ديوان العرب، (تمت الزيارة ٢٠١٩/٢/١، الساعة ١٠ص)، على الرابط:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article50940

٥. د. حمدي عبد الرحمن، "المواقف الأفريقية من القضية الفلسطينية..الدوافع والمسارات"، موقع قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/١٩، الساعة ١٠ص)، على الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/home/new/المواقف_الأفريقية_من_القضية_الفلسطينية_الدوافع_والمسارات

٦. د. سامي صبري عبد القوي، "إسرائيل والصومال بين التغلغل ومحاولات التطبيع"، قراءات أفريقية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٣، الساعة ١٠ م)، على الرابط:
http://www.qiraatafrican.com/home/new/إسرائيل_والصومال_بين_التغلغل_ومحاولات_التطبيع

٧. سيدي أحمد ولد الأمير، "دبلوماسية السلاح ومنظومات التجسس: هكذا تخترق إسرائيل عمق أفريقيا" موقع ميدان، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٢، الساعة ٩ م)، على الرابط:
https://midan.aljazeera.net/reality/politics/2019/1/20

٨. عبد العزيز إبراهيم، "بعد شهرين من أزمة يهود الفلاشا..رئيس وزراء إثيوبيا بإسرائيل"، موقع العربية (تمت الزيارة ٢٠١٩/١٢/٢، الساعة ٨ص)، على الرابط:
www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/2019/09/01/بعد-شهرين-من-أزمة-الفلاشا-رئيس-وزراء-إثيوبيا-بإسرائيل

٩. عزرا ناهماد، "عودة إسرائيل الظافرة إلى أفريقيا"، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/١٢، الساعة ٩ ص)، على الرابط:
www.orientxxi.info/magazine/article2005

١٠. غازي دحمان، "التغلغل الصهيوني في أفريقيا ومخاطره على الأمن العربي"، المركز الفلسطيني للإعلام، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٣٠، الساعة ١٠م)، على الرابط:

www.palinfo.com/news/2008/6/28/
التغلغل_الصهيوني_في_أفريقيا_ومخاطره_على_الأمن_العربي

١١. د. محمد المصري، "نظرية الأمن الإسرائيلي"، موقع دنيا الوطن، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٥، الساعة ٩ص)، على الرابط:

https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2009/07/14/139596.html

١٢. محمود عبد الواحد، "مكافحة الإرهاب في شرق أفريقيا بين الوهم والواقع"، موقع السياسة الدولية، (تمت الزيارة ٢٠١٩/١/٢٩، الساعة ١١ص)، على الرابط:

http://www.siyassa.org.eg/News/15788.aspx

ثانياً: مراجع باللغة الانجليزية:

(A) Articles

1. Degang Sun,Yahia H. Zoubir, "The Eagle's Nest in the Horn of Africa: US Military Strategic Deployment in Djibouti", **Africa Spectrum** (Berlin: GIGA German Institute of Global and Area Studies, Vol. 51, No. 1, 2016)
2. Michael B. Bishk, " Israel and Ethiopia: From a Special to a Pragmatic Relationship", **Conflict Quarterly** (London: Wiley Online Liberally, Spring 1994).

(B) Papers & Theses:

1. Baroness Caroline Cox, "The Strategic Importance of South Sudan", **Paper Published by Tel Aviv University** (Tel Aviv: Tel Aviv University, 2013).
2. Daniel R. Mekonnen, Mussie Tesfagiorgis, "the Horn of Africa at the Brink of the 21st Century: Coping with Fragmentation, Isolation and Marginalization in a Globalizing Environment", **Paper Published at the Fourth European Conference on African Studies (ECAS4)** (Uppsala, Sweden: the Fourth European Conference on African Studies, 2011)
3. Hassan Yussuf Muhammed, " The Role of External Actors in the Somali Conflict A Post 2000 Study of Kenya and Ethiopia's Involvement In the Conflict of Somalia", **Thesis for Bachelor's Degree** (Malmö, Sweden: Malmö University, 2014).
4. Social Research and Development Institute, "Somaliland Statehood, Recognition and the Ongoing Dialogue with Somalia", **Somaliland Development Series 3** (Hargeisa: Social Research and Development Institute, 2013).

5. Turki Al Anazi, "Strategic Importance of the Red Sea", **USAWC Strategy Research Project** (Washington, D.C.; USA War College, 2001).

(C) Reports:

1) Institute of Jewish Policy Research, "Ethiopian Immigrants in Israel: Experience and Prospects", **Report No. 1 from Institute of Jewish Policy Research** (Tel Aviv: Institute of Jewish Policy Research, 2012).

دول الخليج العربي في القرن الأفريقي تنافس قاد لصراع

أمينة العريمي
باحثة إماراتية في الشأن الأفريقي دولة الإمارات العربية المتحدة

ملخص:

قبل عام ٢٠١٥ كانت دول مجلس التعاون الخليجي ترى أن حضورها الإقتصادي في أفريقيا عامة وفي دول القرن الأفريقي خاصة يتفوق على حضورها السياسي، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل أهمها :عدم الإستقرار السياسي لبعض الدول الأفريقية، وبروز الصورة السلبية والمغلوطة والغيرعادلة في الذهن الخليجي عن الدول الأفريقية مما أعاق العمل السياسي الخليجي في الساحة الأفريقية، فالسياسة الخليجية وإن كانت قد نجحت إلى حد ما في تدشين بعض المشاريع الإستثمارية في دول القرن الأفريقي والتي ساعدت في إنعاش جزئي لتلك الدول إقتصادياً، إلا أن دول مجلس التعاون الخليجي لم توظف تلك الإستثمارات بما يخدم مصالحها السياسية إلا بعد أن وجدت نفسها على خط المواجهة العسكرية مع طهران في جنوب الجزيرة العربية (جمهورية اليمن).

بالرغم من إختلاف الرؤى السياسية بين دول مجلس التعاون الخليجي إلا أن إندلاع عاصفة الحزم فرضت على دول الخليج العربي في فترة من الفترات ضرورة العمل والتنسيق ككيان واحد لحماية أمنها القومي الذي بات على المحك، وكان يراودني حينها ذات السؤال الذي كان يراود المواطن الخليجي هل ستستمر دول الخليج العربي في القرن الأفريقي تعمل ككيان واحد وهي تعيش أزمة ثقة بسبب إختلاف الرؤى السياسية بين أعضائها خاصة أن هناك دول عربية تعول على الدور الخليجي في القرن الأفريقي لدعم ملفها الأمني (المملكة المغربية وقضية الصحراء الغربية)، ودول عربية تنظر بعين القلق من التواجد الخليجي في القرن الأفريقي (القاهره).

لقد تناولت العلاقات الخليجية بالقرن الإفريقي في دراسات علمية منشوره في الصحافة الخليجية والأفريقية منذ عام ٢٠١٥، ودائماً ما كنت أناقش جذور تلك العلاقات في طور تخصصي للعلاقات الخليجية الأفريقية والتي كثيراً ما كنت أؤكد على أن حضورها الإقتصادي يتفوق على حضورها السياسي ولكن اليوم أصبح الحضور الخليجي على المستويين الإقتصادي والسياسي يسير بشكل متوازي ومتسارع ولكن في أي إتجاه وبأي إستراتيجية ؟

مرت أحداث جسام على منطقة القرن الإفريقي ساهمت بشكل دقيق في إرتفاع موجة التنافس الخليجي على تلك المنطقة والذي وصل إلى مستويات غير مسبوقة بين أعضائه فتخلى ذلك التنافس عن معناه وبات اليوم أشبه بصراعاً وجودياً أصاب أبناء الخليج العربي قبل منظومتهم الخليجية في مقتل.

مقدمة:

تُدرك دول مجلس التعاون الخليجي أن حضورها الإقتصادي في أفريقيا عامة وفي دول القرن الأفريقي خاصة يتفوق على حضورها السياسي، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل أهمها:عدم الإستقرار السياسي لبعض الدول الأفريقية، وبروز الصورة السلبية والمغلوطة والغيرعادلة في الذهن الخليجي عن الدول الأفريقية مما أعاق العمل السياسي الخليجي في الساحة الأفريقية، فالسياسة الخليجية وإن كانت قد نجحت إلى حد ما في تدشين بعض المشاريع الإستثمارية في دول القرن الأفريقي والتي ساعدت في إنعاش جزئي لتلك الدول إقتصادياً، إلا أن دول مجلس التعاون الخليجي لم توظف تلك الإستثمارات بما يخدم مصالحها السياسية إلا بعد أن وجدت نفسها على خط المواجهة العسكرية مع طهران في جنوب الجزيرة العربية.

بالرغم من إختلاف الرؤى السياسية بين دول مجلس التعاون الخليجي إلا أن عاصفة الحزم فرضت عليها ضرورة العمل والتنسيق ككيان واحد لحماية أمنها القومي الذي بات على المحك، ويبقى السؤال هنا هل ستستمر دول الخليج العربي في القرن الأفريقي تعمل ككيان واحد؟ خاصة أن هناك دول عربية تعول على الدور الخليجي في القرن الأفريقي لدعم ملفها الأمني (المملكة المغربية وقضية الصحراء الغربية)، ودول عربية تنظر بعين القلق من التواجد الخليجي في القرن الأفريقي (القاهره).

يتباين الحديث عن العلاقات الخليجية الأفريقية بشكل عام والعلاقات الخليجية مع دول القرن الأفريقي (أثيوبيا، الصومال، جيبوتي، أريتيريا) بشكل خاص، دول القرن الأفريقي التي كانت وستظل الركيزه الأولى للتوجه الإستراتيجي الخليجي المُستقبلي نحو القارة الأفريقية برمتها، والإمتداد الفعلي للأمن القومي الخليجي الذي بات يؤرقه إختلاف الرؤى السياسية بين أعضائه ، وتطَلع بعض القوى الإقليمية لممارسة أدواراً تستهدف الأرض والإنسان والأمن في دول مجلس التعاون الخليجي، وقلق القيادات السياسية الخليجية من التنظيمات الإرهابية التي تحاول أن تجد لنفسها موطىء قدم في الخليج العربي، فإختلاف الرؤى السياسية بين دول مجلس التعاون الخليجي وبعض الدول العربية وبعض القوى الإقليمية قد يحول دول القرن الافريقي لساحة تصفية حسابات لن يُسلم منها أحد، وبالتالي على دول الخليج العربي توحيد رؤاها والعمل ككيان واحد، والإستعداد للمرحلة القادمة، والإستثمار في العلاقات الخليجية الافريقية التي ما برحت أن تتوجه لمسارها الصحيح إلا وأعادتها رياح التنافر إلى ما لا نرغب أن نراها فيه.

أهم الإتفاقيات المبرمة بين دول الخليج العربي ودول القرن الأفريقي

المملكة العربية السعودية:

بعد إنضمام الرياض لمنظمة التجارة العالمية في ٢٠٠٥[١] أصبح الإقتصاد السعودي أكثر إندماجاً في الإقتصاد العالمي، وتعتبر أثيوبيا من أهم الدول التي تنصح الرياض مواطنيها بالإستثمار فيها لكونها سوق أفريقي يشهد نمواً مُتزايداً، ففي مايو ٢٠١٦ تم توقيع إتفاقية تجارية بين أثيوبيا والسعودية لتوسيع قاعدة التعاون والإستثمار وداعمةً لإتفاقية تجنب الإزدواج الضريبي والتي تم توقيعها في ٢٠١٤[٢]، والهادفة إلى حماية الإستثمارات لكلا الطرفين، وفي نوفمبر ٢٠١٦ تم توقيع إتفاقيات لم يتم الإعلان عن طبيعتها بقيمة ١٦٠ مليون دولار، كما وقع الطرفان على تشكيل مجموعة لجان مثل: لجنة التعاون الخارجي والأمني، لجنة التعاون العلمي والثقافي، واللجنة الإقتصادية، وقدم الصندوق السعودي للتنمية تمويلات لدعم التنمية في الأقاليم الأثيوبية النائية، وتشير وزارة التجارة الأثيوبية[٣] أنه منذ عام ٢٠٠٨/٢٠٠٩ إلى ٢٠١٥/٢٠١٦ حصل أكثر من ٣٠٥ مستثمر سعودي على رخص إستثمارية أثيوبية في جميع المجالات، عزز ذلك عدد الشركات السعودية المُسجلة والذي تجاوز٦٩ شركة سعودية، والتي وفرت فرص وظيفية للأثيوبيين برأس مال يتجاوز ٣٦٩ مليون دولار، كما أن المشروعات الإستثمارية السعودية في أثيوبيا تجاوزت ٣٠٣ مشروع وتعتبر مصدراً للأمن الغذائي السعودي، وأكد تقرير"دليل الإستثمارفي أثيوبيا" الصادر من الحكومة الأثيوبية أن اللجنة السعودية الأثيوبية المُشتركة إتفقت في ديسمبر ٢٠١٦ على إنشاء شبكة للتعاون في مجال الطاقة[٤]، وكانت تلك اللجنه قد وقعت في وقت سابق على ١٦ إتفاقية ويتم بموجبها زراعة (١.٧١٣.٣٥٧ هكتار)، خاصة أن الإستثمارات الزراعية السعودية تمثل ٣٠٪ من مجموع الإستثمارات السعودية المتنوعة في أثيوبيا [٥].

1 - https://www.wto.org/english/thewto_e/acc_e/a1_arabie_saoudite_e.htm

2 – http://saudigazette.com.sa/saudi-arabia/ethiopia-keen-to-develop-stronger-ties-with-ksa/

3 – http://www.spa.gov.sa/viewstory.php?lang=en&newsid=1560507

4 – http://www.ebc.et/web/ennews/-/ethiopia-saudi-agree-to-establish-joint-committee-to-cooperate-in-energy-sector

5 – https://ig.ft.com/sites/land-rush-investment/ethiopia/

جاءت بعد ذلك زيارة الوفد السعودي لأثيوبيا وزيارة سد النهضة في ديسمبر٢٠١٦ الذي إعتبرته القاهره حينها تحولاً خطيراً في العلاقات السعودية المصرية ولكن سرعان ما عاد الطرفان السعودي والمصري إلى سابق عهدهما بدليل موافقة الحكومة المصريه على إرجاع جزر تيران وصنافير للجانب السعودي، أما في دولة جيبوتي فلقد إتفقت الرياض وجيبوتي على إنطلاق المنتدى الاقتصادي السعودي الجيبوتي في مارس٢٠١٧ والذي أصبح يقام بشكل سنوي، وجاء ذاك المنتدى بعد أن قررت اللجنة السعودية الجيبوتية المُشتركة على تنفيذ ١٧ مشروعاً تنموياً في جيبوتي، كما وقع الطرفان إتفاقية التعاون الأمني المشترك في إبريل ٢٠١٦[١] ترعاها لجنة عسكرية سعودية جيبوتية مُشتركة خاصة بالتنسيق العسكري بين البلدين، خاصة أن الرياض تدعم الرقابة والتفتيش التي تقوم به قوات خفر الحدود والسواحل الجيبوتية، وتأتي تلك الخطوات بعد الإعلان عن تشكيل لجنة عسكرية خاصة بتدشين القاعدة السعودية البحرية في جيبوتي[٢]، أما في الصومال فقد وقعت الرياض في مارس ٢٠١٦ مُذكرة تفاهم بين سلطتي الطيران المدني في الرياض ومقديشو على أن يكون التشغيل بين الدولتين من وإلى أربعة نقاط دولية يتم تحديدها لاحقاً بين السلطتين[٣]، كما قدم الصندوق السعودي للتنمية (٢٠) مليون دولاردعماً للموازنة الصومالية، و(٣٠) مليون دولار كإستثمارات سعودية في الصومال، وساهمت الرياض في إرتفاع الصادرات الصومالية في أعقاب خطوة لرفع حظر دام تسع سنوات على إستيراد الماشية من الصومال، خاصة أن الثروة الحيوانية تعتبر الدعامة الأساسية للإقتصاد الصومالي، وبعد تسرب تقرير منظمة "أبحاث التسلح في النزاعات" الذي أكد على أن هناك عمليات سرية تشرف عليها طهران مُهمتها نقل الأسلحة إلى الحوثيين عن طريق الصومال[٤] أعلنت مقديشو تعاونها الكامل مع قوات التحالف للتصدي لتلك العمليات مما عزز التعاون الأمني الصومالي الخليجي، أما العلاقات الأرترية السعودية فتعززت بعد الإتفاق الأمني التي أبرمته الرياض مع أسمره عام ٢٠١٥ لمُحاربة الإرهاب والقرصنة في البحر الأحمر بعد ظهور ما يسمى بالحرس الثوري "الأفريقي" التابع للحرس الثوري الإيراني الداعم لميلشيات الحوثي.

1 – http://alekhbariya.net/en/node/3398

2 - http://gulfnews.com/news/gulf/saudi-arabia/saudi-military-base-in-djibouti-on-track-1.1940029

3 –http://www.arabnews.com/economy/news/893216

4 – http://www.reuters.com/article/us-yemen-security-arms-idUSKBN13P001

كما وافقت دول الخليج مُجتمعه على تقديم حزمةٍ من المساعدات المالية وتعهّدت بتحديث مطار أسمرة الدولي، وإنشاء بنيةٍ تحتية جديدة، وزيادة إمدادات الوقود إلى إريتريا.[١]

دولة الإمارات العربية المُتحدة:

في أكتوبر ٢٠١٦ وقعت غرفة تجارة وصناعة دبي نيابة عن مجموعة س.س لوتاه الدولية S.S Lootha Trading/إتفاقية مع بنك أوروميا الدولي بقيمة ١٨٤ مليون درهم[٢] لدعم قطاع الزراعة والماشية ومُنتجاتهما الصالحة للتصدير، ولأهمية سوق شرق أفريقيا حرصت غرفة تجارة وصناعة دبي على إفتتاح أول مكاتبها التمثيلية في أفريقيا عام ٢٠١٣، ووصلت قيمة التبادل التجاري غير النفطي إلى ٧٨٨ مليون درهم لعامي٢٠١٤/٢٠١٥، كما إتفقت أديس أبابا وأبوظبي على تعزيز دور القطاع الخاص في دعم حركة التجارة والإستثمار بين البلدين، وبناء عليه تم توقيع إتفاقية منع الإزدواج الضريبي لحماية وتشجيع الإستثمار، وعملت الحكومة الأثيوبية على إنشاء أربع مناطق صناعية متخصصة وهي (ديرداوا، أواسا،كومبولتشا، أديس ابابا)[٣]، وإستعانت بخبرة دولة الإمارات لتطوير تلك المناطق الصناعية، ومن جانب أخر أكدت شركة (Systems Saasur Solar) العاملة في مجال الطاقة الشمسية بدولة الإمارت أنها وجدت فُرص إستثمارية في أثيوبيا وذلك بعد إنشاء أديس أبابا مشاريع كبرى لإنتاج الطاقة الكهرومائية من خلال إقامة السدود، وعرضت الشركة على أثيوبيا إنتاج الكهرباء الرخيصة عبر إستخدام الطاقة الشمسية على أن يكون التصميم الهندسي لمصانعها في الإمارات ويتم بعد ذلك تركيبها في المناطق التي يتفق عليها الطرفان[٤]، أما العلاقات الإماراتية الجيبوتية، فدولة الإمارات تُعتبر المُستثمر الأكبر في جيبوتي، فقد منح صندوق أبوظبي للتنمية جيبوتي[٥] خمسون مليون دولار كمنحة لمدة خمس سنوات لتمويل المشاريع التنموية في فبراير٢٠١٥، كما تم التوقيع على الإتفاقية المُشتركة للتعاون الأمني والعسكري[٦].

1 -http://www.uae71.com/index.php/cate/1/posts/36554

2 - http://www.emaratalyoum.com/business/local/2016-10-10-1.935832

3-http://www.agrofood-plastpack.com/fileadmin/user_upload/messen/Ethiopia_agrofood/Dokumente/information-on-integrated-agro-industrial-parks-in-ethiopia.pdf

4 - http://www.alkhaleej.ae/economics/page/cd67caf6-84a0-463a-b2ad-de0dbcc58ae7

5 - https://www.adfd.ae/ar-sa/Projects/ProjectMap/Pages/ProjectAreamap.aspx

6 - http://www.uae-consulate.ae/Consulates/dj/news/2015/02/02/1036

إلا أن العلاقات بين أبوظبي وجيبوتي شهدت تدهوراً وصل لإغلاق القنصلية الإماراتية في جيبوتي وإيقاف رحلات فلاي دبي إلى جيبوتي[١]، وذلك بسبب الخلاف على سيرعمل شركة موانىء دبي العالمية في دورالية جيبوتي التي تُعد أكثر المحطات التقنية تقدماً على الساحل الشرقي لأفريقيا، علماً بأن شركة موانىء دبي العالمية تعمل في جيبوتي منذ ١٤ عاماً، إلا أن العلاقات بين الطرفين سرعان ما عادت لسابق عهدها وفتحت القنصلية الإماراتية في جيبوتي أبوابها في يناير ٢٠١٦، إلا أن التدهور في العلاقات عاد مرة أخرى في فبراير ٢٠١٨ وألغت جيبوتي عقداً لشركة موانىء دبي العالمية العاملة في جيبوتي، أما العلاقات الإماراتية الصومالية بدأت في عام ١٩٧٨ عندما دعمت أبوظبي مشروع (بربرة – برعو)، ومشروع (سكر جوبا) عام ١٩٧٧[٢]، وفي عام ٢٠١٢ نفذت الإمارات مشروع إنشاء السدود، وقادت أبوظبي مُبادرة المصالحة بين الأطراف الصومالية والتي تمثل بـ (ميثاق دبي ٢٠١٢)، والذي يُعد الإتفاق الأول من نوعه بين الحكومة الصومالية وحكومة أرض الصومال منذ أكثر من ٢١ عاماً[٣]، وأكدت صحيفة The Wall Street Journal في سبتمبر ٢٠١٦ حصول الإمارات على عقد لإدارة أهم موانىء القرن الأفريقي ميناء بربرة في إقليم أرض الصومال لمدة ثلاثون عاماً[٤]، تدهورت العلاقات الصومالية الإماراتية في إبريل ٢٠١٨ بسبب إبرام الإمارات عقود مع الأقاليم الصومالية دون التشاور مع الحكومة المركزية مما دفع مقديشو إلى إنهاء عقد تدريب الإمارات لوحدات من الجيش الصومالي والتي كانت تتولاه أبوظبي منذ عام ٢٠١٥ وسبق ذلك القرار مصادرة أموال إماراتية بلغت عشرة ملايين دولار في إحدى المطارات الصومالية، إلا أن التمثيل الدبلوماسي بين البلدين ما زال قائماً، نأتي أخيراً للعلاقات الإماراتية الأرترية التي بدأت بعد إعلان إستقلال أسمره ١٩٩٣، ففي عام ١٩٩٥ دعم صندوق أبوظبي للتنمية مشروع التوليد والنقل الكهربائي في أرتريا، ودعم مشاريع البنية التحتية عام ٢٠٠٩، كما دعمت أبوظبي ميزان المدفوعات عام ٢٠١٢[٥].

١- http://www.eremnews.com/news/arab-world/gcc/421581

٢- https://www.adfd.ae/ar-sa/Projects/ProjectMap/Pages/ProjectAreamap.aspx

٣- http://www.somalilandpatriots.com/news-12411-0

٤- https://www.wsj.com/articles/dp-world-to-manage-somaliland-port-of-berbera-1473086050

٥- https://www.adfd.ae/ar-sa/Projects/ProjectMap/Pages/ProjectAreamap.aspx

ومؤخراً حصلت دولة الإمارات على عقد إيجار في ميناء عصب كجزءٍ من إتفاقية الشراكة المُبرمة لغرض إقامة قاعدةٍ عسكرية إماراتية[١].

دولة قطر:

شهدت العلاقات القطرية الأثيوبية تدهوراً عام ٢٠٠٨ ووصلت إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بسبب الدعم القطري لإرتريا، وذلك عندما سعت الدوحة في ٢٠٠٨ لحل الخلاف الحدودي بين جيبوتي وإرتريا على منطقة رأس دميرة، ومما سهل مهمة الدوحة هو وجود قوات عسكرية قطرية على حدود الدولتين تم نشرها في إطار الوساطة لحل النزاع، إلا أن الدوحه نجحت في التوصل الى إتفاقية سلام بين الطرفين تم توقيعها في الدوحة عام ٢٠١٠[٢]، كما نجحت الدوحة في إقناع أسمره بالإفراج عن أربعة أسرى جيبوتين كانوا مُعتقلين في أرتريا منذُ ثماني سنوات، وإستردت العلاقات القطرية الأثيوبية عافيتها وبدأت الإستثمارات القطرية تتضاعف في أثيوبيا، خاصة أن الدوحة تسعي لتوسيع إستثماراتها في القارة الافريقية يساعدها في ذلك صندوقها السيادي الذي يتجاوز ٢٠٠ مليار دولار، وفي فبراير ٢٠١٦ إجتمعت اللجنة الفنية القطرية الأثيوبية المُشتركة[٣] في أديس أبابا لتنفيذ الإتفاقيات المُوقعه بين البلدين وسُبل تعزيزها، وفي يوليو ٢٠١٦ تدخلت الدوحة دبلوماسياً لحل الأزمة الأرترية الأثيوبية والتي أُتهمت فيها أديس أبابا أسمره بدعم المُعارضة الأثيوبية، وأكدت الدوحة على دعمها الكامل لأثيوبيا في الأمم المتحدة للحصول على مقعد غير دائم بمجلس الأمن الدولي في يناير ٢٠١٧[٤] والتي حصلت عليه بعد ذلك، أما إقتصادياً فقد أطلقت الدوحة أربعة مشاريع إستثمارية في أثيوبيا بلغت قيمتها ٥٠٠ مليون دولار لبناء مركز لمكافحة الملاريا ومصانع للأسمنت والسكر[٥]، وفي عام ٢٠١٦ أعلنت مجموعة (إزدان القطرية القابضة/ Ezdan Holding Group) عن مشروع إستثماري في قلب العاصمة الأثيوبية [٦].

1 – https://www.tesfanews.net/analysis-uae-military-base-assab-eritrea/

2 –https://en.wikipedia.org/wiki/Djiboutian%E2%80%93Eritrean_border_conflict

3– http://www.qna.org.qa/en-us/News/16022419530086/Qatari-Ethiopian-Joint-Technical-Committee-Holds-Meeting-in-Addis-Ababa

4 –https://en.wikipedia.org/wiki/United_Nations_Security_Council_election,_2016

5 – http://allafrica.com/stories/201501210215.html

6 –http://hornaffairs.com/en/2016/02/09/qatari-firm-luxury-resort-addis-ababa/

ومن جانب أخر قامت مُنظمة الدعوة الاسلامية التابعه للحكومة القطرية بإستصلاح أراضي زراعية في أثيوبيا مساحتها (٥٠٠) هكتار في منطقة بيرعانو وهذه المشاريع الإنتاحية ستحول المواطن الأثيوبي من مُتلقي للإعانة إلى مُنتج وفاعل في المُجتمع، فالمُنظمة تخطط لتنفيذ المزيد من المشاريع الإنتاجية لإحداث تغير إيجابي في المجتمع الأثيوبي بإتجاه التنمية الشاملة، ولا ننسى مؤسسة الشيخ ثاني بن عبدالله للخدمات الإنسانية "راف" التي نفذت عدة مشاريع تنموية في منطقة دريدوا بإقليم أوروميا ذو الغالبية المسلمة، وبعد وصول رئيس الوزراء الأثيوبي أبي أحمد للسلطة عام ٢٠١٨ حافظت أديس أبابا على حيادها من الأزمة الخليجية وإلتزمت بموقف الإتحاد الإفريقي الذي أكد بأن الأزمة الخليجية هي شأن داخلي خليجي، وأصبحت العلاقات القطرية الأثيوبية أكثر إنفتاحاً وإيجابية خاصة بعد زيارة رئيس الوزراء الأثيوبي للدوحة في مارس ٢٠١٩، أما العلاقات الصومالية القطرية فلقد تعززت بعد وصول الرئيس محمد فرماجو لسدة الحكم، ونجحت الدوحة في إبرام إتفاقية مع جمهورية الصومال لتنظيم إستقدام العمالة الصومالية المُتعلمة للعمل في دولة قطر، أضف إلى ذلك وجود لجنه قطرية صومالية تم تشكيلها لدعم الصحه والتعليم في الصومال، وتعززت العلاقات القطرية الصومالية بعد الموقف الحيادي التي إتخذته مقديشو من الأزمة الخليجية وتبعها زيارة الرئيس محمد فرماجو لكل من الدوحة، الرياض وأبوظبي، ونجحت الدوحة في عام ٢٠١٩ في توقيع معاهدة إستثمارية مع مقديشو لبناء ميناء هوبيو الصومالي، إلا أن تفجيرات بوصاصو في يوليو ٢٠١٩ والتي أتهمت بتدبيرها الدوحة عززت أصوات صومالية لفتح تحقيق إلى أن جاء تصريح وزير الخارجية الصومالي أحمد عيسى عوض الذي نفى تلك التهمه عن دولة قطر وتم إقفال الملف، أما العلاقات القطرية الجيبوتية فأخذت منحاً تطورياً في يناير٢٠١٦ عندما إفتتحت مُنظمة قطر الخيرية مكتباً فرعياً في جيبوتي[١]، ودشنت مشروع قرية دوحة الخير في منطقة ديمير جوج في إقليم عرتا الجيبوتي والذي ضم منازل سكنية ومستشفيات ومدارس وشبكات للمياه وتوفير وسائل المواصلات مما ساهم في تطويرالتنمية المجتمعية، كما إتفق الطرفان على تنفيذ المشاريع المستقبلية بقيمة مبدئية (٢٠) مليون ريال قطري، أما العلاقات الأرترية القطرية فبدأت منذ الستينات، فقطر كانت من أوئل الدول الداعمة للقضية الوطنية الأرترية وأول من تبادل التمثيل الدبلوماسي معها بعد الإستقلال.

1 – http://thepeninsulaqatar.com/news/qatar/353061/djibouti-pm-lays-foundation-stone-for-doha-alkhair-village

وتعززت العلاقات بين الطرفين بعد تراجع التمويل الغربي للتنمية الأرترية بسبب رفض النظام للإصلاحات السياسية، وتعهدت الدوحة بدعم المشاريع التنموية في إطار ما أطلق عليه حينها "الخطة التنموية الشاملة للحكومة الأرترية"، وأعتبرت الدوحة أهم شريك إقتصادي لأرتريا[١]، فشركة الديار العقارية القطرية تعمل في أرتريا منذ عام ٢٠١٠ وقامت بتدشين مشروع منتجع دهلك [٢]، ودعمت قطر مشروع تأسيس الفضائية الإرتيرية، كما سعت الدوحة دبلوماسياً لعودة العلاقات السودانية الأرترية بعد توقيع إتفاقية الدوحة ١٩٩٩ ودعمت عجلة التنمية في المناطق الحدودية بين السودان وأرتريا بمبلغ ٦٠٠ مليون دولار.[٣]

دولة الكويت:

دشنت دولة الكويت ومن خلال صندوق الكويت للتنمية ثلاثة مشاريع رئيسية في أثيوبيا بقيمة ٢٠٣.٠٠٠.٠٠٠ مليون دولار، مثل: مشروع تأهيل الطريق التكلفة Nekemte- بتكلفة ٦٤ مليون دولار أمريكي، ومشروع طريق ديسي- كوتابر- تقاطع تناتا Kutaber Tenta بقيمة ٨٤ مليون دولار أمريكي، وفي عام ٢٠١٥ إنطلق مشروع أكسوم لإمدادات المياه بقيمة ٥٥ مليون دولار أمريكي[٤]، وفي الصومال دشنت الكويت مشاريع إستثمارية كان أهمها مشروع زيادة الطاقة الكهربائية في مقديشو وضواحيها، وفي جيبوتي أصبح الصندوق الكويتي للتنمية مساهماً فاعلاً في تطويرالإقتصاد والبنى التحتية في جيبوتي، ففي الفترة بين ٢٠٠٤ وحتى ٢٠١٦ وقعت دولة الكويت مع جيبوتي ١٤ اتفاقية بلغت (٧٨.٣ مليون دينار كويتي)، كان أهمها تدشين طريق تاجورا- أبوخ، وطريق تاجورا – بلحو، الذي عُرف اليوم بإسم طريق "الشيخ صباح الأحمد الصباح"، وفي عام ٢٠١٦ تم البدء بمشروع يهدف إلى ربط جيبوتي بالمناطق الشمالية من إثيوبيا مما ينشط حركة التجارة البينية.

1 – https://www.theatlantic.com/international/archive/2013/03/what-is-an-expensive-idyllic-resort-doing-in-eritrea/274424/

2 – http://www.qdvc.com/index.php/ar/projects-2/dahlak

3 – https://www.theatlantic.com/international/archive/2013/03/what-is-an-expensive-idyllic-resort-doing-in-eritrea/274424/

4-https://www.kuwait-fund.org/ar/web/kfund/table?p_auth=UHGwMR8b&p_p_id=kfundloanstable_WAR_KFundPortletsportlet&p_p_lifecycle=1&p_p_state=normal&p_p_mode=view&p_p_col_id=column-4&p_p_col_count=1&_kfundloanstable_WAR_KFundPortletsportlet_countryCode=57&_kfundloanstable_WAR_KFundPortletsportlet_backURL=%2Far%2Fweb%2Fkfund%2Ftable&_kfundloanstable_WAR_KFundPortletsportlet_javax.portlet.action=setSectorsLoansDetailPage

-.مملكة البحرين: **في عام ٢٠١٤ أفتتح في الصومال وبتمويل من المؤسسة الخيرية الملكية مستشفى مملكة البحرين الوطني التخصصي لتحسين الخدمات الطبية، ومجمع مملكة البحرين التعليمي لدعم التعليم في الصومال[١] والذي يشمل جامعة الصومال الوطنية بجميع الكليات العلمية، بالإضافة إلى معهد العلوم المالية والمصرفية[٢]، ومركز البحرين لطب وجراحة العيون[٣]، كما شاركت الصومال بوفد رسمي يترأسه وزير المالية الصومالي محمد إبراهيم فرغيتي في مؤتمر المالية للدول العربية[٤] الذي أقيم في المنامة في إبريل ٢٠١٦، أما في دولة جيبوتي دشنت المنامة مشروع قرية البحرين التنموية في ديسمبر ٢٠١٥[٥]، وذلك إنطلاقاً لدعم التنمية المجتمعية في جيبوتي، أما في أسمره وتعزيزاً للعلاقات البحرينية الأرترية زار وفداً أرترياً مملكة البحرين[٦] للإطلاع على النموذج البحريني في ريادة الأعمال والمؤسسات المالية وذلك ضمن دورة ريادة الأعمال التي تديرها منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (UNIDO)[٧]**

1 -https://islamic-relief.me/news/%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85-%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%84-%D8%A8%D9%82%D9%8A%D9%85%D8%A9-4-%D9%85/

2 - http://mogadishucenter.com/2014/11/%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D9%84%D9%84%D8%B4%D8%A4%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88/

3 - https://www.rco.gov.bh/ar/%D8%AC%D9%85%D9%87%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%84

4 - http://sonna.so/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%88%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%83-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A/

5 - https://www.khairia.org/projects/details/216?lang=ar

6- http://www.akhbar-alkhaleej.com/12209/article_touch/459492.html

7 -http://www.unido.org/

سلطنة عُمان:

شهدت العاصمة الأثيوبية أديس أبابا في أبريل ٢٠١٦ إنطلاق معرض أوبكس للمُنتجات العُمانية[١] بمشاركة أكثر من ١٠٠ شركة عمانية، تُمثل قِطاعات مُختلفة، إلى جانب مُشاركة عدد من المُؤسسات الحكومية، فمسقط تجد في شرق أفريقيا مجالاً لتوزيع مُنتجاتها، خاصة أن السوق الأثيوبي من أكثر الأسواق نمواً على مستوى القارة الأفريقية، وتم توقيع ثلاث إتفاقيات تكون بموجبها أثيوبيا نقطة عبور لتسويق المُنتجات العُمانية إلى الدول الأفريقية، وبلغت قيمة التجارة غير المُباشرة بين مسقط وأديس أبابا ما يتجاوز الـ (٨٠) مليون دولار، وفي أكتوبر ٢٠١٦ أكدت شبكة (C.N.N) أن "عمانتل" وهو المُشغل الوطني العُماني للإتصالات وافق على بناء كابل تحت سطح البحر يربط مدينة صلالة في سلطنة عُمان بميناء بربرة في أرض الصومال (صومالاند) وميناء بيصاصو في (بونتلاند) وسيشمل أثيوبيا، خاصة أن نظام (G2A) الذي سيربط الخليج بأفريقيا سيتم تطويره بالشراكة مع الإتصالات الأثيوبية، وإتصالات جوليس، وشركة تيليسوم. [2]

نجحت سلطنة عُمان في تدشين المدينة الصناعية[٣] في ميناء الدقم العُماني بالتعاون مع الصين، والتي يثبت أنها ماضية في تنفيذ إستراتيجيتها التي أطلق عليها " عقد اللؤلؤ"، فبكين تهدف إلى ربط مصالحها بين الموانىء الأسيوية والموانىء الأفريقية خاصة أنها تمتلك قاعدة عسكرية في جيبوتي لبناء طريق حرير بحري عبر المحيط الهندي، أما بالنسبة لسلطنة عُمان فميناء الدُقم العُماني يسير بخطى ثابته في ظل تزاحم القوى الدولية والإقليمية عليه التي تسعى لضمان موقع للتموين والصيانة في المحيط الهندي، وهذا ما سيُمكن مسقط من إستعادة موقعها التاريخي كمركز بحري لسواحل المحيط الهندي خاصة أن المزاج العُماني محكوم بالنزعة التاريخية الإستقلالية.

1 – http://opex.me/2016/ar/

2 – http://www.ena.gov.et/en/index.php/technology/item/808-omani-operator-to-construct-submarine-cable-linking-oman-somaliland-puntland-and-ethiopia

3 – http://www.duqm.gov.om/sezad/media/news/built-on-a-total-area-of-about-1172-hectares-usufruct-agreement-for-china-omani-industrial-park-in-duqm-signed

قراءة في الإتفاقيات المُبرمة بين دول الخليج العربي ودول القرن الأفريقي

تبدو الإتفاقيات المُبرمة بين دول الخليج العربي ودول القرن الأفريقي "إقتصادية إستثمارية" في المقام الأول تخللتها مؤخراً إتفاقيات أمنية وتعاون في المجالات العسكرية والإستخباراتية فرضها طول أمد العمليات العسكرية في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، فلقرب دول القرن الأفريقي من مسرح الأحداث وما تشكله من عمق إستراتيجي لليمن المرتبط بطبيعة الحال بالأمن القومي الخليجي كان لابد لدول مجلس التعاون الخليجي وعلى رأسها المملكة العربية السعودية من إبرام تلك الإتفاقيات الأمنية والتي ليست بمستوى الإتفاقيات الإقتصادية بلا شك إلا أنها إتفاقيات يمكن أن نُسميها بـ (متطلبات المرحلة)، فالإستثمارات الخليجية التي تدفقت على دول القرن الأفريقي عززتها الإتفاقيات الأمنية العسكرية والإستخباراتية، وتصعيد التمثيل الدبلوماسي لدول مجلس التعاون الخليجي في دول القرن الأفريقي، وأعتقد أن ذلك ما كان ليكون لولا التهديد الإيراني في جنوب الجزيرة العربية الذي وضع الأمن القومي الخليجي بعمومه على المحك.

تختلف دول الخليج العربي من دولة لأخرى بعلاقتها مع دول القرن الأفريقي، فالمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات هما الأوفر حظاً في مجال الإستثمار، والإتفاقيات الإقتصادية، وإبرام التعاون الأمني والإستخباراتي العسكري، تأتي بعد ذلك دولة قطر ودولة الكويت في تطوير البنى التحتية لدول القرن الأفريقي ودعم التنمية المجتمعية، بالإضافة إلى الإستثمارات في القطاعات العقارية و السياحية، أما مملكة البحرين فتمثل نشاطها في دعم التعليم والصحة ومكافحة الفقر، وتطوير المؤسسات المالية والمصرفية، أما سلطنة عُمان فهي الأقل حضوراً (إقتصادياً) رغم ما تمتلكه من تاريخ مُتجذر في تلك الدول، ذلك التاريخ الذي ما زالت ملامحه التاريخية والحضارية شاهدة عليه والذي تستند عليه السلطنه "سياسياً" وقتما شاءت، ويعود السبب في هذا التفاوت بين دول الخليج وتواجدها في القرن الأفريقي إلى إختلاف الرؤية السياسية لكل دولة خليجية والذي بالطبع سينعكس على مصالحها على الأرض، والدور المُستقبلي الذي تُريده كل دولة خليجية لنفسها، أضف إلى ذلك إختلاف رؤية كل دولة خليجية لمدى خطورة أو عدم خطورة الأحزاب والتنظيمات السياسية في دول القرن الأفريقي والتي ثبت إرتباطها بالتنظيمات السياسية في دول الخليج العربي مثل " الأخوان المسلمين، وجبهة شرق أفريقيا الموالية لتنظيم الدولة".

شهدت دول القرن الأفريقي تسابقاً خليجياً لم يكن معهوداً قبل خمس سنوات سابقة لعمليات عاصفة الحزم، وتحول إحدى دول القرن الأفريقي لمُعكسر تدريب لما يسمى بـ"الحرس الثوري الأفريقي" التابع للحرس الثوري الإيراني، كما أكد تقرير منظمة "أبحاث التسلح في النزاعات" أن هناك عمليات سرية تشرف عليها طهران مُهمتها نقل الأسلحة إلى الحوثيين عن طريق الصومال[١].

تبدو الحسابات الخليجية (الثابت منها والمتحول) في القرن الأفريقي مُختلفة من دولة لأخرى، فتتفق دول مجلس التعاون الخليجي على مُحاصرة النفوذ الإيراني في القرن الأفريقي بعد أن نجحت طهران في إظهار نفسها كقوة مُنافسه، ومحاولتها السيطرة على ممرات بحرية لكسب أوراق ضغط في جنوب الجزيرة العربية تعزيزاً لإستراتيجيتها الهادفة في نقل معاركها خارج حدودها، فوجدت في الساحة الأفريقية (دول القرن الأفريقي) ما يمكن أن ترتكز عليه لتحقيق ذلك، فطهران في القرن الأفريقي تمتلك رؤية مُحددة تسير وفقها، إلا أن دول الخليج تختلف في رؤيتها السياسية لدول القرن الأفريقي، فالصومال مثلاً دولة يمزقها الإرهاب والإنقسام ولم تشفع لها نسبة التجانس التي تصل إلى ٩٩٪ بين أبنائها، إلا أن الإستثمارات الخليجية وإن وجدت في العاصمة مقديشو ولكنها لا تُقارن بالإستثمارات التي شهدتها الأقاليم شبة المُستقله (صومالاند، وبونتلاند) بسبب الإستقرار السياسي الذي تحياه تلك الإقاليم بعيداً عن العاصمة المركزية "مقديشو"، إلا أن ذلك لا أراه مُحقاً، فتضاعف الإستثمار الخليجي في الأقاليم شبه المُستقلة سيُضاعف مطالبها بالإستقلال عن الدولة المركزية، وسيُكرس ثقافة الإنفصال للأقاليم الأخرى، وسيُظهر للرأي العام وكأن دول الخليج تدعم تقسيم الصومال سراً رغم إعلانها بالعمل على وحدته، أما أثيوبيا فمن وجهة النظر الخليجية أنها دولة حققت خطوات مهمة وإيجابية تتفوق بها على دول القرن الأفريقي، خاصة بعد تزاحم الوفود الخليجية على أبوابها مؤخراً داعمة لتوجهها التنموي ورؤيتها السياسية، ومُعترفةً بها كقوة حقيقية فاعلة ومُؤثرة في القرن الأفريقي، ويأتي ذلك مُتزامناً مع إقتراب إفتتاح سد النهضة والتي تُعلق عليه شعوب القرن الأفريقي الكثير من أمال التنمية، إلا أن مصالح دول الخليج العربي في بعض دول القرن مُختلفة عن مصالحها في أثيوبيا، وأنا هنا لا أرفع من قيمة المصالح الخليجية مع إحدى دول القرن الأفريقي على حساب الأخرى.

1 – http://www.reuters.com/article/us-yemen-security-arms-idUSKBN13P001

ولكن لابد من التأكيد بأن الأمن العسكري الإستخباراتي الخليجي المُرتبط بأمن عمليات عاصفة الحزم في اليمن أصبح جزء لا يتجزء من الأمن "الإستخباراتي العسكري" في الصومال، وجيبوتي، وأرتريا بسبب موقعها الإستراتيجي (إطلالتها على بحر العرب، والمحيط الهندي، البحر الأحمر، وخليج عدن)، هذا بالإضافة إلى تعدد الموانىء الإستراتيجية مثل (بربرة، بوصاصو، كيسمايو) في الصومال، و(عصب ،مصوع) في أرتريا، و(ميناء جيبوتي) في جيبوتي، أما أثيوبيا فأهميتها لدول الخليج العربي تمثل في كونها قائدة مستقبلية لدول شرق أفريقيا، وإحتضانها لمصالح خليجية وصفت بأنها مشاريع خاصة بـ"الأمن الغذائي الخليجي"، وسعيها لربط جوارها الأفريقي بشبكة سكة حديدية طولها ٥٠٠٠ كيلومتر سينتهي العمل بها عام ٢٠٢٠، إلا أن ما يؤخذ على أثيوبيا هو دعمها لإستراتيجية "عدم الإستقرار" في الصومال المعمول بها منذ عام ١٩٩١، ومع وصول الرئيس محمد عبدالله فرماجو لرئاسة الصومال وهو صاحب النهج السياسي الصريح والمواقف الوطنية الثابته قام بالعمل على: تحجيم خطر التنظيمات الإرهابية التي تؤرق الوطن والمواطن وتعرقل التنمية، وإيجاد إستراتيجية وطنية لإعادة الأقاليم ذات الحكم الذاتي (صومالاند، بونتلاند، جوبالاند) تحت حكم الإدارة المركزية، وهذا بالطبع ما لا ترغب به دول الجوار الأفريقي وعلى رأسها أثيوبيا المُستفيد الأكبر من موانىء الأقاليم شبه المستقلة (بوصاصو، وبربره)، ولكن في الوقت الذي أرى فيه أن أثيوبيا ستُدرك في الوقت القادم بأن من مصلحتها أن لا تدعم تلك التنظيمات الإرهابية في الصومال إن كانت تريد لمسلك التنمية التي سلكته أن يصل لمداه لدول القرن الأفريقي، إلا إنه من الأرجح أن تُبقي أديس أبابا على سياسة عدم الإستقرار في الصومال أو على جزء منها وإن كان متواضعاً حتى لا يتحقق كامل الإستقرار في الصومال.

ظلت العلاقات الخليجية مع دول القرن الأفريقي خارج إطار التفاعل السياسي الحقيقي، فوجدت دول القرن الإفريقي في الإستثمارات الخليجية وتدفق عمالتها على العواصم الخليجية متنفساً حقيقياً لحل أزمة البطالة الحادة التي تعاني منها ومُساهماً كبيراً في دفع عجلة الإقتصاد الإفريقي بسبب التحويلات المالية المُتدفقة على المصارف والبنوك الأفريقية، لذلك نرى بأن الإعلام المرئي والمسموع وحتى المقروء في عموم القرن الإفريقي حتى هذه الساعة لا يتناول علاقة عواصمه بدول الخليج إلا في إطار التجارة والإستثمار المتبادل بين الطرفين خاصة أن العمالة الأفريقية في الخليج العربي إحتلت اليوم مراكز متقدمة بين العمالات الأجنبية العاملة في العواصم الخليجية.

إلا أن عام ٢٠١٥ وما تلاه كان مفصلياً في خط سير تلك العلاقات، فلقد باتت دول الخليج ترى أن دول القرن الأفريقي تشكل الركيزه الأولى للتوجه الإستراتيجي الخليجي المُستقبلي نحو القارة الأفريقية، والإمتداد الفعلي للأمن القومي الخليجي.

إختلف الحضور الخليجي في دول القرن الإفريقي من عاصمة خليجية إلى أخرى، وتبدو أبوظبي والدوحة، والرياض الأكثر حضوراً في الساحة في الفترة الحالية ولكن هذا لا يعني إنحسار حضور باقي دول الخليج، فحضور دولة الكويت، وسلطنة عمان ومملكة البحرين فيه نوع من الحذر المُترقب إن لم نقل مُراقبة الأوضاع من بعيد والعمل بما تقتضيه المصلحة، خاصة أن مهندسي صنع القرار السياسي في القرن الإفريقي يدركون تماماً أن الحضور الخليجي مهما كان ظاهراً ستبقى القوى الدولية هي المهندسة الأولى والأخيرة للسيناريوهات السابقة والقادمة في منطقة القرن الأفريقي وهذا ما يؤكده دبلوماسيها قبل أذرعها الإعلامية بقولهم "نحن نحرك الأحداث في القرن الأفريقي كما كان يحرك هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي الأسبق أحجار الشطرنج في الشرق الأوسط في سبعينات القرن الماضي"، وبناءاً على ذلك تعمل دول القرن الإفريقي على إستغلال تلك الفرصة التي قد لا تتكرر لها بعد أن خلقت القوى الدولية من منطقة القرن الافريقي حالة محمومة لمدة تزيد عن العشرون عاماً.[١]

مرت أحداث جسام على منطقة القرن الإفريقي ساهمت بشكل دقيق في إرتفاع موجة التنافس الخليجي على تلك المنطقة والذي وصل إلى مستويات غير مسبوقة بين أعضائه فتخلى ذلك التنافس عن معناه وبات اليوم أشبه بصراعاً وجودياً أصاب أبناء الخليج العربي قبل منظومتهم الخليجية في مقتل.

السناريوهات المحتملة

السيناريو الأول:

ستعمل القوى الدولية على الحيلوله دون عودة الوفاق الخليجي حتى يتسنى لها عزل كل دولة خليجية عن الأخرى وإستخدام ذلك التنافر الخليجي بما يتناسب ومصالحها، خاصة أن هناك ملفات معينة في القرن الإفريقي والسودان لا تريد القوى الدولية أن تظهر أمام الرأي العام بأنها المسؤولة عن إداراتها حتى إذا حدث وإنكشف أمرها فهناك طرف يتحمل المسؤولية وعليه أن يدفع الثمن مما يعرض المصالح الخليجية لمزيد من الإستهداف والتلاشي.

1 - https://www.alanba.com.kw/ar/exclusive-reports/733958/01-04-2017-الحسابات-الخليجية-القرن-الأفريقي/

السيناريو الثاني:

من المُرجح أن يتضاعف التعاون الأمني والعسكري في القرن الأفريقي بين تركيا والصومال وبعض دول الخليج التي تتوافق رؤاها السياسية مع أنقرة وقد تنضم إليهم أثيوبيا أو السودان في مرحلة من المراحل مما ينذر بتصعيد المواقف وتعقيدها، وفي ظل تباين الرؤى السياسية لكل دولة خليجية، والدور المُستقبلي الذي تُريده كل دولة خليجية لنفسها وبمعزل عن الأخرى، سيقود ذلك بطبيعة الحال إلى مزيد من الصراع بين دول الخليج والذي باتت بوادره تظهر في عدد من العواصم الإفريقيه ويعني ذلك أن الصراع الخليجي ليس مقصوراً على منطقة القرن الإفريقي بل قد يمتد إلى عموم القارة الأفريقية مما يزيد إنهيار فكرة الإتحاد الخليجي بشكل عملي وفعلي خاصة أنه لا سبيل لتقارب الرؤى بين دول الخليج العربي على المدى القريب أو المتوسط على الأقل.

السيناريو الثالث:

من المرجح أن يتعزز التنسيق الأمني الإستخباراتي الخليجي الأمريكي في القرن الأفريقي، ولكن يبقى السؤال هنا ما هو المستوى الذي سيصل إليه ذلك التنسيق؟وهل سيكون بالمستوى الذي تتطلع إليه دول الخليج العربي خاصة أن واشنطن وإن تعاونت مع القوات المُتحالفة في اليمن وفي القرن الأفريقي إلا أن تعاونها سيأتي وفقاً لما تراه واشنطن في صالحها والذي سيفضي بالطبع لمزيد من خلط الأوراق في المنطقة، وتراقب القوى الدولية عن كثب ما يحدث في القرن الإفريقي من تغييرات ولديها سيناريوهاتها التي وضعتها قبل أن تضع خطتها للمُصالحة الأرترية الأثيوبية.

التوصيات

العمل على حل الأزمة الخليجية فوراً، والبدء وبشكل جماعي بوضع إستراتيجية عشرية يناط فيها لكل دولة خليجية مهمة معينة، ولابد لدول الخليج أن تعيد قراءة إفريقيا من جديد ولكن ما يعرقل ذلك هو الخلافات السياسية بين دول الخليج العربي التي يجب أن تحل فوراً والعمل على التوجة قدماً وعدم العودة لمربع خلافات لا طائل من وراءها ويُدفع ثمنها من مستقبل وأمن المواطن الخليجي.

العمل على إنجاح مشروع جسر اليمن– جيبوتي المُزمع تنفيذه والذي سيعزز التبادل التجاري بين دول القرن الأفريقي ودول مجلس التعاون الخليجي.

نجحت المملكة العربية السعودية في دعم التمويل الإسلامي وإصدار الصكوك الإسلامية في بعض الدول الأفريقية، وبالتالي تلك فُرصة حقيقية لإرساء قيم إقتصادية قوية لتكتل خليجي إفريقي مستقبلي، والذي يُمكن أن يُنعش الإقتصاد الأفريقي من ناحية، ويُحافظ على الأموال الخليجية بعيداً عن أي إبتزاز سياسي إقتصادي مُستقبلي من ناحية أخرى.

العمل على إبراز وجهة النظر الخليجية لشعوب دول القرن الأفريقي عموماً ولشعب الصومال خصوصاً الذي يرى بأن دول الخليج العربي لم تبذل الجهد " السياسي" المطلوب منذ إنهيار الدولة الصومالية عام ١٩٩١.

أهمية التواصل العربي الأفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة

د. سعيد علي كوزي
جامعة الفاشر(ولاية شمال دارفور- السودان)- كلية الآداب- قسم الجغرافيا

ملخص:

السودان مدخل التواصل العربي الإفريقي، بهدف إبراز أهمية التواصل والتكامل العربي الإفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة، والوقوف على أهم مقومات التواصل العربي الأفريقي، وإبراز السودان كدولة إفريقية عربية لها من الخصائص الجغرافية ما يجعلها أن تكون دولة رائدة في التواصل العربي الإفريقي. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدام الباحث المنهج الاستدلالي عبر المدخل الإقليمي من أجل دراسة خصائص ومميزات الإقليم الأفروعربي، ومعرفة أهم أوجه التقارب بين أجزائه، كما استخدم الباحث المدخل الوصفي التحليلي لوصف منطقة الدراسة وتحليل العوامل الجغرافية التي من شأنها تعضيد وحدة الإقليم. خرج البحث بالعديد من النتائج أهمها: يمر العالم اليوم بمتغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية كبير تسيطر عليها دول نافذة تنبني سياستها على تعظيم مصالحها القومية، وتوجه السياسة الدولية لصالحها؛ الأمر الذي يتطلب تضامن الأقاليم والقوميات المتجانسة حتى تصمد أمام هذه التيارات الانتهازية. توجد العديد من مقومات التواصل العربي الإفريقي أهمها أن ٦٩٪ من العرب يعيشون في إفريقيا و٧٤٪ من مساحة الدول العربية توجد في إفريقيا. هناك اختلاط بين الدماء العربية والإفريقية منذ زمن بعيد مما يُسهل عملية التواصل والتكامل بين الشعبين العربي والإفريقي. الثقافة الإفريقية تقبلت الثقافة العربية وتفاعلت معها، وكونت مزيجاً ثقافياً عربياً أفريقياً مؤطرة بالقيم الإسلامية. إن الخصائص الجغرافية الحاكمة للسودان تؤهله أن يكون نقطة تلاقي بين الدول العربية والإفريقية. كما خرج البحث بالعديد من التوصيات أهمها: المتغيرات الدولية الحالية تتطلب تضافر الجهود المشتركة على المستوى الإقليمي اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

وعلى العربية والإفريقية الاتجاه نحو التواصل والتكامل الاقتصادي والاجتماعي لمصلحة شعوب المنطقة. ضرورة إنشاء جسم عربي إفريقي يهتم بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المشتركة، ويوحد وجهات نظر الإقليم فيها.

على دول الإقليم الاستفادة من موقعها الاستراتيجي في السيطرة على التجارة العالمية بما يخدم الإقليم. يستحسن للدول الإفريقية والعربية الاستفادة من موقع السودان وخصائصه الجغرافية في مد جسور التواصل والتلاقي بينها.

كلمات مفتاحية: (الدول الإفريقية – الوطن العربي – التواصل – التكامل – السودان – النظام العالمي).

Abstract

Sudan is the gateway to Arab-African communication, with the aim of highlighting the importance of Arab-African communication and integration in light of the new global challenges, identifying the most important elements of Arab-African communication, and highlighting Sudan as an African-Arab country with geographical characteristics, which makes it to be a leading country in Arab-African communication. To achieve the objectives of the study, the researcher used the inferential approach across the regional approach in order to study the characteristics and characteristics of the Afro-Arab region, and know the most important aspects of the convergence between its parts. The research has come out with many results, the most important of which are: The world today is undergoing major economic, social and political changes controlled by influential countries whose policies are based on maximizing their national interests, and directing international policy in their favor; This requires the solidarity of the homogeneous regions and nationalities to withstand these opportunistic currents. There are many elements of Arab-African communication, the most important of which is that 69% of Arabs live in Africa and 74% of the area of Arab countries are in Africa. There is a mixing between Arab and African blood for a long time, which facilitates the process of communication and integration between the Arab and African peoples. African culture has embraced and interacted with Arab culture, and has formed an Arab-African cultural mixture framed by Islamic values. The ruling geographical characteristics of Sudan qualify it to be a meeting point between Arab and African countries. The research also came out with many recommendations, uh: The current international changes require joint efforts at the regional level, economically, socially and politically. Arab and African countries should turn towards communication and economic and social integration for the benefit of the peoples of the region. The need to create an Arab-African body that cares about common economic, social and political issues and unifies the region's views on it.

Key words: (African countries - the Arab world - communication - integration - Sudan - the global system)

مقدمة:

لعل العالم اليوم في مفترق الطرق بين المؤسسات الدولية المناط بها تنظيم وإحكام العلاقات البينية بين الدول، وتعظيم قيم الإنسانية من جانب، وايدلوجيا الدول النافذة المبنية على المصالح وغطاء المؤسسات الدولية من جانب آخر. هذا التناقض أفرز واقعاً جديداً تمثل في إعادة إنتاج الجيوبولتيكا ولكن بصورة ناعمة وهي أشد خطراً على الأمم المستضعفة من تلك التي رفضتها المواثيق والقيم الدولية .

يشهد العالم اليوم تكتلاً في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية لمجابهة أي مخاطر وتهديدات محتملة فيما عدا الدول العربية والإفريقية التي تعيش أوضاعاً داخلية وعلاقات جوار مأزومه، وظلت بعيدة عن اللعبة السياسية في المنطقة ، وأصبحت هدفاً لصراع المصالح والنفوذ للقوي الأجنبية، مع العلم بأنه هناك العديد من القواسم المشتركة التي تجعل منها إقليماً متجانساً. لذا إن أرادت هذه الدول أن تعيش بكرامة وتحافظ على قيمها وموروثها الثقافي وإمكانياتها الذاتية لابد من البحث عن نقاط التلاقي التي تجعل منها مجتمعة قوة فاعلة في توازن السياسة الدولية.

يعتبر السودان أحد أهم الدول الأفروعربية التي يمكن أن تلعب دوراً فاعلاً في التكامل الأفريقي العربي؛ وذلك لكونه يقع في قلب أفريقيا ويجاور سبع دول أفريقية تربط بينه وبينها أواصر ثقافية واجتماعية كبيرة، ويمتد نفوذه الإثنوغرافي في أعماق القارة الأفريقية فضلاً عن تشربه بالثقافتين (الأفريقية والعربية) إلى جانب جواره العربي الذي منحة قيمة استراتيجية تفي بهذا الغرض وتجعله الدولة الأنسب لقيادة هذا الاتجاه التكاملي.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في أن الدول الإفريقية والعربية هي الأقرب لبعضها البعض بحكم الروابط الثقافية والاجتماعية والمكانية؛ إلا أنها ظلت بعيدة عن بعضها رغم هذه القواسم المشركة التي تجعل من وحدتها قوة وتفرقها ضعف، لذلك تجئ هذه الدراسة لإبراز هذا الجانب ولفت النظر لإمكانية أن يلعب السودان دوراً بارزاً في هذا الجانب بحكم موقعه الجغرافي ونسيجه الاجتماعي. ولكي تضح المشكلة بصورة أوضح يمكننا أن نطرح الأسئلة التالية:

١- هل هناك قواسم مشتركة تجمع بين الشعب العربي والإفريقي بحيث تجعل منهما إقليماً جغرافياً متجانساً ؟

٢- هل هناك ضرورة للتواصل والتكامل العربي الإفريقي في ظل السياسة الدولية الراهنة ؟

٣- ما إمكانية التواصل العربي الإفريقي؟

٤- ما أوجه التواصل العربي الإفريقي؟

٥- ماهي أنسب الدول التي يمكن أن تلعب دوراً محورياً في التواصل العربي الإفريقي؟

أهداف الدراسة:

١-إبراز أهمية التواصل والتكامل العربي الأفريقي في ظل التحديات العالمية الجديدة.

٢- الوقوف على أهم مقومات التواصل العربي الأفريقي.

٣- إبراز السودان كدولة إفريقية عربية لها من الخصائص الجغرافية ما يجعلها أن تكون دولة رائدة في التواصل العربي الإفريقي.

فروض الدراسة : تتبنى الدراسة الفروض التالية:

١- هناك العديد من المميزات الجغرافية التي من شأنها أن تجعل من المنطقة العربية والإفريقية إقليماً جغرافياً واحداً.

٢- إن التواصل والتكامل العربي الإفريقي يجعل من دول الإقليم قوة سياسية واقتصادية ضاربة تخدم مصالح الطرفين في المنطقة.

٣- يستطيع السودان أن يلعب دوراً بارزاً في مد جسور التواصل العربي الإفريقي بحكم المقومات الجغرافية التي يتمتع بها.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في كونها تعمل على تدعيم التكامل الأفريقي العربي في ظل التناقضات الدولية الحديثة، وتنسيق الجهود في كافة المجالات لاسيما وأن معظم العرب يعيشون في أفريقيا(٦٩٪) وربع سكان إفريقيا هم عرب(٢٥٪)

الخصائص الجغرافية للسودان

<u>الموقع والامتداد:</u>

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي لقارة إفريقيا بين دائرتي عرض ٨.٤٥ و٢٢.٨ درجة شمالاً وخطي طول ٢١.٤٩ و٣٨.٣٤ درجة شرقاً[١] وتجاور السودان سبع دول إفريقية بحدود طبيعية بلغت ٧٦٧٢ كلم بما في ذلك الحدود الساحلية علي البحر الأحمر

١ - عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر.ص١١٥

جدول رقم (٢) والخريطة رقم (١) وهي بذلك رابع دول إفريقيا من حيث عدد الجوار، وتشترك في المركز الثاني عشر مع دول أخرى على مستوى العالم.

جدول رقم (١) الدول المجاورة للسودان وطول الحدود

منطقة الحدود	طول الحدود (كلم)	نوع الحدود
الحدود السودانية مع البحر الأحمر	٨٥٣	بحرية
الحدود السودانية المصرية	١٢٧٦	حدود برية
الحدود السودانية الليبية	٣٨٢	حدود برية
الحدود السودانية التشادية	١٤٠٣	حدود برية
الحدود السودانية مع إفريقيا الوسطي	١٧٤	حدود برية
الحدود السودانية مع جنوب السودان	٢١٥٨	حدود برية
الحدود السودانية الأثيوبية	٧٤٤	حدود برية
الحدود السودانية الأريتيرية	٦٨٢	حدود برية
الجملة	٧٦٧٢ كلم	

المصدر: www.http//:.cia.gov/library/publication/The world Fact Book

خريطة رقم(١) خريطة السودان السياسي

المصدر : https://www.google.com/search?q

المساحة: تبلغ مساحة السودان بعد انفصال الجنوب عام ٢٠١١م حوالي ١٨٨٢٠٠٠ كلم٢ منها ٥٩.٢٪ صالحة للزارعة والمراعي الطبيعية.[١] وهو بذلك ثالث دولة إفريقية من حيث المساحة بعد كل من الجزائر والكنغو الديمقراطية، وكذلك ثالث أكبر دولة عربية مساحة بعد المملكة العربية السعودية والجزائر.

السطح والتضاريس:

أهم ملامح السطح في السودان هو عبارة عن هضبة مرتفعة الجوانب تنخفض بصورة تدريجية ناحية الوسط حيث نهر النيل ويغلب علي سطحه السهول مع بعض المرتفعات البارزة مثل جبال البحر الأحمر في الشرق، وجبال النوبة جنوب الوسط، وجبال مرة في الغرب، والعوينات في الشمال الغربي، وأشار ياسر[٢]، إلى أنه على الرغم مما قد يترتب على تلك الجبال من تأثيرات بيئية محلية إلا أنها بشكل عام لا تمثل عائقاً حقيقاً أمام التحديات البشرية والأنشطة الطبيعية.

المناخ:

يقع السودان في المنطقة المدارية حيث تتنوع فيه الأقاليم المناخية، منها المناخ الصحراوي الحار في الشمال، ومناخ البحر المتوسط علي ساحل البحر الأحمر ومنطقة جبل مرة في دارفور، والمناخ شبه الصحراوي في شمال الوسط، ومناخ السافانا الفقيرة في جنوب الوسط والغرب، ومناخ السافان الغنية على التخوم الجنوبية، ومن واقع البيانات المستمدة من منظمة الفاو عام٢٠٠٧م أن حوالي ٢٩٪ من المساحة الإجمالية للسودان تصنف كصحراء، و١٥٪ شبه صحراء، و٢٧٪ سافنا منخفضة الأمطار، و١٤٪ سافنا مرتفعة الأمطار، و١٠٪ منطقة فيضانات ومستنقعات (مناطق متأثرة بالفيضانات)، وأقل من ١٪ مناطق جبلة.[٣]

وعلى الرغم من أن هذه الإحصاءات تبين الوضع المناخي والنباتي للسودان قبل انفصال جنوب السودان، لكنها تعطي مؤشراً جيداً للمناخ في السودان بصورة عامة.

---

١ – عبد الرحمن محمد الحسن، مصدر سابق، ص١١٥

٢ – ياسر عبد المحمود حامد التهامي (بدون تاريخ) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البحر الأحمر

3 – UNEP (2007) Sudan Post confect Environmental Assessment UNEP Nairobi, Kenya.

أهم الموارد:

الدولة السودانية تمتلك رصيداً مادياً هائلاً ومتنوعاً من الصادرات والواردات (وهذا في حد ذاته) دعم للوجود المادي للدولة وتأكيد للتبيان الاقتصادي السليم إذا ما أتيحت الفرص وتكاملت الأسباب لاستغلال متوازن لكل الموارد المتعددة.[١]

الموارد المائية:

نجد أن الموارد المائية في السودان متعددة المصادر إذ تتكون من مياه الأمطار والمياه السطحية والمياه الجوفية ومياه الأنهر وتقدر كمية المياه المتجددة بحوالي (١٤٩ ملياراً م٣ سنوياً)، وحوالي (١١٩ ملياراً م٣) (٨٠٪) منها تأتي من الخارج عبر الحدود، بينما ما تبقي (٣٠ مليارم٣) من مياه الأمطار، وتقدر كمية المياه المتاحة من هذه المياه للاستخدام حوالي (٣٠ مليار م٣) منها (٢٠.٥ مليار م٣) من نهر النيل، و(٥.٥ مليار) من أنهار أخري، م(٤ مليار م٣) من المياه الجوفية المتجددة[٢].

التقديرات تشمل السودان بصورة عامة بما في ذلك جنوب السودان، يمكن اعتمادها كمؤشر لعدم وجود اتفاق في الأنصبة المائية بين السودان وجنوب السودان فيما يتعلق بمياه النيل حتى الآن.

الزراعة:

السودان من أهم الدول الزراعية في إفريقيا والوطن العربي؛ وذلك لامتلاكه للمقومات الطبيعية اللازمة لقيام النشاط الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي وهي على النحو التالي:

أولاً: الثروة الحيوانية يعتبر السودان من الدول الغنية بالثروة الحيوانية، حيث تملك البلاد نحو ١٣٢ مليون رأس من الأنعام، تمثل ٤٠٪ من القطيع العربي، تسهم بحوالي ٧٪ من المتوسط السنوي للعائد التجاري الخارجي.[٣]

ثانيا: القطاع الزراعي: يمتلك السودان أراضي زراعية تقدر بحوالي ٢٠٠ مليون فدان (٨٤٠٠٠.٠٠٠هكتار)، المساحة المستغلة منها فقط ٢٠٪ (٤٠ مليون فدان (١٦.٨٠٠.٠٠٠ هكتار)، ومساحة الأراضي المروية منها تساوي ١١مليون فدان

---

١ – صلاح الدين الشامي(١٩٧٢) السودان دارسة جغرافية، منشاة المعارف، الاسكندرية، مصر. ٢٤

2 –FAO (2005) Aqua stat Information System on Water and Agriculture, Sudan Country Profile.

٣ - وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم.

(٤٦٢٠٠٠٠ هكتار)، ومساحة الأراضي المروية بالأمطار ٢٩ مليون فدان (١٢١٨٠٠٠٠هكتار)[١].

أهم المعادن:

يمتلك السودان العديد من المعادن في مقدمتها النفط، الحديد، الذهب، النحاس، الزنك، الكروم.[٢] ولكن معظم هذه المعادن لم تستغل حتى الآن فيما عدا النفط والذهب التي تعتبر أهم الموارد الاقتصادية في البلاد.

السكان:

بلغ عدد سكان السودان ٣٠٤١٩٦٢٥ نسمة حسب تعداد ٢٠٠٨م، وهو بذلك يأتي في المرتبة ٣٥ عالمياً والثالث عربياً ١٩إفريقياً، وتبلغ قبائل السودان ٥٩٠ قبيلة، وعدد اللغات واللهجات المحلية ١١٥لغة ولهجة[٣].

الوطن العربي:

يطلق اسم الوطن العربي علي مجموعة الدول العربية التي تجمعها الصفات المشتركة، أهمها التحدث باللغة العربية والقومية العربية[٤] ويمكن إضافة الموروث الثقافي والحضاري المشترك، وعلاقة الجوار الجغرافي التي شكلت إنسان الإقليم وجعلته مميزاً من الأقاليم الأخرى.

يبلغ عدد الدول العربية ٢٢ دولة يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات هي: مجموعة دول الجزيرة العربية وتشمل: المملكة العربية السعودية، الكويت وقطر، والإمارات، واليمن وسلطنة عمان والبحرين، ومجموعة الشام والهلال الخصيب وهي العراق والأردن وسوريا وفلسطين ولبنان، ومجموعة الدول العربية الإفريقية البالغ عددها ١٢ دولة ٦ منها في شمال افريقيا هي: مصر ولبيبا والجزائر وتونس والمغرب العربي وموريتانيا، و٤ دول في شرق إفريقيا هي السودان والصومال وجيبوتي وجزر القمر، الخريطة رقم(٢)

---

١ – وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم

٢ – وزارة الصناعة (٢٠١٦) السودان أرض الفرص الصناعية الواعدة، ملتقي التصنيع والابتكار، الخرطوم.

٣ – أنظر فخرالدين أحمد عبد الله محمد (٢٠١٣) استخدام نظام المعلومات الجغرافية لدارسة خصائص وتركيبة السودان، المؤتمر العالمي السابع جيوتونشي٨-٢٠١٣/٤/١٢مص١١، و عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الآكاديمية العدد (١٣) الجزائر، ص١١٧

٤ – هيثم عمايرة (٢٠١٨/٢/١٥) أهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي www.http//:mowdoo3.com

نجد أن التوزيع الجغرافي للدول العربية في القسم الإفريقي تبلغ حوالي ١٠.٣ مليون كلم٢، وهي تمثل ٧٤٪ من المساحة العامة للوطن العربي، أما القسم الأسيوي فتبلغ مساحته ٣.٧ مليون كلم٢، وهو ما يعادل ٢٦٪ من المساحة الكلية.(١)

الموقع والامتداد:

يشغل الوطن العربي كتلة من اليابس عظيمة الاتساع إذ تبلغ مساحته نحو ١٤ مليون كلم٢. تمتد هذه المساحة عبر قارتي إفريقيا وآسيا امتداداً شاسعاً بين دائرتي عرض ٢ جنوباً و٣٧ شمالاً تقريباً، وبين خطي طول ١٥ درجة غرباً و٦٠ درجة شرقاً تقريباً. أي أن الوطن العربي يغطي ٣٩ درجة عرضة و٧٥ درجة طولية، ويبلغ أقصي امتداد له من المحيط الأطلسي غرباً إلي الخليج العربي شرقاً حوالي ٦٠٠٠ كلم، ويبلغ أقصى امتداد له من الجنوب عند الحدود الجنوبية للصومال إلى أقصي الحدود الشمالية السورية العراقية نحو ٥٠٠٠ كلم.(٢)

يشكل الموقع الجغرافي للوطن العربي قوة استراتيجية ذات تأثير فعّال في السياسة العالمية القديمة والراهنة، سواء أكان ذلك في زمن السلم أو الحرب.(٣)

خريطة رقم(٢) الوطن العربي

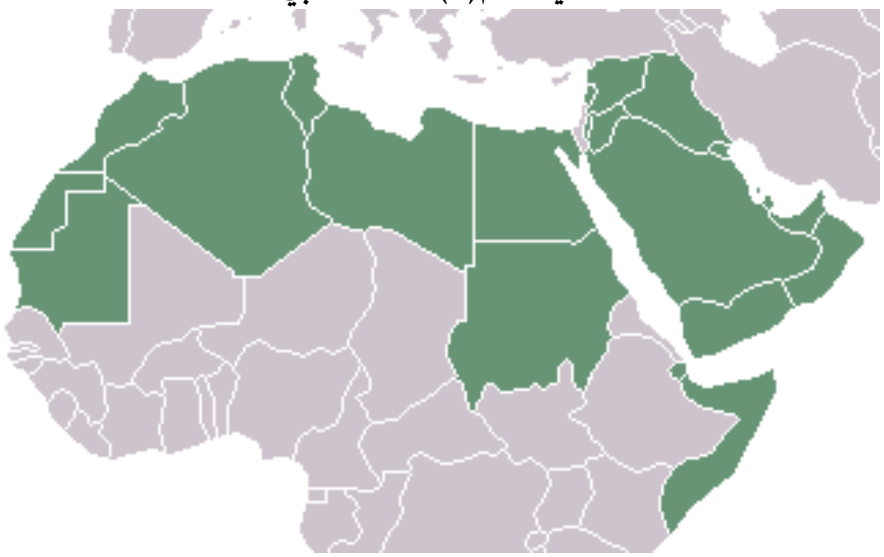

المصدر: https://ar.wikipedia.org/wiki:Arab_World_Green.png

١ – نعيم الظاهر (بدون تاريخ) جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، الأردن.

٢ – محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون(١٩٨٠) الوطن العربي أرضه وسكانه وموارده، مكتبه الأنجلو المصرية، القاهرة.ص٥

٣ – نعيم الظاهر، المصدر السابق،.ص١٧٥

البناء الجيولوجي:

إن تاريخ التطور الجيولوجي للوطن العربي يبدأ منذ أقدم الأزمنة والعصور الجيولوجية ويمتد إلى أحدثها، فنجد على سطحه مساحات واسعة من الصخور النارية، كما نجد رواسب حديثة تعود إلى أحدث العصور... وبالتالي هو عبارة عن متحف جيولوجي يضم صخور تنتهي في تكو ينها إلى جميع الازمنة والعصور الجيولوجية ... أفضت الصخور المتنوعة (دورات) الحت و العوامل التكونية و شبكات التصريف المائي في النهاية إلي تنوع الأشكال الأرضية في المنطقة العربية فيما بين المحيط الأطلسي و خليج عدن و الهوامش الشمالية لبلاد الشام والعراق وهضبة نجد.[١]

السطح والتضاريس:

يتراوح سطح وتضاريس الوطن العربي ما بين أراضي مرتفعة تمثلها الجبال والهضاب، وأراضي منخفضة وتمثلها السهول.

أورد مؤمن[٢] (٢٠١٩/٢/٣م) بأن أهم مظاهر السطح في الوطن العربي تتمثل في الجبال وهي ثلاثة أنواع :النوع الأول الجبال الالتوائية مثل جبال أطلس وجبال زاغروس وكردستان في العراق، وجبال طوروس الواقعة شمال الوطن العربي، وجبال عُمان المطلة على الربع الخالي. أما النوع الثاني هي الجبال الانكسارية مثل جبال الشام وجبال البحر الأحمر وجبال عسير والحجاز اليمن، والنوع الثالث هي الجبال القديمة مثل جبال نفوسة وتبستي في ليبيا والعوينات الواقعة في الحدود السودانية المصرية الليبية، وجبال دارفور وكرفان في السودان. أما الهضاب وهي تنقسم إلى الهضبة الأفريقية التي تمتد من ساحل البحر المتوسط إلى أواسط إفريقيا والهضبة الأسيوية التي تشمل هضبة نجد في الجزيرة العربية وهضبة بادية الشام في شمال الجزيرة العربية.

أما السهول فنجدها شقين الآسيوي والإفريقي، وتقع سهول الشق الآسيوي في منطقة الهلال الخصيب مثل سهل العلويين وسهل إسكندريون وسهل عكار، وسهل صيدا بالإضافة لسهول فلسطين وبادية الشام.[٣]

---

١ – نعيم الظاهر، مصدر سابق، ص٣٣-٤٩

٢ – مؤمن منصور فنون(٢٠١٩/٢/٣) تضاريس الوطن العربي www.http//:mowadoo3.com

٣ – عبير زايد منصور(٢٠١٩/٥/٦) تضاريس وطننا العربي www.http//:mowadoo3.com

أما السهول في الشق الإفريقي فنجدها تتمثل في سهول نهر النيل في كل من مصر والسودان وسهول البحر المتوسط شمال مصر وليبيا والمغرب العربي، والسهول الساحلية المتاخمة للمحيط الأطلسي في شمال، غرب افريقيا.

المناخ:

توجد عدة عوامل تؤثر في مناخ الوطن العربي يمكن أن نحصرها في (الموقع الفلكي، والجغرافي، والامتداد ، والتضاريس).

وبناء على العوامل المؤثرة في مناخ الوطن العربي وسيادة فصلي الشتاء والصيف يمكن أن نقسم الوطن العربي إلي ثلاثة أقاليم مناخية كالآتي[١].

أولاً- إقليم البحر المتوسط: ويظهر على امتداد خط الساحل وظهيره المباشر علي حوض البحر المتوسط، ويتسم المناخ في هذا الاقليم بشتاء دافئ ممطر، وصيف حار، وتتراوح كمية الأمطار بين ٩.٥ – ٨٨ سم، وتتفاوت كمية الأمطار لاختلاف التضاريس الساحلية وامتدادها، أو الغرب أوالبعد عن الأعاصير القادمة من البحر.

ثانياً- الإقليم المداري المطير: يظهر هذا الإقليم في الأطراف الجنوبية للوطن العربي، وأهم ما يميزه الشتاء الجاف والصيف الممطر، وهو يختلف مكان لآخر حسب الموقع والتضاريس، أو اتجاه الرياح، وينقسم لقسمين:

أ- إقليم المطر الصيفي السوداني: وفيه نجد أن أدنى المتوسط الحراري ٢٢ درجة مئوية، وأعلاه ٣٣ درجة مئوية، والمدى الحراري السنوي قليل جداً في الجنوب ويزداد كلما اتجهنا شمالاً مع انخفاض ملحوظ في موسم الأمطار. وينحصر موسم الأمطار بين يونيو وأكتوبر، حيث تزداد معدلات الأمطار جنوباً وتقل كلما اتجهنا شمالاً.

ب- إقليم المطر الصيفي في شبه الجزيرة العربية: يشمل هذا الاقليم الجزء الجنوبي والغربي من شبه الجزيرة العربية، ويتميز بانقسام السنة لفصلين فصل حار مطير ترتفع فيه درجات الحرارة لأكثر من ٣٢ درجة مئوية وتسقط فيه الأمطار الموسمية (في أحسن الأحوال لا تتجاوز ٦٠ سم)، أما الفصل الجاف فهو فصل الشتاء وفيه تنخفض درجات الحرارة.

١- نعيم الظاهر مصدر سابق ص١٠٥-١١١١

ثالثاً- الإقليم الصحراوي: يمتد هذا الإقليم بين دائرتي عرض ١٨-٣٠ درجة شمالاً ويشمل الصحراء الكبرى الإفريقية وامتدادها في الجزيرة العربية، ويتميز بارتفاع درجات الحرارة في شهر الصيف، وانخفاضها في الشتاء، والمدى الحراري الفصلي واليومي كبير جداً، وهو إقليم جاف لا تسقط فيه الأمطار إلا نادراً وفي أحسن الظروف لا تتجاوز بضعة سنتمترات.

<u>الموارد الطبيعة:</u>

يزخر الوطن العربي بالعديد من الموارد الطبيعة (إذا كانت كامنة أو مستغلة) الأمر الذي يجعله في مقدمة الأقاليم الاقتصادية في العالم، على الرغم من أن هذه الموارد ما تزل لم تستغل الاستغلال الأمثل التي يمكن حصرها في الآتي:

أولاً - الموارد المائية:

إن إجمالي الموارد المائية بالوطن العربي ٣٦٣.٥ مليار متر مكعب وهي تنقسم إلى موارد متجددة وتبلغ ٣٣٨ مليار متر مكعب منها ٢٩٦ مليار متر مكعب مياه سطحية، و٤٢ مليار متر مكعب مستودعات مياه جوفية. وموارد غير متجددة وتبلغ ١٥ مليار متر مكعب جميعها مياه جوفية. وهنالك المياه المحلاة وتبلغ ٢.٥ مليار متر مكعب. (دياب،١٩٩٨، ١٧-١٩). وعلى الرغم من هذه الموارد الكبيرة أشار نعيم[١]. إلى أن الوطن العربي يعاني ضغوط شديدة على موارد المياه المتاحة، فهو يمثل ١٠٪ من مساحة العالم، ٥٪ من مجموع سكانه، ولكنه يحظى فقط بأقل من ٥٪ من موارد العالم المائية العزبة المتجددة. من أكثر الدول العربية التي تعاني من ندرة المياه هي جمهورية مصر العربية التي تعتمد على النيل بصورة كبيرة، وكذلك معظم دول شبه الجزيرة العربية التي تعتمد على تحلية مياه البحر للحصول على المياه العذبة وهي عالية التكلفة.

الأراضي الزراعية:

تشكل مساحة الأراضي الزراعية في الوطن العربي حوالي ١٤٪ من المساحة الكلية للدول العربية البالغة ١٤١٥ مليون هكتار، بينما لا تتجاوز الأراضي المستغلة منها الثلث، وقد شكلت مساحة الأراضي الزراعية المروية ١٦.٨٪ من مساحة الأراضي الزراعية الموسمية أما الأراضي المتروكة بور ٢٨.٢٪ .[٢]

---

١ - نعيم الظاهر مصدر سابق ١٤١

٢ - المنظمة العربية للتنمية الزراعية (٢٠١٨) الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية، جامعة الدول العربية، الخرطوم ص٤٧-٤٨.

المراعي:

تمثل المراعي حوالي ٣٥٪ من مساحة الدول العربية، غالبية هذه الموارد في الأراضي الجافة وشبه الجافة، وهي في تراجع كبير؛ لانخفاض معدلات الأمطار، وتعتبر إنتاجية المراعي في الدول العربية منخفضة مقارنة بالدول الأخرى وهي تمثل ٢٠٪ من انتاجية المراعي في الدول المتقدمة وثلث مثيلاتها في الدول النامية.[١] (المنظمة العربية للتنمية الزراعية ٢٠١٩م،٤٥). ولكن على الرغم من هذه الإنتاجية الضعيفة لمعظم الدول العربية هنالك بعض الدول تمتاز بالإنتاجية العالية مثل السودان والصومال والمغرب والجزائر.

الموارد المعدنية في الوطن العربي:

شكل التكوين الجيولوجي والحركات التكتونية للوطن العربي أرضية جيدة للعديد من الموارد المعدنية؛ الأمر الذي جعله محط أنظار العالم لما يحتويه من ثروات طبيعة كبيرة ذات تراكيز عالية، وبالتالي تكاليف وانتاجية معقولة. ومن أهم هذه المعادن حسب الأهمية نجد البترول والغاز الطبيعي، حيث تنتج الدول العربية ٣٥٪ من الانتاج العالمي للبترول، وتصدر حوالي ٩٥٪ من إنتاجها مما مكنها من التحكم في حوالي ٦٠٪ من تجارة النفط العالمي، أما بالنسبة للغاز الطبيعي فنجد أن الدول العربية مجتمعة بلغ احتياطها ٥٤.٣ ترليون متر مكعب.[٢] (نعيم،٢٠٠٢م،٢٠٧-٢٢١). أما الاحتياطي المحسوب من الرصاص فقد بلغ ٢.٤١ مليون طن، والزنك بلغ ٣.١٧ مليون طن، وبذلك يمتلك الوطن العربي ١.٥٪ من الاحتياطي العالمي للرصاص و١.٣٦٪ من الاحتياطي العالمي للزنك. أما احتياطي الدول العربية من الفوسفات ويقدر بحوالي ٥٣ مليون طن؛ وبالتالي تأتي الدول العربية في المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة من حيث احتياطي الفوسفات. أيضا ينتج الوطن العربي حوالي ١١٪ من الإنتاج العالمي للمنجنيز و٦٪ من الكوبلت وحوالي ١٪ من الانتاج العالمي للحديد، كما ينتج كمية قليلة من الناس تقدر بحوالي ٥ ألف طن سنوياً.[٣] (نعيم، ٢٠٠٢م ،٢٠٧-٢٢١).

١ – المصد نفسه ص ٤٥

٢– نعيم الظاهر مصدر سابق ٢٠٧-٢٢٢١ -

٣ – نفس المصدر ونفس الصفحات

السكان:

بلغ عدد السكان في الدول العربية مجتمعة حوالي ٢٩١ مليون تقريباً حسب تقديرات العام ٢٠٠٠م بمعدل نمو سنوي وصل ٢.٣٪؛ حيث سُجل أعلى معدل نمو سنوي في سلطنة عُمان ٣.٤٨٪ وأقل معدل نمو في لبنان وتونس بمعدل ١.٣٨٪ و١١ على التوالي.[١]

من الملاحظ أن هناك ارتفاع في كثافة السكان في الوطن العربي بمعدل ١٨نسمة/كلم٢ مع الاختلاف من قطر لآخر، و يتركز سكان الوطن العربي في أربعة نطاقات رئيسة: النطاق الأول هو: منطقة حوض وادي النيل و القرن الإفريقي الذي يضم كل من مصر و السودان و الصومال و جيبوتي، و يسكن فيه حوالي ٣٩٪ من سكان الوطن العربي، النطاق الثاني هو: شمال إفريقيا و تضم كل من ليبيا و تونس والجزائر و المغرب و موريتانيا و يسكنها حوالي ٣٠٪ من سكان الوطن العربي ، أما النطاق الثالث هو: نطاق الهلال الخصيب و يضم العراق و سوريا و الأردن و فلسطين و لبنان و يسكنه حوالي ١٧٪ من السكان، و النطاق الرابع و الأخر هو منطقة الجزيرة العربية التي تضم السعودية و الإمارات و الكويت و قطر و البحرين و سلطنة عمان و اليمن و يسكنها حوالي ١٤٪ من سكان الوطن العربي.[٢]

قارة أفريقيا:

الموقع والإمداد:

تقع القارة الإفريقية بين دائرتي عرض٢١ و٣٥ شمال خط الاستواء، و٥١ و٣٤ جنوب خط الاستواء، و خطي طول ْ١٧.٣٣درجة غرباً و٥١.٢٣ درجة شرقاً. هي ثالث قارة في العالم من حيث المساحة، إذ تبلغ مساحتها الكلية حوالي ٣١ مليون كل م٢ وأقصي طول للقارة من الشمال إلى الجنوب ٨٠٠٠ كلم، وأقصي عرض لها نحو الشرق ٧٥٠٠ كلم. أما طول سواحلها فتبلغ حوالي ٣٥٠٠ كلم.[٣] والملاحظ أن حدودا قارة إفريقيا هي حدود مائية؛ حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الجنوب الشرقي المحيط الهندي، بينما في الاتجاه الجنوبي والغربي المحيط الأطلسي خريطة رقم (٣).

---

1 –www.http//:aLja2eera.net special File's/paqesl7544شبكة الجزيرة الاعلامية

٢ – نعيم الظاهر مصدر سايق ص ١٨٠–١٨١

٣ – أنور عبد الغني العقاد(١٩٨٢) الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض، ص ٤

تمثل القارة ٢٠٪ من مساحة اليابس في العالم و٥.٩٪ من مساحة الكرة الأرضية، ويشرف ٥٣٪ منها على البحار والمحيطات، أما الأقسام القارية البعيدة عن الساحل فتمثل ٤٧٪.[١]

خصائص السطح:

على الرغم من أن إفريقيا جنوب جبال الأطلس تفتقر إلى وجود المرتفعات الالتوائية فان بها قمماً وهضاباً عالية، فهنالك خمس مناطق متميزة في القارة خارج نطاق الأطلسي، حيث ترتفع الأرض لأكثر من ٣٠٣٠م. ففي الصحراء الكبرى ترفع كتلة تبستي إلى علو (٣٣٩٥) متراً وإلى الجنوب الغربي منها في السودان يصل ارتفاع جبال دارفور ٣٢٥٢ متراً. كذلك نجد أن النشاط البركاني كان مسئولاً عن تراكم العديد من القمم الجبلة العالية منها جبل كمرون ٤٠٤٦ متراً، وفي منطقة الأودية الأخدودية نجد روينزوري ٥٠٩٠ متراً، وفي الشرق ترتكز الهضبة الإفريقية التي يصل ارتفاعها إلى حوالي ١٥٠٠ متراً، ومع هذا فهناك جبال الأطلسي الالتوائية التي يبلغ ارتفاعها ٤١٤٠ متراً .... ويقع حوالي ٦٢٪ من القارة فوق ارتفاع ٣٦٠ متراً؛ بينما تبلغ نسبة الأراضي التي تعلو ٩٠٠ متراً حوالي ٤٧٪.[٢]

البناء الجيولوجي:

يعتبر البناء الجيولوجي لإفريقيا بسيط نسبياً مقارنة بغيرها من القارات الأخرى، فقد بقي معظم القارة كلته راسخة صلبة منذ عصور ما قبل الكمبري، ولهذا فإن الصخور الحديثة التي أصباحها الالتواء الزائد لا توجد إلا في هوامشها الشمالية والجنوبية.... والصخور المنشرة هي نوع من أنواع الصخور النارية والمتحولة ويمكن مشاهدتها ظاهرة في أماكن مبعثرة فوق معظم سطح القارة.[٣]

١ – أنور عبد الغني العقاد مصدر(١٩٨٢) سابق ص٤

٢ – جودة حسنين جودة (١٩٩٦) جغرافية إفريقيا الإقليمية، منشأة المعارف، الاسكندرية ص ص ٤٨–٥٠

٣ – نفس المصدر ص ٣٧

خريطة رقم(٣) إفريقيا السياسية

المصدر : https://www.google.com/search?q

المناخ:

المعروف أن قارة إفريقيا تمتد بين ٣٧.٢١ درجة شمال خط الاستواء، ٣٤.٥١ درجة جنوبه، وهو الأساس الذي تشكل عليه مناخ القارة، فضلاً عن بعض العوامل الطبيعة المحلية الأخرى مثل المرتفعات والمسطحات المائية، والأراضي القارية وغيرها، بالإضافة للحركة الظاهرية للشمس التي تتعامد مرتين في السنة في المنطقة المحصور بين مداري السرطان ٢٣.٢٧ شمالاً والجدي ٢٣.٢٧ جنوباً.

الأقاليم المناخية:

طبقاً لتنصيف كوبن فإن قارة إفريقيا تتنوع فيها الأقاليم المناخية في قسميها الشمالي والجنوبي، ويظهر التشابه الواضح بين القسمين فما نجده من أقاليم في النصف الجنوبي نجده في النصف الشمالي.

إن الأقاليم المناخية في القارة تتباين من الأقاليم المداري بأنواعه، فالمناخ (A) ممطر طول العام وله قمتان إحداهما في الربيع والأخرى في الخريف وتتراوح كمية الأمطار سنوياً ما بين ١٢٠٠-١٨٠٠م.[١]

أما المناخ الموسمي (A M) فيتركز في ساحل غانا ويستقبل أمطاراً تفوق الإقليم (AF) رغم أن له موسم جاف في فصل الشتاء[٢] ويلي الاقاليم السابقة شمالاً وجنوباً وشرقاً الإقليم المداري ذا المطر الصيفي أي ما يطلق عليه مناخ السافانا، ما عدا المناطق المرتفعة. لا تقل درجة حرارة هذا الاقليم عن ١٨ مئوية.[٣]

ويلي إقليم مناخ السافانا اقليم الإستبس أو ما يعرف بالإقليم شبه الصحراوي (BS) ويتصف بقلة الأمطار تدرجاً بالبعد عن خط الاستواء ... وبعد عبور الصحراء يظهر هذا الإقليم مرة أخرى على هامش الصحراء شمالاً وجنوباً أي قبل الانتقال إلى اقليم البحر المتوسط. ويمتد الإقليم الصحراوي الجاف (BW) في شمال القارة يشمل الصحراء الكبرى .... وفي النصف الجنوبي يمتد في صحراء ناميبيا وبعض مناطق كلهاري، يتصف هذا الإقليم بالقارية والجفاف وارتفاع المدى الحراري وندرة الأمطار وقلة الرطوبة، وفي أطراف القارة الشمالية والجنوبية يسود مناخ البحر المتوسط (C) بأنواعه ذات المطر الشتوي (CS) المرتفع الحرارة والجاف صيفاً والممطر شتاءً، وذو المطر الصيفي (CW) أقصى جنوب غرب القارة في مرتفعات الكاب، وذو المطر طول العام (CF) في جنوب شرق القارة. كما يظهر مناخ المرتفعات في أثيوبيا وكينيا وأوغندا ومرتفعات الأخدود الإفريقي.[٤]

الموارد:

تعتبر قارة إفريقيا من أهم قارات العالم من حيث وفرة الموارد الطبيعية وتنوعها، حيث يمكن حصر أهمها فيما يلي:

١ – محمد عبد الغني السعودي(٢٠٠٤) إفريقيا (دراسة شخصية القارة شخصية الإقليم)، الأنجلو المصرية، القاهرة ص ٤٠١

٢ – عطية محمود محمد الطنطاوي (٢٠١٥) إفريقيا قارة المستقبل الواعد، المناخ والنبات الطبيعي في إفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، تأليف مجموعة من الأساتذة، تحرير أ. د السعيد ابراهيم البدوي، جامعة القاهرة ص٩٢

٣– يوسف عبد المجيد فايد(١٩٩٩) الأقاليم المناخية في إفريقيا وفقاً لتنصيف كوبن، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ص١٤٣

٤ – عطية محمود محمد الطنطاوي (٢٠١٥) المصدر السابق ص٩٤

الموارد المائية:

الأمر المؤكد هو وفرة المياه في إفريقيا مع تعدد مصدرها و تنوعها متمثلة في مياه الأمطار و المياه الجوفية و مياه الأحواض و مياه الأنهار و المياه السطحية، و لكن مع ذلك أعداداً كبيرة من السكان تعاني من الحصول علي المياه النقية الصالحة للشرب، و في هذا الصدد أورد كلود.[1] (٢٠١٤م) أن إفريقيا بها مياه سنوية تقدر بحوالي ٥٤٠٠ مليار متر مكعب ، فقط ٤٪ منها يجري استخدمها كمياه صالحة للشرب، و هنالك العديد من الدول الإفريقية تعاني من الحصول على مياه الشرب فيما عدا وسط إفريقيا؛ ذلك لسوء توزع المياه. بصورة عامة نصيب الفرد الإفريقي من المياه يتراوح بين ٢٠٠٨-٤٠٠٨ متر مكعب في العام، وهي نسبة أقل من المعدلات العالمية المتعارفة، وإن فقر الماء يطال ٨٠٪ من الأشخاص، وهنالك ٣٠٠ مليون إفريقي غير قادرين على الحصول على المياه الصالحة للشرب.

تتعاظم المشكلة بصورة كبيرة في المستقبل مع ازدياد معدلات نمو السكان وبالتالي استغلال كميات كبيرة من المياه في الزراعة وبعضها تهدر بإنشاء السدود، الأمر الذي قد يعجل من بروز العديد من الصرعات الإقليمية على المياه والسيطرة على منابعها؛ ولعل من أبرز ذلك الصراع الأثيوبي المصري فيما يتعلق بسد النهضة.

الموارد الزراعية:

تتميز القارة الإفريقية بإمكانيات زراعية جيدة من حيث التربة و الموارد المائية و الظروف المناخية الملائمة للعديد من المحصولات خاصة المدارية منها، أورد محمد.[2] تقريراً عن النشاط الزراعي في إفريقيا أشار فيه إلي أن القارة الإفريقية تتمتع بنوعيات مختلفة من التربات الغنية التي تبلغ مساحتها (٢.٣٠٠.٠٠٠كلم٢) منها (٧٠٠.٠٠٠كلم٢) أراضي ذات امكانيات ممتازة تتركز في الهضبة الأثيوبية ودلتا نهر النيل، و(١.٦٠٠.٠٠٠كلم٢) ذات الإمكانيات الجيدة والتي نجدها في وسط و جنوب شرق القارة وفي بعض مناطق الغرب. أما الأراضي ذات الامكانيات الانتاجية الجيدة فتمثل ٣٥٪ من مساحة القارة(١٢.٩٠٠.٠٠٠كلم٢).

---

١ – كلود جامتية (٢٠١٤) إفريقيا والماء، مراجعة عبيد إميبحن، مركز الجزيرة للدارسات(٢٠١٥/٦/٥) مؤسسة الفارابي للنشر، باريس

٢ – محمد عزالدين (٢٠١٦) النشاط الزراعي في إفريقيا هل سيزهر يوما، تقرير مركز الدراسات الإفريقية

وتتوزع بين الشريط الساحلي لشمال القارة ووسطها وجنوبها الشرقي منها (٧٠٠.٠٠٠كلم٢) أراضي ذات إمكانية جيدة و(١.٦٠٠.٠٠٠كلم٢) ذات امكانيات متوسطة، و(١.٢٠٠.٠٠٠كلم٢) ذات امكانية جيدة نسبياً. تبلغ الأراضي ذات الامكانيات المتوسطة ١٧٪ من مساحة القارة الساحة تقدر بحوالي (١٧.٩٠٠.٠٠٠) كلم٢ و تبلغ مساحة الأراضي الفيضية(٢٧٠.٠٠٠كلم٢).

والملاحظ رغم هذه الإمكانيات الزراعية الكبيرة إلا أن سكان القارة الإفريقية أكثر الشعوب تعرضاً للمجاعات؛ ذلك لنمط الانتاج التقليدي والنشاط الاكتفائي الذي لا يتجاوز حدود الأسرة، إضافة لتخلف التقانة الزراعية المستخدمة.

الموارد المعدنية:

تعتبر إفريقيا من القارات الغنية بالعديد من المعادن على الرغم من أن الكثير من هذه المعادن لم تستغل وظلت كامنة حتى الآن، أو حتى تلك التي استغلت تم استغلالها بصورتها الخام مما يقلل من قيمتها الاقتصادية لصالح الدول المستوردة.

تمد إفريقيا العالم بالعديد من المعادن النادرة فهي تحتوي على ٩٠٪ من احتياطي الكروم تنتج منه سنوياً ما يعادل ثلث إنتاج العالم، كما تنتج ربع إنتاج العالم من المنجنيز، وأكثر من ثلثي إنتاج العالم من الكويلت، وأكثر من ثلث إنتاج العالم من البريكيون، وأربعة أخماس إنتاج العالم من التيتانيوم، وأكثر من نصف إنتاج العالم من الذهب، وخمس إنتاج العالم من البلاتين، ومعظم إنتاج العالم من الماس. أما مصادر الوقود نجدها تنتج فقط ٣٪ من إنتاج العالم من الفحم، وبها حوالي ١٠٪ من احتياطي الغاز الطبيعي، و١٥٪ من احتياطي البترول[١]. على الرغم من أن إفريقيا بها العديد من المعادن النادرة والاستراتيجية نجدها ضعيفة في إنتاج موارد الطاقة مثل البترول والغاز الطبيعي التي تتركز بصورة أساسية في شمال وغرب إفريقيا.

سكان إفريقيا:

بلغ عدد السكان في إفريقيا عام ٢٠١٤م حوالي ١١٣٨ مليون نسمة بزيادة سنوية بلغت ٢٧ مليون نسمة خلال الفترة ٢٠١٠م-٢٠١٧م، وحسب الزيادة السنوية من المتوقع أن يصل عدد السكان في إفريقيا بحلول عام ٢٠٥٠م حوالي ٢٣٩٣ مليون نسمة.[٢]

- جودة حسنين جودة ١٩٩٦م مصدر سابق ص ص ١٤٣-١٤٥١

٢ - الأمم المتحدة (٢٠١٤) إدارة الشؤون الاقتصادية، رصد سكان العالم تقرير موجز، نيويورك ص٣

إن السكان في إفريقيا يتزايدون بنسبة كبيرة بلغت الآن ١١٪ عن كل عشر سنوات، ويعش هؤلاء السكان في رقعة من الأرض مساحتها حوالي ٢٢٪ من مساحة يابس العالم، ويبلغ متوسط الكثافة أكثر من ٢٢ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد.[١] وتعبير قارة إفريقيا على الرغم من الزيادة السكانية الكبيرة إلا إنها من القارات قليلة السكان؛ وذلك بالنظر إلى كثافة السكان مقارنة بالقارات الأخرى مثل آسيا وأروبا والأميركتين؛ ولعل السبب يرجع بصورة أساسية إلى الهجرة الكبيرة الآن، وتهجير السكان الأفارقة في القرنين الماضيين وبيعهم كرقيق في أوروبا وأمريكا، فضلاً عن زيادة معدلات وفيات الأمهات والأطفال الرضع والحرب التي انتظمت القارة.

والجدير بالذكر أن إفريقيا بها العديد من السلالات حيث يمثل الزنوج حوالي ٧٠٪ من سكان القارة، ويليهم الجنس المغولي الذي يتمركز في مجموعة الجزر الواقعة جنوب شرق القارة، ثم الجنس القوقازي الذي يتمركز في شمال إفريقيا بين العرب والبربر وفي القرن الإفريقي وأخيراً الاقزام وهم السكان الأصليون للجنوب الإفريقي.[٢]

تاريخ التواصل العربي الإفريقي

التواصل يعني به استمرار الصلاة والروابط الحضارية والثقافية والتجارية والاجتماعية ونحوها بين الأمة العربية والشعوب الإفريقية، وذلك من أجل التعاون والتناصر وتبادل الخبرات والمصالح، وبالتالي تحقيق التقدم والتطور والنماء.[٣]

وهذا التواصل الإفريقي العربي ليس أمر جديد وإنما يرجع إلى ما قبل الإسلام، وفي هذا الصدد أشار ظاهر.[٤] إلى انه نتيجة للجوار الإفريقي العربي حدثت هجرات عربية قديمة نحو إفريقيا وبالعكس هنالك هجرات إفريقية نحو الجزيرة العربية وهو في الأرجح قبل الميلاد عن طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس شمالاً، وباب المندب جنوباً .... وإن مبررات تلك الهجرات تعود إلى حالات الجفاف والقحط التي مست الجزيرة العربية لعصور متتالية.

---

١ – جودة حسنين جودة المصدر السابق ص١١٧

٢ – راوية توفيق، شبكة الجزيرة الإعلامية.www.http//:algzeera.nets special Files pages

٣ – صلاح الدين حسن عبد الله (٢٠١٨) التواصل العربي الإفريقي وأثره في التنمية والتطور في إفريقيا، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ٢٠١٨/٤/١١م

٤ – ظاهر جاسم محمد الدوري(٢٠١٦/١٠/٢٩) التواصل العربي الإفريقي عبر التايخ www.http//:Sudaress.com /Sunil/95218

ولذلك انتقلت عدة قبائل عربية إلى الأرض الإفريقية لتستقر فيها بحثاً عن متطلبات العيش، فضلاً عن رحلات القوافل التجارية التي كانت مزدهرة. أورد.[١]

أن العرب هم أول أمم الأرض اتصال بالشعوب الإفريقية فكانوا بذلك أول من تعامل معهم ثم استقر بعضهم بالقارة الإفريقية منذ عصور موغلة في القدم.

ازداد التواصل العربي الإفريقي بصورة كبيرة بعد القرن السابع الميلادي عندما بدأ الإسلام في الانتشار خارج نطاق الجزيرة العربية، خاصة في شرق إفريقيا عن طريق باب المندب (أقصر الطرق المؤدية إلى إفريقيا). وهناك آراء متعددة حول دخول الإسلام إلى إفريقيا؛ فمنهم من يعده بعد هجرة اتباع الرسول(ص) إلي الحبشة في بداية الدعوة... ومنهم من يري أن سواحل إفريقيا الشرقية تأثرت بالإسلام في الوقت نفسه الذي بدأ يرسى كيانه في الجزيرة العربية .[٢]

تلي هجرة اتباع الرسول (ص) إلى الحبشة العديد من الهجرات إلى إفريقيا منها هجرة أهل الردة في زمن الخليفة أبي بكر الصديق، وهجرة الخوارج في زمن الخليفة علي بن أبي طالب .... ومن ثم توالت الهجرات العربية إلى إفريقيا إلى يومنا هذا، أدت هذه الهجرات إلي امتزاج الدم العربي بالإفريقي .... مما نتج عنه ظهور جيل عربي الأصل إفريقي الدم.[٣]

لكل ما سبق الملاحظ أن التواصل العربي الإفريقي قديم قدم التاريخ وكان قد ازداد بصورة كبيرة بعد ظهور الإسلام الذي تلته هجرات كبيرة إلى جنوب إفريقيا خاصة بعد الخلافة الراشدة عندما ازدادت الخصومات السياسية بين بني أمية والعباسيين، حيث انتشر عدد كبير من التجار والرعاة الذين سبقهم الرعاة وتوغلوا في إفريقيا شمالاً ووسطاً وغرباً وساهموا في نشر الإسلام والثقافة العربية، ووضعوا اللبنات الأولي للتواصل العربي الإفريقي الذي ظل ماثلاً حتى اليوم. كذلك من جانب آخر هنالك تواصل إفريقي قوي على الجزيرة العربية عن طريق التواصل التجاري خاصة عندما حكم الاحباش اليمن، وفي هذا الصدد اشار.[٤]

---

١ – حميد دولاب ضيدان (١٩٩٣) الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، ليبيا

٢ – ظاهر جاسم محمد الدوري ٢٠١٦ مصدر سابق

٣ – صلاح الدين حسن عبدالله ٢٠١٨ مصدر سابق

٤ – ظاهر جاسم محمد الدوري ٢٠١٦م مصدر سابق

إلى أن اليمن كانت تحت حكم الأحباش في القرنين الرابع والسادس الميلاديين وكان ذلك سبباً في النزوح الإفريقي إلى الجزيرة العربية وتؤخذ مثالاً للتواصل بالاتجاه المعاكس على الرغم من ارتباط ذلك بالعوامل التجارية والعسكرية فلا زالت آثار هذا التواصل موجودة حتى الآن.

وهناك هجرات كبيرة من سكان القارة الإفريقية إلى الجزيرة العربية بعضها مرتبط بالحج وبعضها مرتبط بالتجارة، حيث نجد العديد من الإثنيات الإفريقية التي تشكل حضوراً كبيراً في الدول والمجتمعات العربية بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة. وازدادت هذا الهجرات في الآونة الأخيرة إلى دول الخليج العربي خاصة بعد اكتشاف البترول وتحسين الأوضاع المعيشة في دول الخليج مما أقرى عدد من الشباب للهجرة والاستيطان بصورة رسمية هنالك.

أهمية التواصل:

كما سبقت الإشارة إلى أن الأمة العربية والإفريقية تربطهما العديد من القواسم المشتركة سواء كانت هذه القواسم ثقافية أو جغرافية أو إثنية على مر التاريخ وفي الوقت الراهن. هذه العلائق والصلات ليست مصطنعة أو وليدة اللحظة؛ وإنما هي واقع فرضته الظروف التاريخية والجغرافية مما يحتم على الأمتين العربية والإفريقية تعضيد هذا الجانب بالتنسيق المشترك في العديد من المواقف الاقتصادية والسياسية والأمنية والاستراتيجية على المستويين الإقليمي والعالمي.

يتجه العالم اليوم بقوة نحو التكتلات الإقليمية على كافة الأصعدة الاقتصادية والأمنية والسياسية، ولعل أهمية التكتلات تكمن في جل قضايا التنمية بمفهومها الشامل، ومواجهة التكتلات الخارجية في ظل عالم اليوم الذي لم يعد فيه مجالاً للدول المنفردة والكيانات الصغيرة التي تكون في أغلب الأحيان ضحية للتبعية الاقتصادية والسياسية والأمنية.[١]

١ – سعيد علي كوزي(٢٠٠٩م) التحليل الجيواستراتيجي لدول القرن الإفريقي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطومص ٢٦٦

أشار عبد الهادي[1] إلى أن عوامل التشابه والتقارب والتكامل في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تؤدي إلى رفع عملية التنمية الإقليمية الداخلية وإلى تحقيق إمكانية التعايش والانسجام بين شعوب المنطقة، وتقضي على احتمالات نشوب الصراعات والنزاعات الداخلية والإقليمية.

إذا نظرنا إلي الخارطة السياسية العالمية بعد وقبل الحرب العالمية الثانية نلاحظ أن الاتجاه الدولي الحديث يتجه نحو التكتلات ابتداءً من المعسكر الشرقي الذي تضامن حول الايدولوجية الماركسية بزعامة الاتحاد السوفيتي، والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة وحلفائها الذي إلتف حول الرأسمالية وحاول تجييش الدول حوله، ثم ظهر تيار آخر سمي نفسه دول عدم الانحياز في مؤتمر باندونق الشهير(ابريل ١٩٥٥م) كنوع من التعبير عن رفض التبعية العمياء ؛ ولما كانت معظم الدول الإفريقية و العربية بعيدة عن التيارين السابقين من ناحية فكرية وايدولوجية معظمها شايعت هذا التيار الجديد للهروب من الاستقطاب الحاد الذي كان سائداً بين المعسكرين .كما أن العالم بعد الحرب العالمية الثانية وإبان الحرب الباردة تفرع إلي أحلاف عسكرية واقتصادية وسياسية تتبني الحد الأدنى من نقاط التلاقي والصِلات، فقد تكون الصِلة متمثلة في الإقليم الجغرافي، أو الجهة، أو الثقافة، أو التاريخ، أو غيرها مثل: الاتحاد الأوربي، أو الاتحاد الإفريقي، أو جامعة الدول العربية، أو مجلس التعاون الخليجي ... الخ. بعض هذا التكتلات حققت نجاحاً كبيراً ومكاسب للدول المنضوية تحت مظلتها وبعضها لم تحقق أي نجاحات ملموسة.

عموماً أثبتت التجارب خلال العقود السابقة أنه لا مجال للتشظي، وكلما كانت الدول أو الأقاليم تعمل بصورة جماعية (اقتصادياً – و سياسياً و عسكرياً) كلما كان ذلك في صالح المجموعة، المانيا مثلاً استطاعت أن تبني جيشاً قوياً في الحربين العالميتين تمكنت أن تقهر به عتاة الدول الأروبية بصورة منفردة، و لكنها في النهاية انهزمت بسهولة بعد أن انتظمت تلك للدول المقهورة في تحالفات عسكرية واتحدت مع بعضها البعض، كذلك الولايات المتحدة اليوم تصنف من أقوي الدول اقتصادياً و عسكرياً و سياسياً، ولكنها لم تصل إلى هذه المرتبة إلا بعد أن دخلت في تحالفات عديدة على المستويات الاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية.

---

١ – عبد الهادي الصديق(٢٠٠١) الاندماج الإقليمي كعامل من عوامل التنمية والاستقرار في منطقة الحزام السوداني، كتاب دول الجوار، عامل الاستقرار والتنمية مؤتمر أركويت الثالث، إعداد و تقديم الطيب أحمد حياتي، مطبعة جامعة الخرطوم ص ٣١٢

الآن لو تحررت من هذه التحالفات لأصبحت دولة عادية كغيرها من دول المقدمة، و في هذا الصدد يحضرني بيت الشعر الذي أنشده المهلب بن أبي صفوة في نجاعة الاتحاد بقوله:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى ** خُطب ولا تتفرقوا آحاداً
تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسراً ** وإذا افترقت تكسرت أفراداً

صحيح أن معظم الدول العربية والإفريقية انضوت تحت العديد من المظلات السياسية والاقتصادية والعسكرية علي المستويين الإقليمي والدولي مثل جامعة الدول العربية، والاتحاد الإفريقي، أو مجلس التعاون الخليجي أو دول حوض البحر المتوسط أو اتحاد دول غرب إفريقيا أو دول شرق إفريقيا، أو الاتحاد المغاربي وغيرها من الاتحادات، والشاهد أن هذه الاتحادات معظمها عامل هدم للتواصل العربي الإفريقي، حيث قسمت الدول الإفريقية حسب الاتجاهات، كما ثم ضم بعض الدول مع دول خارج الإقليم، وقسمت الأمة العربية إلى كيانات صغيرة تتحرش ببعضها البعض، و لم تحقق أي نتيجة ملموسة حتي الآن سوي مزيدٌ من التشتت والانقسام، والتبعية العمياء إلى جهات تتربص بالإقليم الأفروعربي وأهله ولم تبرز منها أي دولة قوية تستطيع أن تحقق توازن سياسي أو اقتصادي أو عسكري يعتمد عليه في المنطقة.

كما أن الدول الغربية تتعامل مع الدول الإفريقية والعربية بكل ازدراء وانتهازية؛ حيث سيطرت على امكانياتها الطبيعة والبشرية إبان فترة الاستعمار، والآن تحاول تكرار نفس المسرحية بصور أخرى ملتوية، وتقدم نفسها بأنها شريك نزيه وأنها راعية لحقوق الإنسان ومصالح الأمم في المنطقة.

مقومات التواصل الإفريقي العربي:

إن أي مجموعة التقت نحو تحقيق هدف معين ينبغي أن يتوفر لها الحد الأدنى من مقومات النجاح، وأهم هذا المقومات تتمثل في القواسم المشتركة والإرادة التي تؤطر هذا الاتجاه. فإذا نظرنا إلى الدول العربية والإفريقية نجد هنالك العديد من هذه السمات التي يمكن إيجازها فيما يلي:

١ –الوحدة الجغرافية:

أهم روبط الشعب الإفريقي والعربي هو عامل الجوار حيث نجد القارتين (آسيا وإفريقيا) في الأصل كتلة واحدة انفلقت لقسمين لظروف متعلقة بالحركات التكتونية التي حدثت في العصور الجيولوجية المتعاقبة أدت إلى ظهور البحر الأحمر كفاصل بين الكلتين (القارتين). والجوار الجغرافي نتج عنه كثير من التماثل، ابتداءً من الصحراء الكبرى التي تمتد طولاً وعرضاً في القارتين، ثم الأقاليم المدارية وما تكتنفه من تفاصل تتكرر بين القارتين. كما أن الانتشار السكاني الواسع للقومية العربية في آسيا وإفريقيا معاً نجد حوالي ٦٩٪ من العرب يعيشون في إفريقيا؛ بينما ٣١٪ فقط نجدهم في آسيا، كما نجد أن ٧٤٪ من مساحة الدول العربية في إفريقيا، وإن حوالي ١٠ وحدات سياسية عربية موجودة في إفريقيا، هذا بخلاف القوميات العربية في العديد من الدول الإفريقية خارج مظلة الجامعة العربية مثل: تشاد والنيجر ومالي وارتريا وغيرها من الدول الإفريقية التي تكتنف العديد من القوميات العربية. كما نجد أن الدول العربية الإفريقية تحتوي على العديد من القوميات الإفريقية والتي هي جزء من نسيجها الاجتماعي على الرغم من كونها مصنفة عربية، أهمها دول المغرب العربي والسودان والصومال وجيبوتي وجزر القمر.

٢ –التداخل الإثني:

يعتبر عامل التداخل الإثني من أقوى الوشائج التي تجمع الأفارقه بالعرب، والاختلاط العربي الإفريقي يرجع لعدة قرون ماضية خاصة الحقبة التي اعقبت انتشار الإسلام في إفريقيا واورد ظاهر[١] انه بسبب اختلاط العرب المسلمين وتزاوجهم مع سكان إفريقيا من القبط والنوبة والبربر والزنوج والبانتو ... تولدت شعوب إسلامية مختلطة الأعراق والألوان، استعرب بعضها بسبب إسلامه استعراباً تاماً وشكلت جزء لا يتجزأ من الأمة العربية الحديثة.

القبائل العربية تنتشر على امتداد الصحراء الكبرى طولاً وعرضاً، فهم سكانها وحُماتها وحافروا آبارها ورعاة أعشابها وشاقوا طروقها وعلى أفيائها تنصب خيامهم ... لذا أصبحت إفريقيا وطناً تاريخاً للكثرة الكاثرة من شعوب الأمة العربية، يناهز العرب في إفريقيا ثلث سكانها، وإن العرب في هذه البلاد بحكم جوارهم ولسانهم العربي وثقافتهم الإسلامية وامتزاجهم وتصاهرهم مع اخوانهم الأفارقة كان لهم الأثر البارز في تمتين أواصر الصداقة والتعاون بين الشعوب الإفريقية والعربية.[٢]

---

١ – ظاهر جاسم محمد الدوري ٢٠١٦ م مصدر سابق

٢ – صلاح الدين حسن عبد الله (٢٠١٨) مصدر سابق

لعل هذا الاختلاط وسع من انتشار الدماء العربية في إفريقيا خاصة في وسط وشمال وشرق إفريقيا، والمعروف أن معظم المهاجرين العرب إلى إفريقيا سواء كان الباحثين عن الماء والكلأ أو التجار أو الرعاة معظمهم تركوا زوجاتهم في ديارهم وتزوجوا من إفريقيات وزوجوا بناتهم لأصهارهم الأفارقة مما ساعد على التمازج الماثل الآن.

٣-العامل الثقافي:

لا تستطيع القول بأن هنالك تماثل ثقافي عربي إفريقي تام، لأن الثقافة أصبحت بمفهومها العام مفتوحة فمن الصعب توجيهها باتجاه معين أو التحكم فيها، كما أن الدول المستعمرة سيطرت على الإقليم طولاً وعرضاً وعملت على محاربة الثقافات الإفريقية والعربية على حد سواء في كثير من الدول التي استعمرتها بفرض ثقافتها الخاصة مثل: فرنسا التي عملت على فرنست النخب التي سيطرت عليها، وبريطانيا التي عملت على نشر الثقافة الأنجلو سكسونية، وكذا الحال بالنسبة للدول الغربية التي استعمرت افريقيا.

مع كل ذلك مازالت الثقافة العربية ماثلة وسط العديد من المجتمعات الإفريقية؛ لأن الثقافة في مفهومها العام تعني المجموع المركب الذي يشمل المعارف والمعتقدات والفنون والقوانين والأخلاق والعادات وجميع الكفاءات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوضعه عضواً في المجتمع.[١] فلذا الثقافة العربية أصبحت جزءاً من حياة وثقافة المجتمعات الإفريقية، فاذا استثنينا الدول الإفريقية الناطقة بالعربية نجد أن دول أخري تمثل الثقافة العربية وسطها حضوراً كبيراً، مثلًا نجد نيجيريا أكبر الدول الإفريقية من حيث عدد السكان (حوالي ٢٠٠ مليون نسمة) نصف سكانها من المسلمين وتنتشر الثقافة العربية و اللغة العربية بصورة كبيرة، كذلك السنغال ومالي والنيجر التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن ٩٠ % و دول أخرى يوجد فيها الإسلام بنسبة متفاوتة على الرغم من الاختلاف في تقدير عدد السكان في أفريقيا ولكن معظم الدراسات تشير إلي أن عددهم لا يقل عن ٥٠ % من سكان إفريقيا، ومن الصعب الفصل بين الثقافة العربية والدين الإسلامي؛ لأن الثقافة العربية هي في معظم مكوناتها ثقافة قيمة وهذه القيم في الأصل مستمدة من الدين الإسلامي، كما أن الدول الإفريقية غنية بالثقافات المختلفة و التي هي محل احترام وتقدير؛ لأنها ناتجة من تجارب إنسانية تراكمية (بالتأكيد) لها التأثير الفعال في الثقافة والمجتمعات العربية.

١ – آدم بمبا (٢٠١٨/٤/١٣) الثقافة الإفريقية مؤثرات واتجاهاتwww.http//:www.qaindex.com content

وهي تتمثل في الفنون، والأزياء، والعمارة، والطب الشعبي، والفنون الشعبية والمعارف التقليدية، فضلاً عن القيم الإنسانية النبيلة كما التقن ثقافات مختلفة بالتأكيد تحدث تأثيراً أو تأثراً على بعضها البعض (مثاقفة) وفي هذا العدد أشار ادم.[1] إلى أن الثقافة العربية الإسلامية كان اللقاء بينهما وبين الثقافة الإفريقية لقاءً سليماً بامتياز فقد ظهر الإسلام في سياق تاريخي من التلاقي المُنساب المتناغم بين العرب والأفارقة، فجاء الإسلام ولم يزعج هذه العلاقة إنما سعي في دعمها وتمتين أواصرها.

ونخلص إلى أن الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الإفريقية بمختلف مكوناتها المادية والمعنوية في تمازج تام (مثاقفة) وتأثير متبادل بصورة تلقائية في كثير من المجموعات العربية والإفريقية، وكل منها داعم للآخر بصورة تلقائية، بعكس الثقافات التي فرضت من قبل الدول المستعرة فهي الآن في تآكل وتراجع مستمر، ولم يبق منها إلا اللسان (الذي تبنته عدد من الدول الإفريقية من حيث لا تدري) !! وهي الآن تكرر المحاولة في إنتاج وفرض ثقافتها بصورة ناعمة بما يسمي بالعولمة الثقافية.

٤-التهديدات المشتركة:

كل الدول الإفريقية و العربية تعاني من مخاطر مشتركة تهدد أمنها القومي و سلامة مواطنيها، وهذه التهديدات تتمثل في المخاطر الناجمة عن الأطماع الخارجية في الإقليم، لا سيما وأن الإقليم يمتلك ثروات عظيمة ، إذا كانت هذا الثروات معدنية أو زراعية أو موارد مائية، كما سبقت الاشارة إلى أن الدول العربية لوحدها تمتلك ٣٥٪ من الإنتاج العالمي للنفط بخلاف إنتاج الدول الإفريقية الأخرى خارج مظلة جامعة الدول العربية، كذلك تنتج إفريقيا لوحدها نصف إنتاج العالم من الذهب، و ٩٠٪ من الكروم، و العديد من المعادن الاستراتيجية التي ورد ذكرها.

كما إن الإقليم العربي الإفريقي يتحكم على أهم الممرات المائية والطرق التجارية العالمية مثل: مضيف باب المندب، وقناة السويس، والخليج العربي، ومضيق جبل طارق، وهذه الطرق والممرات تتحكم في معظم التجارة العالمية بين الشرق والغرب، الأمر الذي جعل المنطقة برمتها محل اهتمام عالمي وصراعات دائمة من اجل بسط النفوذ والسيادة عليها منذ القدم.

١ – أدم بمبا (٢٠١٨/٤/١٣) نفس المصدر.

ومن جانب آخر نجد أن ٣٥٪ من المساحة الإفريقية تصلح للزراعية بها حوالي ٢.٣٠٠.٠٠٠كلم^{٢} من التربة الزراعية كما سبقت الإشارة لذلك سابقاً، لذا تعتبر القارة الإفريقية من أكبر القارات المصدرة للمنتجات الزراعية بشكلها الخام، بالإضافة للمراعي الطبيعة وتعدد أنواع الثروة الحيوانية.

كل المقومات سابقة الذكر وغيرها جعلت من الدول الإفريقية والعربية على السواء محل طمع للعديد من القوى الأجنبية المتربصة التي تريد أن تضع يدها على الموارد والثروة بطرق ملتوية كثيرة، تارة بالتدخل المباشر، وتارة أخري بالوصاية، وفي كثير من الأحيان تستغفل بعض الدول بعقد صفقات تجارية تمكنها من سرقة موارد الإقليم، وتتعدى على حقوق الأجيال الحالية والقادمة على حد سواء دون أي وازع أخلاقي.

المراجع والمصادر

أولا: المصادر العربية:

١- أحمد عبد الله آدم (بدون تاريخ) قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، شركة السودان للعملة المحددة، الخرطوم.

٢- أنور عبد الغني العقاد(١٩٨٢) الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ للطباعة والنشر، الرياض.

٣- أيمن السعيد شبانة (٢٠٠٥م) الدولة القائدة ودورها في التكامل الإقليمي على ضوء تجربتي السادك والإيجاد، كتاب أعمال المؤتمر الدولي للشباب الباحثين في الشؤون الافريقية، معهد البحوث و الدراسات الافريقية.

٤-جودة حسنين جودة (١٩٩٦) جغرافية إفريقيا الإقليمية، منشأة المعارف، الاسكندرية.

٥-حميد ضيدان (٢٠٠٣) الجذور التاريخية للصلات العربية في إفريقيا، دار المركز العربي ط (١) سبها مركز البحوث والدراسات الإفريقية

٦-حميد دولاب ضيدان (١٩٩٣) الجذور التاريخية للصلات العربية الإفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها، ليبيا.

٧- كامل إدريس (٢٠١٦) السودان ٢٠٢٥ تقديم الشاعر وحلم المستقبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة

٨- كلود جامتية (٢٠١٤) إفريقيا والماء، مراجعة عبيد إميبحن، مركز الجزيرة للدارسات(٢٠١٥/٦/٥) مؤسسة الفارابي للنشر، باريس.

٩- محمد عبد العزيز الطالب(٢٠١٤) الشخصية السودانية. الجذور والمكونات، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.

١٠-محمد عبد الغني السعودي(٢٠٠٤) إفريقيا (دراسة شخصية القارة شخصية الإقليم)، الأنجلو المصرية، القاهرة.

١١-محمد عزالدين (٢٠١٦) النشاط الزراعي في إفريقيا هل سيزهر يوما، تقرير مركز الدراسات الإفريقية.

١٢-محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون(١٩٨٠) الوطن العربي أرضه وسكانه وموارده، مكتبه الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٣-سيد حامد حريز(٢٠١٧) الهوية والوحدة الوطنية في السودان -جدلية الثقافة والسياسة، الدار العالمية للنشر والتوزيع
١٤-سعيد علي كوزي(٢٠٠٩م) التحليل الجيواستراتيجي لدول القرن الإفريقي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم.
١٥-عبد الباقي دفع الله أحمد(٢٠٠٨) ملامح الشخصية السودانية. مكونات وملامح الشخصية السودانية، سلسلة قضايا سودانية للتعايش، منبر ثقافي وفكري.
١٦-عبد الرحمن محمد الحسن (٢٠١٣م) دور السياسات الوطنية في التنمية بالسودان، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية العدد (١٣) الجزائر.
١٧-عبد الخالق مصطفي النعمة (٢٠١٦/٢/٢٣) أثر تغيرات المناخ على نظم الإنتاج الحيواني في السودان، منتدى التغير المناخي، صحة و بيئة الحيوان في السودان، قاعة الهيئة السودانية للمواصفات و المقاييس ٢٠١٦/٢/٢٣م، الخرطوم
١٨-عبد الهادي الصديق(٢٠٠١) الاندماج الإقليمي كعامل من عوامل التنمية والاستقرار في منطقة الحزام السوداني، كتاب دول الجوار، عامل الاستقرار والتنمية مؤتمر أركويت الثالث، إعداد و تقديم الطيب أحمد حياتي، مطبعة جامعة الخرطوم.
١٩-علي أحمد هارون(٢٠٠٣) أسس الجغرافيا الاقتصادية، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٠- عطية محمود محمد الطنطاوي (٢٠١٥) إفريقيا قارة المستقبل الواعد، المناخ والنبات الطبيعي في إفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، تأليف مجموعة من الأستاذة تحرير أ.د السعيد ابراهيم البدوي، جامعة القاهرة.
٢١-فخرالدين أحمد عبد الله محمد (٢٠١٣) استخدام نظام المعلومات الجغرافية لدارسة خصائص وتركيبة السودان، المؤتمر العالمي السابع جيوتونشي٨-١٢/٤/٢٠١٣م.
٢٢-صلاح الدين حسن عبد الله (٢٠١٨) التواصل العربي الإفريقي وأثره في التنمية والتطور في إفريقيا، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ١١/٤/٢٠١٨م.
٢٣-صلاح الدين الشامي(١٩٧٢) السودان دارسة جغرافية، منشاة المعارف، الاسكندرية، مصر.
٢٤-نعيم الظاهر (بدون تاريخ) جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، الأردن.

٢٥- ياسر عبد المحمود حامد التهامي (بدون تاريخ) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البحر الأحمر

٢٦- يوسف عبد المجيد فايد(١٩٩٩) الأقاليم المناخية في إفريقيا وفقاً لتنصيف كوبن، الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

ثانياً: التقارير والصحف

١-وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٥) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم.

٢-وزارة الزراعة الاتحادية (٢٠١٦م) التقرير السنوي، قسم إدارة الأمن والغابات، الخرطوم

٣- وزارة الصناعة (٢٠١٦) السودان أرض الفرص الصناعية الواعدة، ملتقي التصنيع والابتكار، الخرطوم.

٤-المنظمة العربية للتنمية الزراعية (٢٠١٨) الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية، جامعة الدول العربية، الخرطوم

٥-الأمم المتحدة (٢٠١٤) إدارة الشؤون الاقتصادية، رصد سكان العالم تقرير موجز، نيويورك.

٦-المصرف العربي للتنمية في افريقيا(٢٠٠٩) دراسة حول سبل كسب تشجيع الاستثمار العربي الإفريقي، الخرطوم.

٧-مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (٢٠٠٧) تقرير التجارة والتنمية، التعاون الإقليمي من أجل التنمية، نيويورك.

ثالثاً: المواقع الالكترونية:

١- آدم بمبا (٢٠١٨/٤/١٣) الثقافة الإفريقية مؤثرات واتجاهات
www.http//:www.qaindex.com content

٢- ظاهر جاسم محمد الدوري(٢٠١٦/١٠/٢٩) التواصل العربي الإفريقي عبر التايخ
www.http//:Sudaress.com /Sunil/95218

٣- عبير زايد منصور(٢٠١٩/٥/٦) تضاريس وطننا العربي
www.http//:mowadoo3.com

٤- حنان عبد الكريم عمران الدليمي(٢٠١٣/١٠/٢٤) الأقاليم المناخية في القارة الإفريقية، شبكة جامعة بابل.
www.https:// uobaylon .eduig unbo CoIeges / Lecture .asPX?Fid=18Ici

٥- راوية توفيق، شبكة الجزيرة الإعلامية www.http//:algzeera.nets special Files . pages

رانيا الأمين (٢٠١٧/٤/١٠) موقع السودان في استراتيجية الولايات المتحدة https://www.aLniLin.Com 12859905.htm

٦- هيثم عمايرة (٢٠١٨/٢/١٥) أهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي www.http//:mowdoo3.com

٧- مؤمن منصور فنون(٢٠١٩/٢/٣) تضاريس الوطن العربي www.http//:mowadoo3.com

٨- ليد النهدي (٢٠١٨/٤/١٤) الأهمية الاستراتيجية للوطن العربي، مركز الثروات و الموارد الطبيعية ، صحيفة اليوم.

https://www.alyaum.com/articles

9-قناة الجزيرة، برنامج الملف www.http//:.aLgazeera.net/proqrame the File 2010/1216.

10-شبكة الجزيرة الإعلامية www.http//:aLja2eera.net special File's/paqesl7544 8det.4c3e.4e73.899o.9LaLe4 addc4e

١١- موقع(RT) https://arabic.rt.com/news/23273

١٢-جريدة الشرق الأوسط (٢٠١٧/٨/٢٧) عقد التبادل التجاري العربي الإفريقي العدد رقم(١٤١٥٢)، القاهرة

https://aawsat.com/home/article/

١٣-موقع سو دراس (٢٠١١/٨/٢٣ http//.www .Sudaress.Com/aLrakoba1278

14- www.http//:.cia.gov/library/publication/The world Fact Book: 2020

15- https://ar.wikipedia.org/wiki:Arab_World_Green.png

خريطة العلم العربي

خريطة السودان

16 - https://www.google.com/search?q

المصادر باللغة الإنجليزية

1- UNEP (2007) Sudan Post confect Environmental Assessment UNEP Nairobi, Kenya.

2-IGAD. (2013) the contribution of livestock to the Sudan Economy Policy Brief Series.

3- FAO (2005) Aqua stat Information System on Water and Agriculture, Sudan Country Profile.

القومية و أثرها في الحياة الفكرية والأدبية في السودان

د. حسّان بشير حسّان حامد
أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة بحري

ملخص:

تتبلور مشكلة هذه الدراسة حول مفهوم القومية، وكيفية نشأتها وتطورها في البلاد العربية عامة والسودان خاصة، وكيفية تأثيرها في الفكر السياسي والأدبي في السودان. وتكمن أهميتها في تتبع آثار القومية السودانية في المفكرين والأدباء والنقاد. وتهدف إلى تتبع نشأة القومية في السودان والبلدان العربية الأخرى، وبيان أثرها على الحياة الفكرية والسياسية والأدبية في السودان. اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت إلى نتائج متعددة أهمها: إن القومية السودانية أظهر من القومية العربية لدى النخبة السودانية من المفكرين والسياسيين والأدباء والشعراء. وإن معظم شعراء السودان وأدبائه ومفكريه الذين شهدوا فترة الاستعمار متأثرون بالفكر القومي.

Abstract:

This study explores the concept of nationalism, and how it started and developed in the Arab countries in generally and Sudan in specially, and how it affects political and literary thought in Sudan. It aims to trace the beginning of nationalism in Sudan and other Arab countries, and explain its impact on intellectual, political and literary life in Sudan. This study uses the descriptive analytical approach and reached many results, the most important of which are: The Sudanese nationalism is more clearly than the Arab nationalism among the Sudanese elite of thinkers, politicians, literati and poets. Most of Sudan's poets, literati, and thinkers who attended the colonial period are influenced by national thought.

مقدمة:

تُعدُّ القومية من الموضوعات الحديثة، فقد انتشرت الفكرة القومية في أوربا بعد الثورة الفرنسية، ومن ثم انتشرت في أنحاء العالم المختلفة، ففي منتصف القرن التاسع عشر دخلت الأفكار القومية إلى البلاد العربية عن طريق بلاد الشام تحت تأثير الفكر الغربي من خلال الإرساليات، ومن خلال النظريات القومية التي كانت رائجة في أوربا وبصورة أخص النظريتين الألمانية والفرنسية.

عرف السودان الأفكار القومية في المجال الفكري والأدبي في مطلع القرن العشرين، وقد بلغ الصراع حول القومية السودانية والأدب القومي السوداني احتدامه في فترة العشرينيات والثلاثينيات من ذات القرن، إلا أن الشعور القومي السوداني بدأ قبل ذلك بكثير، إذ يُؤرِّخُ كثيرٌ من الباحثين لذلك ببداية الحكم التركي على السودان في مطلع القرن التاسع عشر.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة هذه الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما المقصود بمصطلح القومية؟
٢. كيف نشأت القومية في البلدان العربية عامة والسودان خاصة؟
٣. ما آثار الفكر القومي في الحياة الفكرية والسياسية والأدبية في السودان؟
٤. ما العوامل المؤثرة في نشأة وتطور الشعور القومي في السودان؟
٥. ما مواطن الاتفاق والاختلاف بين حمزة الملك طمبل ومحمد عبد الرحيم في فهم وتطبيق الفكرة القومية على الأدب والنقد؟

أهمية هذه الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على الآثار القومية في الحياة الفكرية والسياسية والأدبية في السودان، وفي تتبعها آثار القومية السودانية في الأدب والنقد بصورة خاصة من خلال كتابين هما من طلائع الكتب النقدية في السودان.

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وفيه قام الباحث بجمع المادة وترتيبها وتحليلها واستنباط المعلومات الجزئية وتعميمها واستنتاج النتائج المطلوبة.

أهداف الدراسة:

١. إيضاح مفهوم القومية والوقوف على أهم موقوماتها ونظرياها.

٢. تتبع نشأة القومية في السودان والبلدان العربية الأخرى.
٣. بيان أهم النظريات الغربية التي أثرت في الفكر القومي العربي.
٤. الكشف عن آثر الفكر القومي في الحياة الفكرية والسياسية والأدبية في السودان.
٥. الكشف عن أثر الفكر القومي في النقد الأدبي في السودان.
٦. بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين حمزة الملك طمبل ومحمد عبد الرحيم في مفهوم الأدب القومي.

المبحث الأول
القومية مفهومها ومقوماتها وعناصرها

القومية لغة:

نحاول فيما يأتي البحث في المعجمات العربية عن لفظة "القوم" التي اشتقت منها لفظة "القومية"، وإذا بدأنا بالمعجمات القديمة، وجدنا أن "القوم" في الأصل مصدر قام، لا واحد له من لفظه، يذكر ويؤنث[١]، وقيل هو جمع امرئ [٢]. والجمع: أقوام، وجمع الجمع: أقَاوِم، وأَقَاوِيم[٣]. ومعنى "القوم": الجماعة من الناس، وقد قصر بعضهم هذا المعنى على جماعة الرجال دون النساء، كالأزهري[٤]، وابن فارس[٥]. وجعل بعضهم المعنى شاملاً الرجال والنساء معاً؛ كالجوهري[٦]، وابن منظور[٧]، والفيروز آبادي[٨]، والزبيدي[٩]؛ ولعل ذلك هو الأرجح لأن "قوم كل نبي رجال ونساء"[١٠]، و"قوم كل رجل شيعته وعشيرته"[١١].

وإذا رجعت إلى هذه المعجمات المذكورة –ومهما أطلت النظر فيها– لا تجد فيها ذكراً لكلمة "القومية"، وما ذاك إلا أن هذه الكلمة مصطلح جديد بدأ ظهوره في المعجمات العربية مع بداية القرن العشرين، ومع ذلك فقد أوردت هذه المعجمات عدداً من المعاني للفعل قام ومشتقاته، ربما تكون لها رابطة بالمصطلح الحديث، ومن هذه المعاني: الوقوف، والثبات، والنهوض، والاعتدال، والاستمرار، والعزم، والاعتناق، والاهتمام، والرعاية، والتقدير، والمحافظة، والإصلاح وغير ذلك.

---

١ – الزبيدي، ٢٠٠٠م، ج٣٣، ص٣٠٦.
٢ – ابن فارس، ١٩٧٩م، ج٢، ص٤٣.
٣ – الزبيدي، ٢٠٠٠م، ج٣٣، ص٣٠٦.
٤ –١٩٧٥م، ج٩، ص٣٥٦.
٥ –١٩٧٩م، ج٢، ص٤٣.
٦ –٢٠٠٩م، ص٩٧٧.
٧ – بدون تاريخ، ج٤٢، ص٣٧٨٦.
٨ –١٩٨٠م، ج٣، ص١٦٥.
٩ –٢٠٠٠م، ج٣٣، ص٣٠٥.
١٠ –٢٠٠٩م، ص٩٧٧.
١١ – الزبيدي، ٢٠٠٠م، ج٣٣، ص٣٠٥.

أما المعجمات العربية الحديثة فقد ألمت بمصطلحي "القومي"، و"القومية"، كما أنها أعطت كلمة "القوم" تعريفاً يتماهى مع هذين المصطلحين، وهي كما يلي:

القوم: في المنجد: "الجماعة من الناس. وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد"(١). وفي المعجم الوسيط: "القوم الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها ... وقوم الرجل: أقاربه عصبية، ومن يكونون بمنزلتهم تبعاً له"(٢). وفي المعجم الإسلامي: "جماعة من الناس تربطهم وحدة اللغة والثقافة والمصالح المشتركة"(٣).

القومي: في المنجد "المنتسب إلى مبدأ القومية"(٤)، وفي المعجم الوسيط: "من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضرة"(٥).

القومية: في المنجد: "مبدأ سياسي اجتماعي يُفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها"(٦)، وفي المعجم الوسيط: "صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع. وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة، كالقومية العربية"(٧)، وفي المعجم الإسلامي: "صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة والتاريخ"(٨).

يرى الأستاذ الأمير الشهابي أن القومية مصدر صناعي مشتق من القوم بمعنى الأمة في الاصطلاح الحديث؛ وذلك لدفع اللبس من اشتقاق "الأمية" وهي مصدر صناعي من الأمة، وهذا هو نص تعريفه اللغوي للقوم والقومية: "القوم في اللغة الجماعة من الرجال والنساء جميعاً. وقوم كل رجل شيعته وعشيرته. والقوم يذكر ويؤنث مثل رهط ونفر وكل ما كان للآدميين من أسماء الجموع التي لا واحد لها. ونحن في الاصطلاح الحديث نستعمل لفظة القوم بمعنى الأمة أي بمعنى الاصطلاح الحديث للأمة. وقد اشتققنا من القوم مصدراً صناعياً هو القومية. وكان الواجب أن نشتق من الأمة: مصدراً كهذا المصدر وهو "الأمية" ولكن لهذه

---

١ – معلوف، دون تاريخ، ص٦٦٤.

٢ – مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م، ص٧٦٨.

٣ – أبو الدهب، ٢٠٠٢م، ص٤٨٢.

٤ – معلوف، دون تاريخ، ص٦٦٤.

٥ – مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م، ص٧٦٨.

٦ – معلوف، دون تاريخ، ص٦٦٤.

٧ – مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤م، ص٧٦٨.

٨ – أبو الدهب، ٢٠٠٢م، ص٤٨٢.

الكلمة في اللغة معنى آخر مشهور وهو صفة الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، فخوف الالتباس حملنا على العدول عن كلمة الأمية إلى كلمة القومية"[١].

وتابعه على ذلك نور الدين حاطوم الذي يرى أن القاموس اللغوي العربي فضل استخدام "القومية" بدلاً عن "الأمية" لخوف اللبس، فقال: "أما كلمة القومية فلقد أخذناها نحن العرب، عن "القوم" ونعني به "الأمة". ولقد فضلنا القول بالقومية كفكرة فلسفية عوضاً عن "الأمية" لما تتركه هذه الكلمة الأخيرة في الذهن من لبس ومعنى غير محبب. ولكن غير موجود في اللغات الأجنبية الأخري"[٢].

القومية إصطلاحاً:

تُعرَّف القومية في دستور القوميين العرب وعند دعاتها الأوائل في كتابهم الأحمر بأنها: "مجموعة الصفات والمميزات والخصائص والإرادات التي ألّفت بين العرب وكوّنت منهم أمة: كوحدة الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والمطامح والآلام والجهاد المستمر والمصلحة المادية والمعنوية المشتركة. والقومية العربية هي محل تقديس وفخار عند العرب، لأنهم بها تميزوا عن سائر الأمم وامتازوا عليها خلال العصور، وبها نهض مجدهم الحاضر وكفل لنفسه النمو والبقاء للأبد" [٣].

يرى ساطع الحصري أن القومية تعني وحدة اللغة ووحدة التاريخ لا غير؛ ولهذا يعرفها قائلاً: "إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة ... وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى"[٤].

يرى الشهابي أن القومية تدل على جملة أمور: "الأول صفة مخصوصة بجماعة من البشر وهم الذين يتألف منهم قوم أي أمة. يقال مثلاً: من نزعات القومية أن تنتظم في دولة. والثاني جملة الصفات التي تتميز بها أمة من الأمم، أو هو الأمة في حياتها الخاصة والشخصية، كقولنا القومية العربية والقومية الألمانية وهكذا. والثالث حب الأمة التي ينتمي

١ – الشهابي، ١٩٦١م، ص٣-٤.

٢ – حاطوم، ١٩٧٩م، ص٥.

٣ – مجموعة من المؤلفين، دون تاريخ، ص٣-٤، مذكور في: الهندي، ٢٠١٥م، ص١٧٩.

٤ – أ١٩٨٥، ص٢١٠.

الإنسان إليها، وتفضيل خصائصها على خصائص غيرها. والقومية بهذا المعنى مذهب من المذاهب السياسية مخالف لمذهب القومية أو الأممية، وهو مذهب المنكرين للقومية، الداعين إلى حب البشرية دون تمييز أمة من أمة في ميولهم ونزعاتهم. وسترون ما في ذلك من ضرر على أمثالنا من الشعوب" (١).

والقومية عند عمر فروخ تعني العصبية الجنسية؛ ولذلك يعرفها بأنها "هي شعور جماعة من الناس بأنهم ينتمون إلى أصل واحد. ودليلهم على ذلك أنهم يتكلمون لغة واحدة ويشتركون في تراث واحدٍ ثم يتجه تاريخهم اتجاهاً واحداً جامعاً" (٢).

وهي في نظر عدنان زرزور "رابطة تاريخية لغوية في الاعتبار الأهم، وأن الدعوة إليها ينبغي ألا تتعدى الشعور بمدى أهمية هذه الرابطة وحيويتها في مرحلة من مراحل اليقظة التي يمر بها شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم، على الأقل في مرحلة الدفاع عن النفس ومقاومة التذويب أو تحقيق الكيان" (٣).

أما القومية العربية كما يراها هاني الهندي هي "فكرة تهدف إلى تحقيق وحدة الأمة العربية وإقامة دولة واحدة لها في الوطن العربي الكبير، وبناء نهضة جديدة بعد قرون من الغياب الكامل عن مسيرة التاريخ الإنساني. فالقومية في جوهرها، دعوة لتأكيد هوية الأمة وشخصيتها الخاصة المميزة أمام الغير" (٤). ويستطرد في شرح هذا التعريف قائلاً: "هي إذن فكرة وحركة نضالية تهدف إلى بناء دولة خاصة بالعرب بعد أن تتحرر من الحكم الأجنبي وتتوفر الحرية لأبنائها. وهي حركة اعتراض ومقاومة وجمع شمل الأمة وإنهاضها. وعليه فإنها حركة لتقويض الأوضاع الفاسدة وإزالتها، من جهة، وإقامة نظام عربي جديد أفضل، من جهة ثانية. وهي حركة مستقبلية تعتمد على الجيد والحي والمفيد من الماضي، لتغيير الحاضر ودفعه إلى وضع مستقبلي أحسن وأكثر تقدماً، ولصالح القطاعات الشعبية الواسعة، لتوفر العدالة لها، ومستخدمة أساليب العلم والعقلانية والتقدم" (٥).

---

١ -١٩٦١م، ص٤. لا

٢ -١٩٨٠م، ص٢٦٤.

٣ -١٩٩٩م، ص٤٥.

٤ - الهندي، ٢٠١٥م، ص١٨٠.

٥ - الهندي،٢٠١٥م، ص١٨٠.

عناصر القومية ومقوماتها:

إن هذه العناصر تختلف من دولة إلى أخرى، فعوامل نشأة الأمة الفرنسية تختلف عن عوامل نشأة الأمة الألمانية، وهما كذلك يختلفان عن الأمة الروسية والأمم الأخرى؛ ويرجع ذلك إلى اختلاف الفلسفات التي انطلقت منها الفكرة القومية في كل دولة من هذه الدول. ولذلك لم تكن هذه العناصر موضع اتفاق بين منظري الفكر القومي في أوربا، وقد انتقل هذا الاختلاف إلى دعاة القومية ومعارضيها في العالم العربي، وفيما يلي نذكر أهم مقومات القومية ونلخص أبرز أوجه الاختلاف حولها:

١. الأصل أو (العرق):
٢. اللغة:
٣. التاريخ:
٤. الدين:
٥. إرادة العيش المشترك (المشيئة):
٦. الحياة الاقتصادية:

يُعد ساطع الحصري من دعاة القومية ومنظريها الأوائل، وهو قد استعرض عدداً من عناصر "القومية" من خلال تعاريف وتجارب الأمم الأوروبية مثل: (اللغة، الثقافة، الدين، الدولة، التاريخ، الإرادة والمشيئة، المصالح المشتركة، الحياة الاقتصادية) وبعد أن استكمل نقاشها وتحليلها توصل إلى أن اللغة والتاريخ هما العنصران الأصيلان في بناء القومية؛ لأنهما يؤديان –بحسب رأيه– إلى "وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة ... وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى"[١]. أما العناصر الأخرى مثل الدين والدولة والحياة الاقتصادية ...إلخ فهي –في نظره– لا تدخل بين مقومات الأمة الأساسية. فهو مثلاً يخرج الدين من مقومات القومية؛ لأن هناك مجموعة من نماذج الوحدة القومية والاستقلال في أوروبا وآسيا تدل على عدم تقيد القومية بالأديان، وبعد سرده لهذه النماذج يقول: "يتبينن من كل ذلك أن الوحدة القومية لم تتبع الأديان والمذاهب .. لا وحدة الدين والمذهب ضمنت التغلب على الفروق القومية ولا اختلاف

١ – أبو خلدون، أ١٩٨٥، ٢١٠.

الدين والمذهب- استطاع أن يحول دون تحقيق الوحدة القومية"[١]. ومن الأسباب التي جعلته يخرج الدولة من مقومات القومية[٢]:

أولاً: إن الرقعة الجغرافية التي تقطنها الأمة تتوسع وتتقلص بتوالي السنين.

ثانياً: إن الأمة الواحدة قد تنتقل من رقعة جغرافية إلى رقعة جغرافية أخرى.

ثالثاً: إن الرقعة الجغرافية الواحدة قد تضم جماعات من أمم مختلفة.

وهو كذلك مع إدراكه لأهمية الدور الذي يلعبه الاعتقاد بوحدة الأصل وأثره في تنمية الشعور القومي، يخرجه من مقومات الأمة؛ لأن هذا الاعتقاد -في نظره- خاطئ ولا يستند إلى الحقائق العلمية أو التاريخية، فيقول بكل جزم وتأكيد: "أن وحدة الأصل والدم، في أي أمة من الأمم، إنما هي وهم من الأوهام التي استولت على العقول والأذهان، من غير أن تستند إلى برهان" [٣]. وهو يفند جميع العناصر إلى أن يأتي إلى آخرها، ولم يستثن من ذلك إلا عنصري اللغة والتاريخ.

في الجانب الآخر نجد عمر فروخ وسنقف على أهم العناصر التي ناقشها. فهو عند نقاشه لعنصر الدين يرى أن دعاة القومية لم يعيروه اهتماما وافياً، وأن رأيهم فيه مضطرب فهم يستخدمونه مرة ويهملونه مرة أخرى على حسب هواهم السياسي والتزامهم الحزبي[٤].

وهو مع إدراكه أن اللغة من أوضح آثار القومية وأنها أصل مهم جداً من أصول الدعوة إليه، إلا أنه يرى أن اللغة "ليست دليلاً البتة على وحدة الأصل. إن الأرمن يتكلمون -إلى جانب لُغتهم- اللغة التركية أو الروسية أو العربية أو الإنكليزية، بحسب تشردهم في الأرض"[٥].

فعنصر الجنس (وحدة الأصل) وهو ما أطلق عليه العنصر القومي، له سيران مختلفان في تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، فتارة كان عاملاً مفككاً، وتارة أخرى كان عاملاً موحداً، ففي السير الأول: "كانت القومية عاملاً مُفَكِّكاً؛ لأن الدين واللغة والنظرة الإقليمية هي التي خطت اتجاهه. وإلا فما كان الداعي إلى نشأة دولة الصرب ودولة الجبل الأسود ودولة

---

١ - أبو خلدون، أ١٩٨٥، ص١٦٢.

٢ - أبو خلدون، أ١٩٨٥، ص٢١٠.

٣ - أبو خلدون، ب١٩٨٥، ص٢٠.

٤ -١٩٨٠م، ص٣٦٤.

٥ - فروخ، ١٩٨٠م، ص٣٦٤.

البوشناق (البوسنة) والهرسك ودولة بلغارية إذا كانت القومية في هذه البلاد كلها صَقْلبية (سلافية)؟ أما السير الثاني للتاريخ القومي في أوربة فقد كانت اللغة فيه عُنصراً مُرَجِّحاً للوحدة كما حدث في إيطالية وفي ألمانية خاصةً. وإيطاليةُ وألمانيةُ هما المثالان اللذان يُؤكدُ دُعاةُ القومية جانبهما تأكيداً شديداً"[١].

ويعقب على مناقشته لهذه العناصر بأنه لم يرد إخراج عنصر الجنس ولا العنصر اللغوي أو النفسي أو البطولي من الاعتبار في استقراء خصائص الأمم ونشوء الدول، ولكنه أراد التنبيه على أن دعاة القومية يسقطون من حسابهم هذه العناصر التي تعد من مدركات الأمة، ويعتمدون التعريف اليهودي: إرادة التعايش[٢]. وفيما يلي ننقل نصه بالكامل في تفنيد عنصر إرادة التعايش ونقد دوره في بناء الأمم، قائلاً: ولكن هذا التعبير غامض جداً، فإن الإرادات في أفراد البشر متباينة (شديدة الاختلاف والتنافر). ثم إن المفهوم من التعايش، فيما يتعلق بنوعه ومقداره، مختلف بين جماعات الناس اختلافاً شديداً أيضاً. فإن أنت سألت هؤلاء توضيح هذا التعبير الغامض قالوا: "جماعة من الناس ربطت بينهم مصالح معينة فتراضوا على أن يعيشوا معاً. وكذلك اليهود الذين وضعوا هذا التعريف ليسهل دخولهم في كل دولة ولتسهل سيطرتهم على كل دولة) لم يعملوا به قط. إن اليهود لما استطاعوا أن يُقيموا دولة لهم أصروا على عنصر الدين وحده. ولقد قبل اليهود في دولتهم المزعومة" جميع الأجناس ممن كان أسلافهم يهوداً أو من كان أحد أبويه أو أحد أجداده يهودياً –وفي هذا تساهل شديد في العنصر الجنسي– ثم إنهم تساهلوا أيضاً في عنصر اللغة، فليس كل من انتقل إلى إسرائيل "المزعومة" قد تلقى العبرية عن أمه وأبيه. ولعل فيهم إلى اليوم من لا يعرف هذه اللغة" [٣].

نكتفي بهذا القدر الذي أوردناه من اختلافات وجهات النظر حول عناصر "القومية"، ولا نريد استقصاء جميع الآراء، وإنما نريد التنبيه على أن مفهوم الأمة لم يتحدد حتى أيامنا هذه وما ذلك إلا لاختلاف العقليات التي تنظر إليه[٤].

١ – فروخ، ١٩٨٠م، ص٣٧٢.

٢ – فروخ، ١٩٨٠م، ص٣٧٣– ٣٧٤.

٣ – فروخ، ١٩٨٠م، ص٣٧٣– ٣٧٤.

٤ – حاطوم، ١٩٧٩م، ص٧.

نظريات القومية:

أولاً: النظرية الفرنسية:

يرجع أصل هذه النظرية إلى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو في كتابه "العقد الاجتماعي"، فهو يرى أن أساس المجتمع يقوم على ارتباط المواطنين، أي أن المجتمع يقوم على فكرة "العقد". "ثم وسعت هذه النظرية بآراء وأفكار تتلخص في احترام الشخص الإنساني واستقلاله وعدم فرض إرادة أجنبيه عليه أو الاعتداء على الآخرين. ومنها يستنتج أن ارتباط الأفراد في مجتمع من المجتمعات يخلق فيما بينهم روحاً عامة مشتركة ويجعل منهم أمة؛ وأن الدولة، التي هي الكيان السياسي للأمة، تقوم على هذه الروح الاجتماعية" (١).

وملخص مفهوم هذه النظرية هو "أن أس الأساس في تكوين الأمة، هو "الإرادة" وبتعبير آخر: مشيئة المعيشة المشتركة". وقد نشأت هذه النظرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا؛ ولذلك عُرفت باسم النظرية الفرنسية" (٢).

ثانياً: النظرية الألمانية:

تقوم النظرية الألمانية في القومية على وحدة اللغة، ويرجع أصلها إلى الفيلسوف هردر، فهو يرى أن اللغة روح الشعب، ويعدها خير معبر عن فكره ومزاجه وحساسيته وأصالته. وهذا يعني أن القومية كائن عضوي ظاهرته الأساسية اللغة البدائية للشعب"(٣).

وعلى حسب هذه النظرية فإن الرجوع إلى الأمارات الخارجية يكون كافياً في معرفة انتماء شعب لقومية معينة؛ وذلك لملاحظة "ما إذا كان هذا الشعب يبدي أمارات معينة موجودة عند شعب آخر، عندئذ يستنتج بأن هذين الشعبين ينتميان إلى قومية واحدة. وأهم هذه الأمارات وحدة اللغة (٤).

يرى الحصري أن هذه النظرية "نشأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى معظم البلاد الأوروبية الغربية والشرقية، وهي تعرف الآن باسم "النظرية الألمانية"، وأن أشهر دعاة هذه النظرية هو فيخته" (٥).

---

١ – حاطوم، ١٩٧٩م، ص٥.

٢ – أبو خلدون، أ١٩٨٥، ص٤٠.

٣ – حاطوم، ١٩٧٩م، ص٦.

٤ – حاطوم، ١٩٧٩م، ص٦.

٥ – أبو خلدون، أ١٩٨٥، ص٤٠.

يرى حاطوم أن هاتين النظريتين كان لهما الأثر الكبير على الحركات القومية في القرن العشرين، ومن هذه الحركات الحركة القومية العربية "ولا شك أن مفهوم النظرية الفرنسية ومفهوم النظرية الألمانية قد تطورا مع الزمن، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولكن أساسيهما ظلا باقيين، وما زالت الحركات القومية في القرن العشرين مطبوعة بطابع هاتين النظريتين من حيث الارتباط الحر والإرادة المشتركة واللغة" [١].

ثالثاً: النظرية الروسية:

يقوم جوهر النظرية الروسية الماركسية على أن "وحدة الحياة الاقتصادية" من الأمور الضرورية لتكوين الأمة، وقد نشأت هذه النظرية في روسيا في أوائل القرن العشرين، وسُمِّيت باسم "نظرية الماركسيين الروس"، والأمة في هذه النظرية تتكون من أربعة عناصر: الأرض، واللغة، والثقافة، والحياة الاقتصادية [٢].

١ -١٩٧٩م، ص٦.

٢ - أبو خلدون، أ١٩٨٥، ص٤٠.

المبحث الثاني
نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية وتطورها:

في لمحة موجزة عن تاريخ القومية ونشأتها يقول نور الدين حاطوم [١]: "القومية قوة من القوى النشيطة في التاريخ المعاصر، ويرجع أصلها إلى القرن السابع عشر وخاصة إلى التاسع عشر، عصر الأنوار وعبادة العقل والتفكير الديمقراطي والحقوق الطبيعية، وحق تقرير المصير القومي وغيرها من الأفكار العلوية التي بشر بها فلاسفة الإنكليز في البدء ووسعها الفلاسفة الفرنسيون وألفت أول تطبيق لها في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية وقيام الثورة الفرنسية، ثم انتشرت خلال القرن التاسع عشر في كل أوربة، وأصبحت في القرن العشرين حركة واسعة شملت أنحاء العالم".

يرى الهندي أن فكرة العروبة وفكرة القومية العربية لم تكونا معروفتين حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[٢]، وأن هذه الفكرة قد ظهرت في منطقة محددة من بلاد الشام[٣] ، ويؤكد هذا الأمر أكثر من كاتب، فمثلاً نجد أن الحصري[٤] ينص على أن نشوء فكرة القومية بمعناها التام "بدأ في البلاد العربية التي كانت باقية تحت الحكم العثماني المباشر، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر". ومن هؤلاء أنطونيوس [٥] الذي يقول: "بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧ بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت، في ظل رعاية أمريكية". ورعاية فرنسية، فقد قدر لهاتين القوتين الأمريكية والفرنسية عن طريق البعثات التبشيرية أن تحتضنا البعث العربي وترعياه نتيجة للتسامح الذي شهده حكم إبراهيم باشا على بلاد الشام[٦].

---

١ –١٩٧٩م، ص١٥.

٢ ولهذا فهو يرى أن حركات المقاومة والثورات العربية منذ القرن السابع عشر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، مثل الزيدية في اليمن، والوهابية في الحجاز، وثورة عبد القادر الجزائري، والسنوسية في ليبيا، والمهدية في السودان، بالإضافة إلى تجربة محمد علي باشا في مصر. لم تتعامل مع قضايا الأمة ومشاكل الوطن العربي الكبير ككل واحد؛ لأنها في نظره تنطلق من منطلق محلي أو قطري أوديني.

٣ – الهندي، ٢٠١٥م، ص٢٣.

٤ – أبو خلدون، ب١٩٨٥، ص١٢٠.

٥ –١٩٨٧م، ص٧١.

٦ – أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص٩٧.

ومنهم كذلك زرزور [١] الذي يرى أن الاتجاه القومي أو الفكر القومي عُرِفَ أول ما عُرِف "في بلاد الشام قبل أن يمتد أو يترك أثره في بعض البلاد العربية والإسلامية الأخرى فيما بعد". وفحوى هذه الفكرة أنها تتخذ من رابطة العروبة أو الرابطة القومية بديلاً من الرابطة الإسلامية، وتدعو إلى تقليص دور "الدين" في حياة المجتمع [٢].

وبعد ربع قرن من إنشاء الجمعية الأدبية السابقة بدأ جهد منظم في تبني الفكرة القومية والدعوة إليها. ففي سنة ١٨٧٥ أُسست جمعية سرية في الكلية السورية البروتستانتية في بيروت[٣]. وفي هذا يقول أنطونيوس[٤]: "يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥ –أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين– حين ألف خمسة شبان، من الذين درسوا في الكلية البرتستنتية السورية في بيروت، جمعية سرية، وكانوا جميعاً نصارى".

ثم إن هذه الآراء القومية وجدت فرصة صالحة للنمو بين المسلمين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[٥]. وفي هذه الفترة ظهرت كتابات مصبوغة بالفكر القومي، الأولى لعربي مسلم وهو عبد الرحمن الكواكبي وله كتابان نشرهما في القاهرة بدون تاريخ[٦] هما "أم القرى" و"طبائع الاستبداد" وهذا الكتابان "يتبوآن مكانة فريدة وحدهما في أصالتهما، واتساع أفقهما، ووجرأتهما"[٧] بحسب تعبير جورج أنطونيوس، ويرى الهندي [٨] أن لهذين الكتابين "دور مهم ومؤثر في تعميق الوعي العربي"؛ لأنه يرى أن الكواكبي كان أشجع وأصرح من طرح مسألة "الخلافة"، مؤكداً حق العرب المطلق فيها [٩].

---

١ –١٩٩٩م، ص٤٢.

٢ – زرزور، ١٩٩٩م، ص٤٢.

٣ – زرزور، ١٩٩٩م، ص٤٨.

٤ –١٩٨٧م، ص١٤٩.

٥ – أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص١٧١.

٦ ظهرت مواد "طبائع الاستبداد في الصحف المصرية قبل ١٣١٨هـ– ١٩٠٠م، ينظر: (أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص١٧، هامش٣).

٧ – أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص١٦٨.

٨ –٢٠١٥م، ص١٩٦.

٩ – الهندي، ٢٠١٥م، ص١٩٦.

ولهذا فهو مع إيمانه بفكرة الخلافة الإسلامية إلا أنه "في الوقت نفسه يدعو إلى إلغاء حق السلطان في لقب الخلافة ووجوب مبايعة رجل عربي من قريش بالخلافة في مكة"[١].

وأما الكتابات الآخرة فهي لنجيب عزوري وهو عربي مسيحي وله كتاب بعنوان "يقظة الأمة العربية" نُشِر في باريس سنة ١٩٠٥م[٢]، ويَعُدُّ هاني الهندي هذا الكتاب من الكتب المهمة في أوائل القرن العشرين، ويقول عن الكتاب: "وفيه انتقد الأتراك انتقاداً شديداً، ودعا إلى إقامة دولة عربية في آسيا يرأسها سلطان مسلم، عربي، على أن يحترم استقلال لبنان ونجد واليمن. وأكد أن المسيحيين لا يقلون عروبة من المسلمين، وأن تقوم كنيسة مسيحية عربية صرف، أي: كنيسة كاثوليكية عربية"[٣].

وقد كان النتاج الفكري للدعوة للقومية العربية قبل ذلك يتميز باللون الرومانسي، إلا أن الكواكبي وعزوري بمعالجتهما لهذه القضايا العربية في إطار السلطنة العثمانية كانا الجسر الذي عبرته الحركة القومية من عاطفية القرن التاسع عشر إلى واقيعة القرن العشرين"[٤].

وعندما أحكم الاتحاديون سيطرتهم على الدول العثمانية سنة ١٩٠٩م، أدت سياسة التتريك التي اتبعوها إلى التضامن العربي بين النصارى والمسلمين، وكان الحد الأدنى المتفق عليه بينهم في الدعوة إلى القومية أو العروبة هو "رفض سياسة التتريك بكل ما حملته من ردة وسفاهة وتآمر على العروبة والإسلام، ثم تعددت الآراء والمشارب بعد ذلك"[٥]. ويتمثل هذا التضامن في النشاط السياسي الذي صاحب سياسة التتريك، من خلال المنتديات والجمعيات والأحزاب التي بعضها يضم في عضويته مسلمين ونصارى، ومن أهم هذه الجمعيات جمعية العربية الفتاة، وحزب اللامركزية الإدارية العثماني، وقد تمخض من هذا النشاط قيام المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣م، ومن أهم قرارات هذا المؤتمر: إقرار مبدأ اللامركزية في كل ولاية عربية، وأن تكون اللغة العربية معتبرة في مجلس النواب العثماني، وضرورة إصلاح المملكة العثمانية[٦]، ويُرجع الحصري سر التضامن بين المسلمين والمسيحيين واشتراكهم في هذا المؤتمر إلى تأكيد جميع الخطباء أن حركتهم بعيدة عن الغايات الدينية[٧].

---

١ أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص١٧١.

٢ – أنطونيوس، ١٩٨٧م، ص١٧١.

٣ – الهندي، ٢٠١٥م، ص١٩٦.

٤ – الهندي، ٢٠١٥م، ١٩٨.

٥ – زرزور، ١٩٩٩م، ص٥٢.

٦ – الهندي، ٢٠١٥م، ص٢٨.

٧ – أبو خلدون، ب١٩٨٥، ص١٤٠.

في فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٨- ١٩٤٥) كان الوطن العربي الكبير مقسماً بين القوي الاستعمارية المختلفة، وخضعت معظم أقطاره للحكم الاستعماري المباشر؛ لذلك ساد الكفاح الوطني على الخط القومي العام، فأخذ المناضلون والمقاومون في كل قطر من هذه الأقطار العربية يقارعون المستعمر بصورة منفردة، ولعل السبب في ذلك يعود –كما يراه هاني الهندي، إلى "افتقاد النظرية القومية، وضعف الوعي القومي لدى الجماهير، ومصالح القيادات السياسية والاجتماعية القطرية"[١].

وظهرت في هذه الفترة أربعة تيارات سياسية هي: التيار الإسلامي، والتيار الوطني، والتيار الماركسي، والتيار القومي[٢]. وقد ظهر التيار الأخير منها بشكل أساسي في سورية ولبنان والعراق، وتمثله "عصبة العمل القومي" التي تأسست في سنة ١٩٣٣م، إلى جانب بعض الأندية الثقافية والجمعيات الكشفية، ويهدف هذا التيار إلى تحرير البلاد العربية من القبضة الاستعمارية وتحقيق الوحدة العربية الشاملة[٣].

وتُعد الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ذات أهمية بالغة في تاريخ الأمة العربية، وفيها نالت غالبية بلدان الوطن العربي الكبير استقلالها، وفيها وقعت جملة من الأحداث المؤثرة في المجتمع العربي وحركته القومية، ومن أبرز هذه الأحداث تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م وهي خطوة مهمة في تأكيد الرابطة العربية القومية، ومن هذه الأحداث التي رافقت بداية هذه الفترة نكبة الأمة في ضياع فلسطين وإقامة دولة اليهود على أراضيها سنة ١٩٤٨م، وكانت هذه الحادثة من أقسى الضربات التي واجهت الحركة القومية العربية. ومن هذه الأحداث المرتبطة بالعمل القومي العربي، إنشاء حزب البعث العربي في سوريا الذي انعقد مؤتمره التأسيسي سنة ١٩٤٧م، وهو حزب يتبنى القومية العربية، يرفع شعار "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، ويقوم على ثلاثة مبادئ، هي: "الوحدة العربية، والحرية والاشتراكية". ثم في سنة ١٩٥٢م قامت الثورة المصرية، وهي ثورة ذات أبعاد قومية عربية مهمة، وذات أثر بعيد في حياة الأمة العربية.

---

١ – الهندي، ٢٠١٥م، ص٣١١.

٢ – الهندي، ٢٠١٥م، ص٢١١– ٢١٩.

٣ يُنظر: (بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل بلبنان في ٢٤آب/أغسطس ١٩٣٣، المطبعة العصرية، دمشق، ١٩٣٣، ص٨ نقلاً عن: الهندي، ٢٠١٥م، ص٢٩).

وكان لها دور مهم في نقل الفكرة القومية العربية من المجال النظري إلى المجال التطبيقي، ثم في سنة ١٩٥٨م أرست أسس أول تجربة وحدوية عربية بين مصر وسوريا، فأزالت الحدود التي رسمها المستعمرون بينهما، فأُعلن عن قيام "الجمهورية العربية المتحدة" برئاسة جمال عبد الناصر، كما كان لحزب البعث العربي دور مهم في قيام هذه الدولة المتحدة بين مصر وسوريا، وأوشكت أن تعم بلدان عربية أخرى، إلا أنها لم تدم طويلاً بسبب ما واجهته من تحديات مختلفة، ومع ذلك فقد كانت هذه التجربة مهمة في إلهاب فكرة العمل القومي في المنطقة العربية قاطبة[١].

أسباب نشأة القومية العربية:

يُرجع عدنان زرزور نشأة الدعوة إلى القومية العربية إلى سببين:

الأول: استعارة الأفكار والنظم الغربية:

ويقصد بذلك تقليد الأوروبيين في الشعارات التي رفعوها وبالأخص في عصر النهضة الذي يعرف عندهم بعصر القوميات. فسرت الدعوة إلى القومية بحكم العلاقات القائمة بين العالم الإسلامي وأوروبا في حالتي السلم والحرب، وما كانت تتمتع به الدول الأوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وروسيا) بامتيازات كبيرة في الدولة العثمانية بحجة حماية الأقليات المسيحية، فأنشأت الإرساليات[٢] الدينية ومدارس التبشير في أغلب حواضر الدولة العثمانية[٣].

يعد زرزور[٤] هذا السبب "الأبعد أثراً من الوجهة الفكرية في هذا العصر وبعد عشرات السنين كذلك ... عندما اتسع نطاق تقليد الغرب، واستعارة الأفكار الأوروبية لدى عامة المثقفين، نتيجة لشيوع التعليم على المناهج المنقولة من مدارس الدول المستعمرة، أو تلك تمتعت بحق الوصاية أو الحماية أو الانتداب على البلاد العربية!".

١ – الهندي، ٢٠١٥م، ص٤٤٥– ٥١١.

٢– ويمكن الإشارة هنا إلى أن أول ارسالية تبشيرية وصلت السودان كانت سنة ١٨٤٨م (بدوي، ١٩٦٤م، ص١٧٩).

٣ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٤٧.

٤ –٢٠١٥م، ص٤٩.

ولعل في هذا السبب ما يفسر سر تركيز دعاة القومية العربية على النموذجين الإيطالي والألماني، من دعوات الوحدات القومية في أوروبا، دون النماذج التي تمت الدعوة إليها في البلقان على سبيل المثال، أي في نماذج الإمبراطورية العثمانية ذاتها[١]. لأن نموذج هاتين الدولتين يركز على اللغة دون غيرها من عناصر القومية؛ فقد كان هذا النموذج عامل تفكك وتمزق في حالة الدولة العثمانية، بالرغم أنه كان عاملاً موحداً في النموذج الأوروبي في حالتي ألمانية وإيطالية[٢].

الثاني: ظهور القومية الطورانية:

يرى زرزور أن الحركة القومية العربية كانت مجاراة للقومية "الطورانية أو تقليداً لها وقياساً عليها، ورد فعل على سياسة "التتريك" التي تبناها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، بعد أن أحكموا سيطرتهم على الدولة العثمانية، أعقاب خلعهم للسلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله ١٩٠٩م" [٣].

وقد تبنت هذه الجمعية سياسة تحمل روح العداء للإسلام والخلافة العثمانية، والمقصود بالقومية الطورانية: "الرجوع إلى خصائص الأسلاف الطورانيين "من سكان التركستان في أواسط آسيا" قبل دخول الترك في الإسلام، ولهذا رفعوا شعار "الذئب الأغر" الذي كان معبود الأتراك في جاهليتهم هذه، وبدأوا في الوقت نفسه بفرض اللغة التركية وحدها على جميع شعوب الدولة العثمانية، ومحاولة صبغها بالثقافة التركية"[٤]. ولقد أعطت هذه السياسة مبرراً لجميع الشعوب الدعوة إلى قومياتها، والمطالبة بالانفصال عن دولة الخلافة[٥].

ولهذا بدأت الدعوة إلى القومية العربية[٦] تقليداً ومجاراة لهذه الدعوة الطورانية الجاهلية، وكرد فعل على سياسة التتريك [٧].

---

١ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥٠.

٢ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥٧

٣ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥٠.

٤ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥١.

٥ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥١.

٦ ويمكن الإشارة هنا إلى أن أول حركة قومية سودانية في مواجهة الأتراك هي حركة الإمام محمد أحمد المهدي التي أزاحت الحكم التركي سنة ١٨٨٥م، وأقامت على أنقاضه أول دولة قومية في السودان.

٧ – زرزور، ٢٠١٥م، ص٥١.

المبحث الثالث
نشوء القومية السودانية وتطورها

ترتبط نشأة القومية السودانية عند الباحثين باستيلاء محمد علي باشا على السودان سنة ١٨٢١م، وتوحيده لأجزائه المختلفة في إطار دولة واحد موحدة؛ إذ أن السودان حتى ذلك التاريخ لم يكن له كيان قومي صحيح، وإنما كان "مقسماً إلى عدة أمارات أو دويلات، يطلق على كل منها: مملكة أو سلطنة"[١]. ومحمد علي باشا هو أول من فتح هذه البلاد للعالم والحضارة وجعل منها وحدة إدارية متماسكة الأجزاء بعد أن كانت متفككة العرى والأوصال[٢]. وهذا يعني أن القومية السودانية ترتبط بنشوء الدولة السودانية الحديثة التي أقيمت منذ ذلك التاريخ.

ولقد كان العهد التركي- المصري (١٨٢١- ١٨٨٥) هو بداية الحكم الأجنبي للسودان، ويُعد ذلك العهد من أهم الأسباب التي أدت إلى بروز القومية السودانية، ولم يكن ذلك بسبب قسوة الحكم وظلمه، ولا بسبب الضرائب المرهقة والطريقة الفظة في جمعها فحسب، بل فوق ذلك الاستعانة بالأجانب ولا سيما المسيحيين منهم في إدارة شؤون هذه البلاد ذات الأغلبية المسلمة، وذلك ما أثار سخط السودانيين واستيائهم من هذا النظام"[٣]. وأضحت عندئذ كلمة "الكفار" شائعة في وصف جميع هؤلاء الأجانب من الأتراك وما سواهم[٤].

فكان من الطبيعي أن ينشأ في السودان شعور حاد بالقومية مثله مثل أي بلد تعرض للاستعمار الأجنبي لسنوات طويلة، ويعد هذا الشعور رد فعل طبيعي لهذا الاستعمار، ومحاولة لرفض سيطرته على هذه البلاد[٥]. وبات السودان مهيأ للثورة ضد هذا النظام وإزالته؛ ولهذا قامت الثورة المهدية للتعبير عن روح السخط والرفض لهذا الاستعمار [٦].

---

١ – متولي، ١٩٦٩م، ج١، ص٦٤؛ ومحجوب، ٢٠٠٥م، ص٢٣.

٢ – شبيكة، ١٩٦٦م، ص٢٠٤.

٣ – محجوب، ٢٠٠٥م، ص٢٣؛ بدوي، ١٩٦٤م، ص١١٧-١١٩.

٤ – بدوي، ١٩٦٤م، ص١٣٩.

٥ – هدارة، ١٩٧٢م، ص١٤.

٦ –هدارة، ١٩٧٢م، ص١٥.

يُجمع أغلب الباحثين على أن الثورة المهدية هي التي أيقظت الشعور القومي الذي عمل على بناء الأمة السودانية، وأن نجاحها في إزاحة الاستعمار التركي- المصري وإسقاط نظامه وإقامة الدولة الوطنية السودانية، كان نتيجة لنجاحها في خلق مجتمع قومي ذي صفات وخصائص مميزة، يشعر بالانتماء لأصل واحد[١]. معتمدة في ذلك على بعث الشعور الديني والعصبية القبلية [٢]، وهما أهم عناصر العمل القومي "وهكذا قامت في السودان أمة واحدة ذات مفهوم ديني خاص: أمة ضد القوى الأجنبية بقدر ما هي مخلصة للعروبة والإسلام"[٣].

يرد هدارة على إنكار أحد الباحثين[٤] تشبث الإمام المهدي بالقومية؛ لأن الدعوة المهدية -في زعمه- دينية إسلامية محضة، قائلاً: "ليس من الضروري أن يتحدث المهدي في مناشيره عن الفكرة القومية، أو يفلسف لها، ما دام في سلوكه العملي يحاول إيجاد كيان لهذه الفكرة: لقد جمع السودانيين تحت لواء واحد وغاية واحدة، وحارب بهم مستعمري بلادهم، ومن هنا ينطلق الإحساس الحار بالقومية، ولكننا لا نعدم مع ذلك وجود إشارات في وثائق المهدي تكشف عن الروح القومية" [٥].

أعلنت موقعة كرري الفاصلة سنة ١٨٩٨م نهاية عهد المهدية، ولكنها لم تُنهِ الروح القومية التي أشعلتها، فقامت مع بداية العهد الجديد حتى نشوب الحرب العالمية الأولى الكثير من أعمال الكفاح الوطني في مختلف أجزاء البلاد، ولكنها قمعت بقوة السلاح، مثل ثورة الشريف محمد الأمين سنة ١٩٠٣م، وثورة ود حبوبة سنة ١٩٠٨م[٦].

تعد الحرب العالمية الأولى -كما يرى مدثر عبد الرحيم- نقطة تحول في نمو القومية السودانية، لجملة من الأسباب في مقدمتها "النقاط الأربع عشرة التي أعلنها الرئيس ولسون والتي كان يدور بحثها على نطاق واسع في الصحف المصرية" [٧].

---

١ - إبراهيم، ١٩٨٩م، ص٢٩؛ وبدوي، ١٩٦٤م، ص١٣٩-١٤١؛ وهدارة، ١٩٧٢م، ص١٥؛ محجوب، ٢٠٠٥م، ص٢٨، ٣٠٢.

٢ - بدوي، ١٩٦٤م، ص١٣٩- ١٤٠.

٣ - بدوي، ١٩٦٤م، ص١٤٢.

٤ هو محمد فوزي عبد الرحمن، صاحب كتاب: الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر.

٥ - هدارة، ١٩٧٢م، ص١٥.

٦ - محجوب، ٢٠٠٥م، ص٢٣؛ وهدارة، ١٩٧٢م، ص١٨.

٧ - عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٨٥.

لم تكن الحركة القومية في السودان بمعزل عن الحركات القومية الأخرى، فقد كان السودان يتابع باهتمام الثورة العربية سنة ١٩١٦م [١]، وفي سنة ١٩١٩م قامت الثورة المصرية فكتب زعماء الدين في السودان كتاباً للحاكم العام أكدوا فيه عدم اتفاقهم مع الحركة المصرية القائمة في ذلك التاريخ، وأعلنوا فيه ولاءهم وإخلاصهم للحكومة البريطانية. وقبل خمسة أشهر من سفرهم لبريطانيا لتقديم التهاني لملكها بمناسبة انتهاء الحرب وتوقيع الصلح، طلبوا من الحاكم السماح لهم أن ينشروا بين أتباعهم ما يُشجع الولاء والتعاون مع الفكرة الإمبريالية البريطانية، ويُؤدي في النهاية إلى زرع روح الوحدة القومية بين السودانيين. ومع أن الحاكم العام لم يسمح بذلك في أول الأمر، ولكن بعد عودة الوفد من بريطانيا وما لاقاه من هجوم وانتقاد عنيفين من قبل الوطنيين المصريين، سُمِح لهم بنشر الدعوة لقضية الهوية السودانية المنفصلة رداً على تلك الهجمات[٢]. وهذا يعني أن فكرة القومية السودانية كانت أظهر من القومية العربية. ومما هو معلوم أن القومية السودانية متنازعة بين تياري وحدة وادي النيل الذي يرعاه الجانب المصري، وتيار السودان للسودانيين الذي يرعاه البريطانيون.

ومن ذلك الحين أُنشئت جريدة "حضارة السودان" وقد شرعت هذه الجريدة في نشر سلسلة من المقالات تحت عنوان عام هو "القضية السودانية"، ثم أُنشئت بعد ذلك في الفترة ما بين ١٩٣٤م – ١٩٣٧م بعض الصحف والمجلات السودانية الأخرى التي تهتم بنشر الوعي القومي مثل: "السودان، والنهضة، والفجر"، فكانت هذه المجلات مع اهتمامها بالشؤون الأدبية تهتم بالشؤون الخارجية مثل: "العلاقات الصينية اليابانية، والصراع الطائفي في الهند، وإعادة التسليح في أوربا، وأخبار لورنس، والوحدة العربية، والإمبريالية الإيطالية في أفريقيا، وانتصارات أتاتورك المدهشة إزاء الغرب وسياسته المحزنة في بلاده، كانت جميع هذه الموضوعات تقرأ بحماسة ويعلق عليها" [٣].

شهدت فترة العشرينيات والثلاثينيات أيضاً ميلاد عدد من الأندية والجمعيات والروابط التي كان لها دور مهم في تطور الحركة الوطنية وإيقاظ الشعور القومي.

---

١ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٨٥.

٢ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٨٨– ٩٠.

٣ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٩٠، ١٠١.

ومن أهم هذه الجمعيات: عصبة اتحاد القبائل السودانية ١٩٢٢م، وعصبة العلم الأبيض ١٩٢٤م، وقد تمخض عن الأفكار القومية لهاتين الجمعيتين ثورة عارمة ضد الحكم البريطاني سنة ١٩٢٤م، وقد عُدَّتْ هذه الثورة علامة مضيئة في تاريخ النضال والمقاومة الوطنية، إلا أنها كانت درساً مؤلماً تلقاه السودانيون نتيجته "أن وعود المصريين بالمساعدة لا يعتمد عليها" (١).

فأصابت أحداث هذه الثورة وأحداث سنة ١٩٣٦م(٢) السودان بخيبة أمل كبرى إزاء وحدة وادي النيل، فاتضحت الحاجة إلى حركة سياسية مستقلة(٣)؛ لذا اتجه رواد الحركة الوطنية للنشاط العلمي والأدبي والسياسي لألهاب الشعور القومي، فانتشرت في هذه الفترة الأغاني الوطنية، كما اتجهت الجهود إلى التعلم والتفكير الجاد وخاصة دراسة السياسة الدولية، وتاريخ الحركات القومية الأخرى ودراسة المجتمع السوداني ولتحقيق هذا الغرض كُونت حلقات اتصال أكثر وثوقاً بالشعوب المماثلة لهم في تفكيرها في مصر وفي أجزاء أخرى من العالم العربي (٤).

ومما يؤكد متابعة السودان وتأثره بحركات التحرر القومي في البلدان الأخرى، قول محمد أحمد محجوب "كنا معجبين بمنجزات الحركة السياسية الهندية. وبكتابات غاندي ونهرو وخطبهما وأعمالهما، فتحولنا إلى النموذج الهندي. وتبنى نادي الخريجين آراءنا"(٥).

وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية تكللت هذه الجهود بقيام مؤتمر الخريجين الذي كان إنشاؤه "انتصاراً لقومية الشباب الجديدة، للجيل الذي جاء بعد سنة ١٩٢٤ والذي أراد أن يتخلص من سلطة الطرق الصوفية ويخلق في البلد حركة قومية غير طائفية .. وقد أخذ المؤتمر ببطء –ولكن بخطوات أكيدة– في البروز كنقطة الارتكاز الجديدة التي يتجه إليها الشعور القومي" (٦).

---

١ – محجوب، ٢٠٠٥م، ص٣٨؛ وعبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٩٣– ٩٤.

٢ المقصود بذلك الاتفاقية الأنجلو– مصرية بشأن السودان.

٣ – محجوب، ٢٠٠٥م، ص٣٩؛ وعبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٩٢– ٩٧.

٤ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص٩٩، ١٠٠.

٥ – محجوب، ٢٠٠٥م، ص٣٩.

٦ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص١١٥.

وقد قام هذا المؤتمر بأعمال وطنية عظيمة، وخرجت من صلبه الأحزاب السياسية القومية التي كانت متفقة على استقلال السودان، ولكنها كانت مختلفة في الطريقة المؤدية إليه ما بين وحدة وادي، والسودان للسودانيين[١].

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، أصبحت المطالب بالتحرر القومي في العالم المستعمر صارخة وملحة، وهذا ما قامت به الأحزاب السياسية القومية التي استطاعت بكفاحها الوطني تحقيق الاستقلال التام في الأول من يناير سنة ١٩٥٦م[٢].

١ – عبد الرحيم، ١٩٧١م، ص١١٥– ١١٨.

٢ – محجوب، ٢٠٠٥م، ص٤١، ٤٣.

المبحث الرابع
أثر القومية في الحياة الفكرية والأدبية في السودان

أعتقد أن الأثر القومي في النقد الأدبي السوداني بدأ بوضوح في مطلع العشرينيات من القرن العشرين على صفحات جريدة "الحضارة" بعد المقالات التي نشرها رئيس تحريرها عن المسألة السودانية، وما أثارته هذه المقالات من معارك سياسية، ومن ثم انتقل هذا النزاع إلى الجانب الأدبي والنقدي، فظهرت على صفحات "الحضارة" المقالات التي تدعو إلى الشعر السوداني وتهاجم الشعر التقليدي، وأن المعارك النقدية حول الأدب السوداني والثقافة السودانية استمرت وازدادت ضراوتها في مجلتي "النهضة والفجر".

فقد أثارت الدعوة إلى إنشاء أدب قومي معارك نقدية ومساجلات بين المفكرين والأدباء، فعلى صفحات "المرآة" نطالع مقالة مهمة جداً للشاعر محمد سعيد العباسي يرد فيها على دعاة الأدب القومي مبيناً رأيه بوضوح حول هذه المسألة[١]، كما نطالع أيضاً على صفحات مجلة الفجر في ذات المسألة مساجلة بين الصحفي المصري حسن صبحي ومحمد أحمد محجوب[٢]، أوضح فيها المحجوب رأياً صريحاً ومخالفاً لما ذهب إليه العباسي والصحفي المصري.

لست في حاجة إلى استقصاء جميع الآثار القومية في الحياة الأدبية في السودان؛ لأن ذلك مما يطول به البحث وأن الآثار القومية في إنتاجنا الأدبي والنقدي لا تخفى، ولكنني سأكتفي ببيان هذه الآثار من خلال كتابين يعدان من طلائع الكتب الأدبية والنقدية في السودان.

أولاً: كتاب "الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه":

نُشرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٢٨م، مؤلفه هو حمزة الملك طمبل الذي يعد من طلائع النقاد السودانيين في المجال الأدبي؛ لأنه "أول من حاول أن يحلل القصيدة ويرد خيالاتها وظلالها إلى معنى الشعر وهدف الشعر" [٣].

---

١ – عابدين، دون تاريخ، ص١٦.

٢ – عابدين، ١٩٦٧م، ص٢٤٦.

٣ طمبل، ٢٠٠٥م، ص٥.

كما يُعَدُّ من دعاة ومهندسي فكرة الأدب السوداني أي الأدب القومي في السودان، يقول عنه إبراهيم الشوش: "أديب نابغة ورائد في مقدمة رواد الأدب السوداني الحديث، خدم قضية الأدب السوداني الحديث" [١]. وقد كرَّس طمبل جهده ووقته لتوضيح هذه القضية وبيان أهيمتها، فموضوع الأدب السوداني في نظره موضوع جليل لأنه موضوع أمة بأسرها يجب أن يكون أدبها بارزاً بصورة صحيحة ليكون متميزاً عن آداب الأمم الأخرى [٢].

تتلخص دعوته للأدب السوداني –القومي– في اتجاهين [٣]:

الأول: تخليص الشعر السوداني من قيود التقليد والمحاكاة والخطابية والمبالغة والتهويل.

الثاني: أن تتمثل في الشعر الروح السودانية والقومية السودانية.

ففي الاتجاه الأول يدعو إلى ترك التقليد للنماذج القديمة في الشعر العربي، وخاصة مقدمة القصيدة القديمة وما تحتويه من وصف للأطلال أو النسيب والتشبيب بالمحبوب، أو وصف الناقة[٤]؛ لأن ذلك يبعد الشعراء عن التعبير الصادق، ولا يجعل شعرهم متميزاً عن رصفائهم في سائر الأقطار العربية، وهذا ما جعله ينتقد بشدة التشطير والمعارضة لأنهما من ألوان التقليد التي لا طائل ورائهما، لعدم إبراز مثل هذه الأنواع الصورة الصحيحة للأدب السوداني، إذ لو أغفل هؤلاء الشعراء التواريخ والإمضاءات، فإن الاهتداء إلى سودانوية هذا الشعر تعد أمراً عسيراً، لصعوبة التمييز بينه وبين الشعر في الأقطار العربية الأخرى[٥]. وفي ذات الموضوع يشن هجوماً عنيفاً على الشعر الذي حواه كتاب "شعراء السودان"، وعندما طبق عليه مقياس التقليد وجده "في مجموعه شيئاً لا يكاد يذكر"، فهو لا ينفي أن يكون في هذا الكتاب شعراً جيداً –كما يتبادر إلى الذهن– ولكنه ينفي أن يكون الشعر الذي حواه شعراً سودانياً بالمعني الذي دعا إليه أي شعراً سودانياً قومياً.

أما في الاتجاه الثاني: وهو المتعلق بإضفاء الروح السودانية والقومية السودانية على النتاج الشعري في السودان، فهو يرى أن الأدب السوداني بهذا المعني ما يزال في بدء التكوين.

---

١ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٧.

٢ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٢٧.

٣ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٩.

٤ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٧٧– ٨٣.

٥ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٤٩– ٦١.

وأنه أول من دعا إليه، يقول في ذلك: "أن الأدب السوداني شيء في بدء التكوين أنا أول من نطق باسمه وأراد أن يوضح بإخلاص العوامل التي تنميه وتسير به سيراً حثيثاً في سبيل المثل الأعلى"(١).

فما هي الروح القومية التي يريد منها إبراز الصورة الصحيحة التي يبتغيها للأدب السوداني، فهو يود أن تكون صورة الأدب "دالة على السودان، ومذكرة من يراها به أعني (سودانية) بكامل معناها حتى الوشم والشلوخ"(٢). فهو إذاً يريد لمن يقرأ الشعر السوداني ممن هو خارج السودان أن يقول: "إن ناحية التفكير في هذه القصيدة أو (روحها) تدل على أنها لشاعر سوداني، هذا المنظر الطبيعي الجليل الذي يصفه الشاعر موجود في السودان، هذه الحالة التي يصفها الشاعر هي حالة السودان، هذا الجمال الذي يهيم به الشاعر هو جمال نساء السودان، نبات هذه الروضة (أو هذه الغابة) التي يصفها الشاعر ينمو في السودان"(٣).

ومما هو جدير بالملاحظة أنه لم يخصص القومية بالأدب الشعبي أو الأدب الفصيح، إلا أنه عندما أخرج ديوانه "الطبيعة" تطبيقاً لهذه الدعوة، أخرجه شعراً فصيحاً، مما يعني أنه كان يقصد الأدب الفصيح لا الأدب الشعبي.

ثانياً: كتاب "نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع":

ألف محمد عبد الرحيم هذا الكتاب في حدود سنة ١٩٣٠م، نلمس ذلك من قوله: ولما نُقلتُ محاسباً لمركز كتم في شمال دار فور في أوائل سنة ١٩٣٠م قام بفكري أن أكتب سلسة مقالات بعنوان إقليم دار فور إلا أني أحجمت عن إرسالها إلى الجرائد لكيلا تقرأ وتمزق فتذهب فائدتها بل جمعتها على غيرها مما سبق نشره وما لم ينشر من مقالاتي، ثم أردفت ذلك بمقالات أخرى عن إقليمي وداي ونجريا٤ في مؤلف سميته "نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع" (٥).

١ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٧١.

٢ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٥٨.

٣ – طمبل، ٢٠٠٥م، ص٦٠.

٤ هكذا في الأصل. والمقصود نيجيريا.

٥ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص: ج.

وقد رأيتُ في تقاريظ الكتاب رداً من مصلحة الأمن العام بالموافقة على طلب نشر الكتاب الذي كتبه المؤلف بتاريخ ١٩٣١/٧/٧م. إلا أنني لم أعثر على تاريخ نشر الكتاب والغالب أن هذا الكتاب ظهر في منتصف الثلاثينيات[١].

قَسَّمَ محمد عبد الرحيم الأدب السوداني إلى قسمين: أولهما الأغاني، وثانيهما الأدب السوداني العربي، ولكنه لم يرض أن يُطلق مصطلح الأدب القومي إلا على الأول منهما، وهو القسم الخاص بالأغاني. ويشمل هذا القسم عنده جميع ألون الأدب الشعبي، وجعل له تسعة أغراض، هي الشعر السياسي، والحكم، والوصف والتصوير، والتحريض، والشفاعة والاسترحام، والمدح، والهجاء، والتغزل، والغناء الحديث. فالأدب القومي في نظره إذن هو الأدب الشعبي دون سواه؛ لأنه "أصدق في الحديث عن الأمة السودانية وأدق في التعبير عن منازعها وأحاسيسها وأقدر على تصوير مشاعرها وخلجاتها في شيء كثير من الدقة التي لا تتأتى لهم إلا مع هذه اللغة العربية المحورة في بعض منها، ولهذا السبب كان بعض الناس أقدر على نقل مشاعره بلغته القومية منه بلغة أخرى مهما كانت خبرته بها ... ومن أجل هذا وحده قلت إن هذا الضرب من الشعر السوداني أصدق وأدق من غيره" [٢].

ومن ثم فصّل القول في أغراض الأدب الشعبي (الأغاني)، وقد ورد في كل غرض منها مصطلح الأدب القومي على النحو الآتي:

١. يقول عن الشعر السياسي وهو أول الأغراض التي تناولها، وبدأ به لأهميته: "لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ البلد وأطوار الحكم فيه وطبائع الحكام الذين اختلفوا عليه وتنابوا حكمه، ثم لأنه يصور بجلاء شعور الأمة نحو حكامها من الأتراك والمصريين وأنصار المهدية، ويلقي ضواءً قوياً على الحوادث الهامة يومئذٍ، ولأنه بوجه عام يصف لنا مدى يقظة الشعور السياسي في الأمة، ويحدثنا عن أطوار الانتقال الذي تمهد له هذه اليقظة السياسية وهي في الغالب يولدها الضغط وتحكم الولاة وعسفهم بالرعية وأخذهم إياهم على الشدة والعنف" [٣].

٢. ويقول عن غرض الحِكَم: "والحِكَم في الشعر القومي قطعة من الإحساس العميق بالحياة، ونتيجة للتمرس بألوان شتى من التقلبات، ونظرات بعيدة هادئة إلى الكون،

١ كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في سنة ١٩٣٦م، يُنظر: (الأمين، ١٩٩٩م، ص ٢٧٩).

٢ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص١٣– ١٤.

٣ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص١٤.

وامتزاج قوي بصروفه وأحداثه، ومغالبة واصطدام بحقائقه وأوهامه، وقياس دقيق في تقدير وقائع المستقبل بما يكمن في النفس البشرية من طباع وما يتغلغل في النفس السودانية بوجه خاص" [١]. ويقول في موضع آخر عن الحِكَم: "وشعراؤنا القوميون يحرصون دائماً في حِكَمِهم على أن يوحوا لنا ببعض متممات الشخصية ومؤثرات القوة والكمال الذاتي المنشود بما يرسمون من خطط وتقاليد مرعية عند من يرغبون في خلق شخصياتهم وتركيزها على أساس أخلاقي متين" [٢].

٣. ويقول في غرض الوصف والتصوير: "وهنا فقط تتجلى موهبة شعراء الأمة والمحدثين بلغتها والمصدرين عن شعورها واحساساتها... وطبيعي أن يكون للون الحياة التي يحياها شعراء الأمة وأفرادها أثر تام فيما يملون من صور وأوصاف وإلا فلا معنى البتة لأن يعيشوا في بيئة لا يستمدون من جوها ولا يتنفسون من هوائها وينقلون عنها بعض ما يتصل بمشاعرهم من حقائق" [٣]. ويقول في موضع آخر: "وإذا كان لشعرائنا السودانيين القدماء ما نحمدهم عليه فهو هذا الانقطاع إلى الاستمداد من عالمهم وحده، يعينهم على ذلك استحالة اتصالهم بالأجواء الأخرى التي أفسد علينا اتصالنا بها ذوقنا الشرقي الجميل. وما يزال بعض شعرائنا القوميين حتى الساعة برغم ما التاث على الناس من الطبائع والتوى من الأذواق منكمشين على أفقهم السوداني العربي لا يسمحون أن يظهر به نجم لا يشبه نجوم الشرق ودراري صحرائه اللامعة"[٤].

٤. وفي غرض التحريض يقول: "ولقد رأيت قبلاً أثر التحريض وعمله البليغ في تاريخ حياة هذا الشعب. ذلك الأثر الذي سحق دولة وأقام أخرى وأباد حكومة ونشأ أخرى على عمد راسخة من الاستقلال الداخلي في عهد المهدية. ورأيت أيضاً أثره في حرق "ابن الباشا" وإلهابه كثير من الثورات"[٥]. ويقول في موضع آخر: "يستعين بعض

١ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٢٦.
٢ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٢٨.
٣ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٢٩.
٤ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٢٩.
٥ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٣٤.

شعرائنا القوميين أحياناً في مواقف التحريض –كيما يصلوا به إلى دم المحرض ... يستعينون على هذه بالإشارة والتلويح ..." [١].

٥. ويقول عن غرض المدح: "ويضيق هذا الباب في الأدب السوداني القومي على فرط اتساعه في الآداب الأخرى" [٢]. ويقول في موضع آخر: "وفي هذه الأيام الأخيرة وقد تلقحت أفكار بعض الشعراء القوميين بلقاح العصر وأثرت فيهم هذه اليقظة العالمية التي انتظمت العالم عن بكرة أبيه دخلت في المدح عناصر أخرى جديدة وتعابير أخرى جديدة وأفكار أخرى جديدة كذلك وبدأنا نستعرض أدبا قومياً يحاول أن يقرب الشقة بينه وبين الأدب العربي بما يستعين به من الكلمات الفصحى" [٣].

٦. ويقول في غرض التغزل: "الخيال القومي يستمد أوصافه وتشابيهه غالباً من الأدب العربي القديم، فالمرأة هي الظبية وهي المهاة وهي القمر ... وغير ذلك مما نقرأ في الغزل العربي القديم يملأ أخيلة شعرائنا القوميين ولكنه لا يحد من نبوغهم في بعض أوصاف يستمدونها من محيطهم وحده" [٤]. ويقول أيضاً: "وكما تجد في الشعر العربي العصري والقديم وفي الشعراء الرجعي والمجدد تجد في الشعر القومي أيضاً عصرياً وقديماً ورجعياً ومجدداً ولكنا بالذات نؤثر القديم منه لأشياء أهمها أنه كل ما نملك من الأدب السوداني الصميم، ولأنه عامر بالمعاني غير متجوز فيه بالألفاظ فلا تحس فيه الكلفة ولا التلفيق كما نجد في كثير من القصائد الحديثة على أن سوق الأدب القديم ما تزال قائمة معقودة لها روادها وأنصارها من سكان القرى والعواصم"[٥].

رأيه في علاقة القومية السودانية بالأدب الفصيح:

جاء القسم الأكبر من كتاب الأستاذ المؤرخ محمد عبد الرحيم –رحمه الله– "نفثات اليراع" تحت عنوان: "الأدب السوداني العربي"، وهو بدون أي شك يعنى الأدب القومي السوداني، ولكنه ما لبث أن غير رأيه وغير العنون إلى: "الأدب العربي في السودان"، مع الإبقاء عليه في أعلى الصفحة دون تغيير.

---

١ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٣٥.

٢ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٤٠.

٣٣ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٤٣.

٤ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٥٠.

٥ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٥٠.

ومن ثم نقل لنا المعركة النقدية بين فريقين من الأدباء حول هذا الأمر، فبينما يرى فريق أنه أدب قومي خالص، يرى الآخر بأنه ليس كذلك وإنما هو متأثر بعوامل خارجية، يقول محمد عبد الرحيم: "وإلى وقت قريب وإلى هذه الساعة ما تزال المغالطات قائمة على أشدها في أمر هذا الأدب أهو سوداني صميم من صنع البلاد أم هو خليط مما يرد علينا من الأقطار الأخرى فقال البعض بهذا وقال البعض بغيره" [١].

ثم أدلى برأيه في هذا الموضوع وهو في اعتقادي رأي مضطرب حاول فيه التوسط بين الفريقين، فقال إنه لم يكن سودانياً محضاً ولا خليطاً محضاً، وهو كما ترى لا يعنى غير أنه أدب خليط، وليته ثبت على رأيه الأول الذي ينص على أن الأدب القومي في السودان هو الأدب الشعبي لا الأدب العربي الفصيح، وإليك نصه كاملاً: "ولكل رأيه ومعتقده ولنا نحن أيضاً رأينا فيه وما هو بهذا ولا ذاك فما نقول إنه سوداني محض ولا خارجي محض، ولكن كفى دليلاً على أنه لم يتركز بعد ولم يتضح أمره فنصرفه إلى ناحيته الخليق بها، هذا الخلاف القائم حوله إذ لو كان الأمر فيه واضحاً لما نجم انشقاق في الرأي. وهذا برهان صريح على أن في كلا الرأيين مجازفة وتسرعاً بالحكم. وظلم صريح أن ننكر على السودان أن يكون له أدب. ومجاملة صريحة أن ننحله الكينونة الأدبية والانتاج المستقل. وقد وقف القارئ على طرف من رأينا عنه عند الحديث عن الأدب القومي إذ قلنا ما معناه أن الأدب القومي في نظرنا أصدق في التعبير عن الحياة السودانية من غيره. وما ذاك إلا لأنه من جو سوداني خالص من المؤثرات الخارجية التي يجترها من ورائه الأدب العربي المشترك بين كل البلاد العربية حاملاً خصائصها وشخصيتها ومنازعها بقدر قوة الأمة وتأثيرها فيه" [٢]. وهو كما ترى أبعد شيء عن التوسط، بل هو بكل وضوح يميل إلى الرأي القائل بأنه خليط، وفي هذا النص أيضاً تأكيد لرأيه السابق الذي أشرنا إليه سابقاً، وفيه كذلك أن لا يعد الأدب العربي الفصيح أدباً سودانياً قومياً، وإنما يعده أدباً قومياً عربياً.

لم ينص محمد عبد الرحيم على تعريف صريح مباشر للأدب القومي السوداني، ولكنه حاول في أكثر من موضع أن يبين هذا المفهوم، وسنحاول أن نستخلص من جميع ذلك تعريفه للأدب القومي، أو نظرته لما ينبغي أن يكون عليه، فالأدب القومي عنده هو أدب سوداني خاص "يحمل طابع شمسه المشرقة وطغراء بدره الوضئ.

---

١ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٧٦.

٢ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٧٦.

ويخص بعنايته الحياة السودانية وحدها منحنياً عليها يصفها ويحللها ويصدر عنها ويرسم لها منجذباً إليها مندفعة إليه مؤثراً فيها متأثراً بها. ثم ينكمش على النفس السودانية يوسعها درسًا وتمحيصًا وتفرية فينقدها ويمتحنها متحيناً بها أسباب الرقي والكمال مستخرجاً من مبادئها غاياتها ومن يومها غدها ومن أحلامها حقائقها دافعاً بها حافزاً لها مسيطراً عليها نازلاً منها منزلة العقيدة من نفوس المؤمنين يحوطونها بالرعاية ويذودون عنها بالنفس"[١].

وهو الأدب الذي يعبر عن الحياة السودانية والفكر السوداني ولما تقرؤه "تقرأ السودان لا العرق ولا دمشق ولا سوريا ولا حلب ولا غيرها" [٢].

خلاصة لما قدمناه من عرض للأفكار القومية في كتابي طمبل ومحمد عبد الرحيم يمكننا القول إن فترة الثلاثينيات من القرن العشرين شهدت ازدهار الفكر القومي في السودان؛ مما يعني أن السودان تأثر بهذا الفكر قبل ذلك بكثير، ويمكن الإشارة أيضاً إلى أن المقالات النقدية في هذين الكتابين لم تكن الأولى في مضمار النقد الأدبي في السودان، كما أن الدعوة إلى الأدب القومي لم يبتدرها طمبل ومحمد عبد الرحيم، وإنما دخلا في حلبة الصراع النقدي حول هذه المسألة لاحقاً. كما يمكننا أن نسجل هنا أن معظم الشعراء والأدباء الذين شهدوا حقبة الاستعمار الثنائي تأثروا بالفكر القومي.

١ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٧٦.

٢ – عبد الرحيم، دون تاريخ، ص٧٧.

الخاتمة:

وقد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. إن الحركة القومية العربية متأثرة بالنظريتين الفرنسية والألمانية.
٢. يُعد الحكم التركي للسودان (١٨٢١م- ١٨٨٥م) من أهم الأسباب التي أدت إلى بروز القومية السودانية.
٣. يُعد الأمام محمد أحمد المهدي أول شخصية وطنية عملت على إيقاظ الشعور القومي الذي أدى إلى بناء الأمة السودانية بمعناها الصحيح.
٤. لعبت الحرب العالمية الأولى دوراً مهماً في نمو القومية السودانية.
٥. لم تكن الحركة القومية السودانية بمنأى عن الحركات القومية في البلدان الأخرى.
٦. إن القومية السودانية أظهر من القومية العربية لدى النخبة السودانية من المفكرين والسياسيين والأدباء والشعراء.
٧. كان لأحداث سنة ١٩٢٤م، ومعاهدة سنة ١٩٣٦م، أثر سالب في وحدة وادي النيل.
٨. يُعد مؤتمر الخريجين من أبرز العوامل التي أدت إلى بروز الشعور القومي السوداني في فترة الحكم الثنائي.
٩. بدأ الأثر القومي بوضوح في الحياة السودانية الأدبية والفكرية في مطلع القرن العشرين.
١٠. يتفق حمزة الملك طمبل ومحمد عبد الرحيم في الأسس العامة للأدب القومي، ويختلفان في الأدب الحقيق بهذا المصطلح؛ ففي الوقت الذي لم يقبل فيه محمد عبد الرحيم اطلاق مصطلح القومية إلا على الأدب الشعبي، أخرج حمزة الملك طمبل ديوانه "الطبيعة" باللغة الفصيحة تطبيقاً لآرائه في الأدب القومي.
١١. إن معظم شعراء السودان وأدبائه ومفكريه الذين شهدوا فترة الاستعمار متأثرون بالفكر القومي.

المراجع:

١. إبراهيم، محمد مكي، (١٩٨٩م) الفكر السوداني أصوله وتطوره، ط٢، مطبعة أرو التجارية.

٢. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (١٩٧٥م) تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٣. الأمين، أ.د. عز الدين (١٩٩٩م) نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم.

٤. أنطونيوس، جورج (١٩٨٧م) يقظة العرب "تاريخ حركة العرب القومية"، قدم له د.نبيه أمين فارس، ترجمة: د. ناصر الدين الأسد، ود. إحسان عباس، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت.

٥. بدوي، د. عبده (١٩٦٤م) الشعر الحديث في السودان، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة.

٦. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٢٠٠٩م) الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد محمد تامر وأنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٧. حاطوم، د.نور الدين (١٩٧٩م) تاريخ الحركات القومية، الجزء الأول يقظة القوميات الأوربية، د. نور الدين حاطوم، ط٢، دار الفكر.

٨. أبو خلدون، د.ساطع الحصري (أ١٩٨٥م) ما هي القومية "أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٩. أبو خلدون، د.ساطع الحصري (ب١٩٨٥م) محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٠. أبو الدهب، د. أشرف طه (٢٠٠٢م) المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة.

١١. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسني (٢٠٠٠م) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.

١٢. زرزور، د. عدنان محمد (١٩٩٩م) جذور الفكر القومي والعلماني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٣. شبيكة، د. مكي (١٩٦٦م) السودان عبر القرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
١٤. الشهابي، الأستاذ أمير (١٩٦١م) القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها)، محاضرات ألقاها الأستاذ الأمير الشهابي، ط٢، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة.
١٥. طمبل، حمزة الملك (٢٠٠٥م) الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٥م، الخرطوم.
١٦. عابدين، د. عبد المجيد (١٩٦٧م) تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلى العصر الحديث، ط٢، دار الثقافة، بيروت.
١٧. عابدين، د. عبد المجيد (دون تاريخ) في الشعر السوداني، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
١٨. عبد الرحيم، د. مدثر (١٩٧١م) الإمبريالية والقومية في السودان دراسة للتطور الدستوري والسياسي ١٨٩٩-١٩٥٦م، دار النهار للنشر، بيروت.
١٩. عبد الرحيم، محمد (دون تاريخ) نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع، شركة الطبع والنشر الخرطوم.
٢٠. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٩٧٩م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
٢١. فرّوخ، د. عمر (١٩٨٠م) تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه "إعادة النظر في التاريخ"، عمر فرّوخ، دار الباحث، بيروت لبنان.
٢٢. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (١٩٨٠م) القاموس المحيط، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٢هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. متولي، د. عبد الحميد (١٩٦٩م) تطور نظام الحكم في السودان منذ أقدم العصور، مطبوعات جامعة أم درمان الإسلامية، مطبعة الشاعر بالإسكندرية.
٢٤. مجمع اللغة العربية (٢٠٠٤م) المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية.

٢٥. محجوب، محمد أحمد (٢٠٠٥م) الديمقراطية في الميزان، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة ٢٠٠٥م، الخرطوم.
٢٦. معلوف، لويس (دون تاريخ) المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط١٩، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
٢٧. ابن منظور، محمد بن مكرم (دون تاريخ) لسان العرب، تحقيق الأساتذة: عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهشام محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
٢٨. هدارة، د. محمد مصطفى (١٩٧٢م) تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، دار الثقافة، بيروت.
الهندي، د. هاني (٢٠١٥م) الحركة القومية العربية في القرن العشرين دراسة سياسية، هاني الهندي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت.

المشاهدات المستقبلية للموانئ السودانية بقارة إفريقيا- دراسة استشرافية

Future Views Sudanese Ports in Africa-A prospective Study

إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي
أستاذ مشارك ـ جامعة كسلا ـ كلية التربية ـ قسم الجغرافيا ـ السودان

ملخص:

تعد دراسة المشاهدات المستقبلية للموانى السودانية بقارة إفريقيا– دراسة استشرافية من الدراسات الجغرافيا السياسية ودراسات الجدوى وهدفت الدراسة الي بناء تصورات مستقبلية لوضع الدور الممكن الذي توديه الموانى السودانية بقارة إفريقيا وكذلك استشراف مستقبل الموانى في ظل وجود تحديات وتحولات اقتصادية عالمية ولتحقيق ذلك وضعت فرضية وهي للموانى السودانية ادوار استشرافية إذا تمت إدارتها بصورة فعالة وناجحة واستخدمت على أساسها عدة مناهج مثل منهج المنظومة الجغرافية والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج المورفولوجي وقد تمت معالجة المعلومات كما هو متفق عليها في الدراسات العالمية بشقين هما الرصد والتنبؤ وخلصت الدراسة إلى أن الموانى في السودان مستقبلا سوف يكون لها ادوار في منظومة تخطيطية وتنفيذية بالسودان وإفريقيا خاصة للدول الحبيسة والعالم الخارجي مما توديه من ادوار اقتصادية واجتماعية تنعكس ايجابيا على سكان السودان وإفريقيا الذي تبدو مؤشراته في المستقبل القريب نهوض عمليات التنمية وفك العزلة السياسية للدول الحبيسة بإفريقيا واختتمت الدراسة بتقديم عدد من التوصيات والاستراتيجيات المرحلية التي من شأنها معالجة الوضع القائم في الوقت الراهن والمستقبل، أوصت الدراسة تطبيق الكنفدرالية التجارية وأبرام اتفاقيات عالمية للنقل متعدد الوسائط مع الدول الحبيسة لتفعيل تجارة العبور وكذلك بتطبيق منهج العتبة البيئية الحدية والمنهج الإقليمي أسلوبا وحياة ومنهجا التي تودي إلي استقرار إنسان السودان وإفريقيا خاصة الدول الحبيسة ذات الصلة بالموانى السودانية .

Abstract

The study of future views of Sudanese ports on the African continent is a forward-looking study of political geography and feasibility studies. The study aimed to build future scenarios to lay out the possible role that Sudanese ports in Africa, as well as foreseeing the future of ports, in light of the presence of challenges and global economic transformations. To achieve this, several hypotheses have been set Sudanese ports have forward-looking roles if they are managed effectively and successfully and they are used on the basis of several approaches such as the geographic system approach, the descriptive analytical approach and the morphological approach, and the information has been processed as agreed upon. In the global studies in two aspects, they are monitoring and forecasting, and the study concluded that future ports in Sudan will have roles in a planning and implementation system in Sudan and Africa, especially for landlocked countries and the outside world, which give them economic and social roles that reflect positively on the population of Sudan and Africa, whose indicators in the near future appear to rise Development processes and dismantling the political isolation of landlocked countries in Africa. The study concluded with a number of recommendations and interim strategies that will address the current and future situation. The study recommended the application of the trade confederation And the conclusion of global agreements for multimodal transport with landlocked countries to activate transit trade, as well as applying the threshold environmental threshold approach and the regional approach as a way of life and approach that lead to the stability of the people of Sudan and Africa, especially land-locked countries related to Sudanese ports.

مقدمة:

يحتل السودان موقعا وسطا ما بين إفريقيا والوطن العربي مما أضاف إليه ميزة خاصة وهي اعتباره مدخلا بين شمال إفريقيا وجنوبها، ولقد كان في الماضي معبرا رئيسيا للحجيج والتجارة من غرب إفريقيا الي بيت الله الحرام وشرق إفريقيا وكل ذلك كان عبر الموانى السودانية .

وتعد الموانى السودانية بوابة إفريقيا وشريان حياتها وايضا رئة إفريقيا النابضة له حيث تمثل بؤرة الاقتصاد المحلي مما يكون له مردودة التنموي علي البلاد من خلال تبادل السلع والخدمات ، كما انه تعد من وسائل الاتصال البري البحري معا وحجر الزاوية لقيام الصناعات ذات القيمة المضافة

يبلغ طول الساحل السوداني حوالي ٧٥٠كلم وتعد من أنظف السواحل البحرية المطلة علي البحر الاحمر وتوجد عدة موانى منها ميناء سواكن وهو متخصص في نقل الحجيج والإنعام الي دول الخليج وميناء بور تسودان وهو الميناء الرئيسي لدولة السودان وهو يحتوي علي عدة أجنحة منها الميناء الأخضر والميناء الجنوبي وغيرها وبالإضافة الي ذلك توجد موانى متخصصة في نقل البترول من والي السودان وهما بشائر(١ و٢) وكذلك ميناء ابوسيف المتخصص في نقل المعادن .

المحور الأول: اسياسات الدراسة

المحور الثاني: الإطار النظري

المحور الثالث: جغرافية منطقة الدراسة

المحور الرابع: تحليل البيانات

المحور الخامس: اختبار الفرضيات والنتائج والتوصيات

مشكلة الدراسة:

المشاهدات المستقبلية للموانى السودانية بقارة إفريقيا هي دراسة لتحليل واقع الموانى السودانية كما تحاول الدراسة معرفة الفرص المتاحة لتلك الموانى خاصة ذات الصلة بالدول الحبيسة في القارة الإفريقية في ظل تحولات اقتصادية عالمية وتكتلات دولية مثل دول الخليج العربي ومنظمة الساحل والصحراء منظمة دول الإيقاد والاتحاد الأوربي بالإضافة الي الاستثمارات داخل حدود الأوطان حيث تحدد بعمليات الطرد والجذب الاستثماري، ولذا تحاول

الدراسة تحليل وتفسير وقراءة البيانات المتوفرة والواقع المعاش للإجابة علي تلك المشاهدات المستقبلية من خلال الفرص والتحديات.

أهمية الدراسة :

١- للموانى دور فعال في جلب الاستثمارات الأجنبية للسودان

٢- الوقوف علي مستقبل هذا القطاع الحيوي في السودان وإفريقيا

أهداف الدراسة:

١- بناء تصورات مستقبلية لوضع الدور الممكن الذي توديه الموانى السودانية بقارة إفريقيا.

٢- تفعيل ادوار الموانى السودان في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بقارة إفريقيا

٣- تقدير العوائد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من تلك الموانى السودانية بقارة إفريقيا

٤- للموانى السودانية ادوار استشرافية إذا تمت إداراتها بصورة فعالة .

٥- استشراف مستقبل الموانى في ظل وجود تحديات وتحولات اقتصادية عالمية،

فرضيات الدراسة:

للموانى السودانية ادوار استشرافية إذا تمت إدارتها بصورة فعالة وناجحة

المناهج العلمية المستخدمة في الدراسة :

منهج المنظومة الجغرافية:

لقد تناول الطيب(٢٠٠٥م) هذه المنظومة الجغرافية والتي تعني بدراسة المبادي التي تحكم مختلف التغيرات التي تحدث في مكونات البيئة الطبيعية ،والتوزيع المكاني لهذه المكونات الطبيعية وموازنة بالتوزيع المكاني للسكان ،وطبيعية وكثافة هذه الأنشطة علي مختلف مكونات البيئة الطبيعية ،ومجمل الظروف التي تحكم حياة المجتمعات البشرية ،وما يطرا علي هذه الظروف من تغيرات وما تحدثه التغيرات من تأثيرات.

المنهج الوصفي التحليلي:

لقد ذكر إبراهيم (٢٠٠٠م) بخصوص المنهج الوصفي التحليلي بأنه يستخدم للتحقيق من فرضيات الدراسة لأنه يتناول الظواهر كما هي في الواقع ويساعد في الوصول للنتائج المرجوة من خلال الوصف والتحليل للظروف والشروط المحيطة لعمليتي وارد المياه والاستخدامات السكان المختلفة بالسودان –دراسة حالة الموارد المائية واقعها ومالاتها المستقبلية علي السودان.

المنهج المورفولوجي:

يركز هذا المنهج علي تحليل شكل الوحدة السياسية وعناصرها وتركيبها والأنماط المكونة له ويقوم بتحليل أنماط وتركيب الوحدات السياسية والمقصود بالأنماط كافة الارتباطات المكانية بين التنظيمات المختلفة داخل الوحدات السياسية والتي يرجع تكوينها الي اتفاق وتعاون بين الوحدات السياسية المختلفة وتشمل التنظيمات الإدارية المحلية والإقليمية والدولية.

وبمعني أخر يركز هذا المنهج علي تحليل الأسس الجغرافية للعلاقات الداخلية والخارجية للوحدات السياسية وتغطي العلاقات الداخلية قلب الوحدة السياسية (نواتها) وبقية أقاليمها الإدارية والحضارية كما تغطي السكان ونشاطاتهم الاقتصادية أما العلاقات الخارجية فتعني الاهتمام بدراسة المساحة والشكل والموقع والحدود(المنقوري،٢٠٠٥م).

المنهج الوظيفي:

تم استخدام هذا المنهج في مواطن الضعف والقوة داخل الوحدة السياسية استنادا الي حصيلة وظائفها الداخلية والخارجية التي تقوم به (المنقوري،٢٠٠٥م). ويهتم بدراسة اسواق التصريف وتحديد الظهير والتجارة الدولية للإنتاج(هارون،٢٠٠٠م).

مصادر بيانات الدراسة:

اعتمد الباحث البيانات والإحصاءات المطلوبة للدراسة من عدة مصادر فرضتها الدراسة مثل الكتب المنهجية الجغرافية والتقارير والنشرات العلمية التي صدرت من جهات ذات الصلة بالموارد المائية

حدود الدراسة : تكمن حدود الدراسة في ثلاث محاور وهي :

الحدود الزمانية : (٢٠٢٠م)

الحدود المكانية : جمهورية السودان بحدوده الإدارية المعروفة وذلك حسب تقسم الولايات في ديوان الحكم المحلي لعام (١٩٩٣م)

الإطار النظري:

مفهوم الدراسات المستقبلية :

تعد الدراسات المستقبلية صورة ممكنة للمستقبل وبناء نظرة تركيبية كلية شاملة تستطيعان ترشد صانع القرار او توجيه في المستقبل (ذكر في حاج احمد نقلا من (عز الدين ،٢٠١٧م).

مفهوم الاستشراف:

هو عملية متواصلة عبر الزمن ليس القصد منها تحديد تفاصيل المستقبل والتنبؤ به بقدر ما تهدف الي اكتشاف البدائل ، كما يعرف بأنه علم تفادي المشاكل التي تواجه الدولة او المؤسسة مستقبلا أي انه عملية تجنيب الدولة او المؤسسة مخاطر مستقبلية ممكنة (عز الدين،٢٠١٧م).

تعريف السيناريو:

يعد السيناريو احد أساليب وتقنيات الدراسات المستقبلية وهو يشبه التخطيط في كونه محاؤلة لرسم صورة معينة والتنبؤ بالمستقبل وهو عملية معقدة ونتائجها غير مؤكدة والهدف من رسم السيناريوهات هو إعطاء فكرة عامة عن التوجه الرئيسي الممكن لمسار الإحداث في ضوء المعطيات الحالية وعلي ضوء ذلك التعريف يمكن إن يكون السيناريو من الأتي:

١- طريقة تحليلية احتمالية مكن في تتبع المسار العام لتطور الإحداث والظواهر انطلاقا من وضعها وحالتها الحالية ،وصولا الي رصد سلسلة من التوقعات المستقبلية لهذه الإحداث و والظواهر ومن ثم يمكن القول بان السيناريو هو عبارة عن بقية فرضيات تمكن من فهم التحولات التنبوية التي قد يتخذها تطور النسق معين

٢- أسلوب يعتمد علي الابتكار الي درجة ما في صناعة مستقبل الظاهرة .

٣- وف لوضع مستقبلي ممكن الحدوث عن توافر شروط معينة في مجال معين.

٤- وفي ضوء ما سبق يمكن القول بان السيناريو يعتمد علي التنبؤ بمستقبل الظاهرة والتعرف علي تاريخ الظاهرة والكشف عن طبيعية التأثيرات المتبادلة لهذا التاريخ ومجموعة القوي التي شكلته والتي يحتمل إن تودي الي حدوثها في اتخاذ القرار الي ما هو ممكن ماهو متحمل(عز الدين ، ٢٠١٧م)

الفرق بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا:

يخلط الكثيرون ما بين مصطلح الجغرافيا السياسية (Political Geography) والجيوبوليتكا ومنهم الجغرافي الأمريكي (ويستلي) حيث يستعمل (Geopolitics) كاختصار للفظ الجغرافيا السياسية (Political Geography) ذكر (سعود ٢٠٠٣م نقلا من حسن،٢٠٠٨م) وهذه الأخطاء الشائعة في علم السياسة غير انه هنالك فروق جوهرية يمكن ملاحظتها بين المصطلحين

١- إن الجيوبوليتكا ترسم خطط ما يجب إن تكون عليه الدولة ، بينما الجغرافيا السياسية تدرس كيان الدولة كما هو الحال فعلا.

٢- إن الجيوبوليتكا ترسم حالة الدولة في المستقبل بينما تكتفي الجغرافيا السياسية برسم صورة الماضي والحاضر

٣- إن الجيوبوليتكا متطورة متحركة بينما الجغرافيا السياسية تميل الي إن ثابتة وساكنة.

٤- إن الجيوبوليتكا تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة بينما الجغرافيا السياسية انها صورة الدولة.

٥- إن الجيوبوليتكا تهتم بأثر الجغرافيا السياسة ،بينما تهتم الجغرافيا السياسية بأثر السياسة علي الجغرافيا.

ويتضح لنا مما سبق إن الجيوبوليتكا ترتبط بخطط واستراتيجيات الدولة في تطويع الجغرافيا لتقوية سياساتها وقوتها الذاتية ، بينما الجغرافيا السياسية تهتم بموارد الدولة الجغرافية والأنشطة المختلفة المرتبطة بالموارد .

كما يلاحظ إن الجغرافيا السياسية ذات موضوعية في دراسة الجغرافيا (يدرس الجغرافيا كما هو الحال) بينما الجيوبوليتكا ذات نزعة تتسم بدراسة من وجهة (حسن،٢٠٠٨م).

الموقع الجغرافي:

موقع السودان

أولاً الموقع:

يعد الموقع من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر بصورة مباشرة في قوة الدولة إذا توافرت من خلاله المرونة التامة لعملية بناء الدولة اقتصادياً واجتماعياً دون أن يتأثر بالظروف الخارجية المحيطة، أو قد يكون عنصر ضعف للدولة من خلال المعطيات البيئية أو الاستراتيجية السالبة.

هذا الموقع الجغرافي بامتداده الطولي والعرضي ترك تأثيراً مناخياً ذات تعدد مناخي كما هو الحال في السودان الذي تنحصر حدوده الشمالية والجنوبية خط طول ٤٩ .٢١ ق – ٣٤ .٣٨ ق خط عرض ٨ .٢٣ ش – ٤٥ . ٨ ش.

موقع الجوار:

المقصود به هو عدد الدول التي تجاورها الدولة وتشاركها الحدود السياسية ، وما يترتب على ذلك الموقع من انعكاسات في العلاقات الدولية بين الدول المتجاورة ، إذ أن موقع الجوار له انعكاسات ايجابية وأخرى سالبة .

نجد السودان هو واحد من أكبر دول أفريقيا من حيث عدد الدول المجاورة ، حيث تجاوره ٧ دول خلاف حدوده الساحلية على البحر الأحمر ، ويرجع ذلك بصورة أساسية لامتداده الطولي والعرضي وموقعة الوسط في القارة. الحدود الأرضية: إجمالي طول الحدود ٦٧٨٠ .

"كلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما زادت الأعباء الملقاة على عاتق هذه الدول خاصة حماية حدودها وأمنها القومي وعلاقتها بالجيران (عبد الجليل،٢٠١٥م).

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية ويطل علي البحر الاحمر والنيل وهو الاكثر بروزا في جغرافية حيث يشكل نهر النيل ٦٧.٤٪من مساحته.

الإحداثيات: خط الطول :٢١.٤٩ق ٣٨.٣٤ دائرة العرض:٢٣.٠٨ش ٨.٤٥ش

المساحة: تبلغ مساحة السودان (١٨٨٢.٠٠٠كلم٢)ويعد ١٦عالميا،والثاني إفريقيا، والثالث عربيا. ومساحة البر(١.٧٥٢.١٨٧كلم٢) ومساحة البحر(١٢٩.٨١٣كلم٢) ويبلغ طول الساحل (٨٧٢كلم).

المناخ: صحراوي وشبة صحراوي جاف في أقصي الشمال (الولاية الشمالية /شمال كردفان/وشمال دارفور) شبه الصحراوي الي ماطر في الأواسط والجنوب ومناخ البحر الأبيض المتوسط في المناطق الشرقية .

السطح :السودان في غالبيته سهول منبسطة مع وجود مرتفعات تتمثل في سلسلة جبال البحر الاحمر ومرتفعات جبل مرة.

النتائج المترتبة على الموقع الفلكي للسودان :كما ذكرها (عبد الجليل،٢٠١٥م)

- تقع أكثر من ٥٠ % من أراضي السودان في حزام الأراضي الجافة وشبة الجافة .
- يقع السودان ضمن إقليم الساحل الأفريقي الذي يمتد من غرب أفريقيا حتى شرقها بطول يقدر بحوالي ٧٠٠٠ كلم وعرض يصل إلى حوالي ٥٠٠ كلم جنوب الصحراء الكبرى ، أي ينحصر بين خطى تساوي المطر ١٠٠ ملم شمالاً و ٥٠٠ – ٧٠٠ ملم جنوباً .

- يقع جزء من أراضي السودان في (حزام العطش) الذي يمتد من الشرق على الغرب بين دائرتي عرض (١١ – ١٦ درجة) . حيث تشكل الأمطار المصدر الرئيس للمياه .
- شهد إقليم الساحل الأفريقي جملة من التغيرات المناخية في العقديين الأخريين من القرن الماضي ، أثر ذلك في التوازن البيئي من ناحية ، وفي التركيب الاقتصادي والاجتماعي للسكان من الجانب الآخر ، فقد أشارت معظم الدراسات التي أجريت في الإقليم إن الجفاف هو الظاهرة السائدة في الإقليم عامة ، مع اختلاف في درجة الجفاف وفقاً للموقع الفلكي و الارتفاع . ويرجع ذلك لانخفاض كمية الأمطار وتذبذبها الحاد وعدم توازن توزيعها
- عانى إقليم الساحل الإفريقي من مشكلة التصحر والتدهور البيئي .
- يعاني السودان من عجز مائي (الفرق بين معدل التساقط ومعدل التبخر) حيث يبلغ أدنى مستوياته على حدود السودان الجنوبية ويزداد تدريجياً في اتجاه الشمال والشمال الشرقي حيث يصل إلى أكثر من ١٧٥٠ ملم في السنة ؛ مما يؤثر على الإنتاج الزراعي المطري والذي يعتمد عليه معظم سكان السودان وكذلك يؤثر على المراعي الطبيعية .
- تعتبر منطقة الساحل أكثر مناطق العالم إثارة للقلق حيث أنها تعاني من انخفاض نصيب الفرد من الإنتاج المحلي وارتفاع معدلات المواليد وتكرار الكوارث الطبيعية والبشرية .
- يقع السودان ضمن حزام الجراد الصحراوي الذي يمتد غرباً من المحيط الأطلسي حتى ساحل البحر الأحمر مما يشكل خطراً دائماً على الإنتاج الزراعي .
- الموقع الفلكي للسودان أتاح الفرصة لوجود عدد من المناخات ، وهذا التعدد المناخي ساعد في إمكانية إنتاج العديد من المحاصيل الزراعية والتنوع في تربية الحيوان.
- في السودان عانى ٨,٥ مليون شخص من المجاعات ونقض الغذاء في الثمانينيات من القرن الماضي (١٩٨٢– ١٩٨٥م) خاصة في (تلال البحر الأحمر ، شمال كردفان ، شمال دارفور) وقد أدت موجة الجفاف إلى تدني الإنتاجية الزراعية والرعوية – تدهور الإنتاج الزراعي التقليدي والإنتاج الحيواني – تدهور موارد المياه – تدهور التربة – انحسار الغطاء النباتي – مما أدى إلى تدني الدخل ، تفشي الفقر ، انعدام الأمن الغذائي ، تدهور الخدمات والهجرة بأعداد كبيرة للمدن والعاصمة الخرطوم .
- توطن العديد من أمراض المناطق الحارة في السودان (الملا ريا ، البلهارسيا ، الحصبة ، التهاب السحائي ، إضافة لضربات الشمس)

مميزات السودان (قيمة السودان الاقتصادية):

أولا: السكان:

عدد السكان٣٣.٤١٩.٦٥٢ الزيادة السكاني مابين١٩٩٣- ٢٠٠٨م تعادل ٥٢٪ ومعدل النمو السكاني يعادل ٢.٨٪

إما من ناحية الفئات العمرية فهي كالأتي:

١- الفئة العمرية من (٠- ١٤سنة) تعادل ٤٣.٢٪

٢- الفئة العمرية من (١٥-٦٥سنة) تعادل ٥٣.٤٪

٣- الفئة العمرية من (+٦٥سنة) تعادل ٣.٤٪ متوسط العمر الكلي يعادل ٥٩سنة

الرجال ٥٨سنة والنساء ٦١سنة

ثانيا: الموارد المائية:

جدول (١) الواقع المائي بالسودان

المورد المائي بالسودان	الإحصاءات بالمليار المتر المكعب
مجموع الموارد المائية	٣٠.٨ مليار متر٣
متوسط إيراد النيل في الأواسط	٩٣ مليار متر٣
حصة السودان (اتفاقية مياه النيل ١٩٥٩م)	١٨.٥ مليار متر٣
حصة مصر (اتفاقية مياه النيل ١٩٥٩م)	٥٥.٥ مليار متر٣
متوسط الامطار السنوي	٤٠٠ مليار متر٣
المياه الجوفية المتجددة	٤.٢ مليار متر٣
متوسط الإيرادات من مصادر أخري(الأنهار/الأودية /الخيران	٦ مليار متر٣
المياه الجوفية المتجددة	١.٠٢ مليار متر٣
الأودية والخيران	٢.٥ مليار متر٣

المصدر: السودان ارض الفرص حقائق وأرقام،٢٠١١م

وكذلك الجدول (٤) الأنهار الرئيسية ورافدها بالسودان ونجد ان النيل الأزرق يمثل الإيراد الأكبر للنهر النيل الذي يمثل ٥٠ مليار متر٣،وأدناها نهر الرهد الذي يمثل واحد مليار متر٣سنويا .

ثالثا: الثروة الحيوانية:

جدول(٢) إعداد الثروة الحيوانية

نوع الحيوان	الإعداد بمليون رأس	الزيادة السنوية
الأبقار	٢٩.٦	٧٪
الضان	٣٩.٣	٨٪
الماعز	٣٠.٥	٤٪
الإبل	٤.٧	٢.٣٪

المصدر: السودان ارض الفرص الصناعية الواعدة٢٠١٨م

التوزيع الجغرافي للمشروعات التنموية في السودان:

يتركز الثقل التنموي في السودان بين خطي (٧- ١٥) درجة شمالا حيث توجد المشروعات الزراعة المروية والإلية المطرية والتقليدية المطرية مثل وذلك الجدول (٣) يدعم استخدامات الأرض المختلفة في السودان:

١- مشروع الجزيرة ٢- مشروع الرهد ٣- مشروع السوكي

٤- مشروع حلفا ٥- مشاريع الإعاشة السبعة ٦- مشروع القاش

٧- الزراعة الإلية في القضارف ٨- الدالي والمزموم

المشروعات الصناعية (مصانع السكر):

١- حلفا الجديدة ٢- عسلاية ٣- كنانة

٤- الجنيد ٥- النيل الأبيض ٦- سنار

المشروعات المائية (السدود والخزانات):

١- مروي ٢- سنار ٣- الروصيرص

٤- خشم القربة ٥- جبل أولياء ٦- أعالي نهري عطبرة وستبيت

المواني البحرية وهذا يعني انها ليست دولة حبسية:

١-بور تسودان ٢- سواكن ٣- عثمان دقنة

٤- بشائر ١و٢ ٥- اوسيف

وذكر (محمد،٢٠١٠م) إن مناطق الثقل التنموي في السودان التي تقدر بربع مساحة السودان التي تحتوي ٩٥٪من الانتاج الزراعي بها و٩٥٪أيضا من المورد المائية تمر من خلالها ، وكل المعادن وحقول البترول وكذلك ٨٥٪من الثروة الحيوانية ومصادر الطاقة وتماشيا مع ذلك ٧٠٪من القاعدة الصناعية .

رابعا: استخدامات الأراضي:

جدول (٣) استخدامات الأراضي بالمليون هكتار

القطاع	المساحة بالمليون هكتار
القطاع المروي للإنتاج المحاصيل	٢
القطاع المطري التقليدي للإنتاج المحاصيل	٩
القطاع المطري الالي للإنتاج المحاصيل	٦
قطاع المراعي الطبيعية	٣٩
قطاع الغابات	٢٨
الجملة	٨٤

المصدر: الكرم ،٢٠١٧م

الخريطة (١) التوزيع الجغرافي الثقل التنموي في السودان

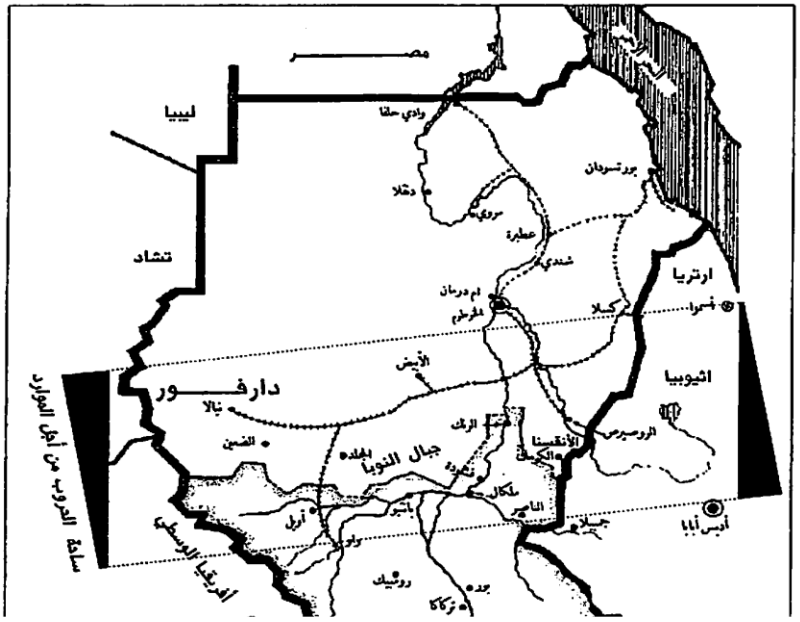

المصدر:محمد٢٠١٠م نقلا من كتاب السودان الموارد

خامساً: الصمغ العربي:

ينتج السودان٨٠٪ من الانتاج العالمي للصمغ العربي وإنتاج السودان حليا يبلغ ١٥٠الف طن سنويا يستهلك ١٠الف طن سنويا يصدر ١٠٠الف طن سنويا وهنالك ٤٠الف طن سنويا يتم تهريبها (السودان ارض الفرص الصناعية الواعدة٢٠١٨م)

منظومة الموانى السودانية:

تشرف هيئة الموانى البحرية علي عدد مقدر من الموانى البحرية والموانى الجافة الآتية:

*** ميناء بور تسودان الرئيسي ويتضمن الأتي:**

*** الميناء الشمالي يختص بمناولة البضائع العامة والصب السائل (الزيوت المولاص)**

***الميناء الجنوبي يختص بمناولة الحاويات والغلال**

*** الميناء الأخضر يختص بمناولة بضائع الصب الجاف والمعدات الثقيلة.**

***ميناء بشائر الخير (٢.١) يختص بمناولة المواد البترولية ومشتقاتها.**

*** ميناء الأمير عثمان دقنة يختص بحركة بواخر الركاب والماشية.**

*** ميناء اوسيف يختص بتصدير الحديد والمعادن.**

*** ميناء سلوم الجاف**

المشكلات التي تواجه المواجه الموانى البحرية السودانية:

تتعدد المشكلات علي المستوي الداخلي والخارجي التي تقف حجر عثرة في عمليات تطور وبناء الشراكات الذكية أمام الموانى السودانية هي علي المجمل كما ذكرها (الأمين ،٢٠١٦م)

١- انعدام الاستقطاب البشري في التعيينات والخبرات.

٢- الاستخدام التقليدي في عمليات المناولة للسفن.

٣- تكدس الميناء بالضائع

٤- عدم وجود بيوت خبرة تهتم بالاستشارات والتدريب والتأهيل.

٥- ضعف العلاقات مع دول الجوار.

٦- ضعف التمويل لتطوير الموانى نفسها.

٧- مشكلات الإمداد اللوجستي في البضائع والخدمات وبالنظر الي الجدول (٤) يتضح ذلك

جدول(٤) نقاط والقوة والضعف والفرص والتحديات والتحديات للموانى السودانية

نقاط القوة	نقاط الضعف
* الموقع الجغرافي يشجع تجارة العبور *وجود موانى متخصصة *توفر البنيات المصاحبة (المطارات السدود)	*لاتوجد طرق ازدواجية *انعدام التخطيط بسبب غياب المعلومات *انعدام انجذاب المستثمرين
الفرص	التحديات
* إبرام اتفاقيات مع الدول الحبيسة وتقديم الخدمات المتنائية والتنافسية *موارد اقتصادية طبيعية تتيح فرص واسعة لسد النقص في الغذاء والطاقة في السوق العالمي * تطور أساليب المناولة والاستفادة من النظم وتكنولوجيا المعلومات وإنشاء مراكز لوجتسية	*قوة المناقشة الرئيسية خاصة بمنطقة البحر الاحمر *عدم الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي في البلاد *ضعف البنيات الأساسية لتطبيق نظام النقل المتعدد الوسائط * الآثار السالبة للضغوط والمقاطعات الاقتصادية

المصدر: عمر،٢٠١٦م

دراسة تقيميه لدول المحيطة بالسودان في الملامح الاقتصادية الدول الحبيسة :

تعاني الدول دائما من مشكلات اقتصادية وسياسية عديدة في جانب كبير منها الي الشكل السياسي للدولة وحدودها (مهدي،١٩٩٦م) نقلا من (مطرود،الحديثي٢٠١٥م)

وتعد الدول الحبيسة الإفريقية من أكثر الدول الحبيسة العالمية سواء وذلك لعدة أسباب منها:

١- إن البلدان النامية غير الساحلية في إفريقيا هي أفقر البلدان غير الساحلية الموجودة في العالم ويرجع سبب ذلك الي تكاليف النقل لهذه البلدان وإذ تبلغ ٥٠٪ من البلدان الساحلية الاخري وهذه بدوره يودي الي رفع الفقر والتخلف.

٢-إن هذه الدول الحبيسة الإفريقية مثقلة بالديون الخارجية وهذه الديون تصبح عائقا إمام إقامة استثمارات للبنية التحية التي يمكن عن طريقها الوصول الي البحر.

٣- تعاني هذه الدول من عدم ضمانات (الرعاية الأولية) إذ يوجد ارتفاع في معدلات وفيات الأطفال الرضع والموت المفاجئ قصر أمد الحياة .

٤- تبا طاء النمو الاقتصادي فان الركود الاقتصادي في الدول الحبيسة الإفريقية حد بشكل كبير من استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة.

٥- يوجد تركز سكاني في قارة إفريقيا وخصوصا الدول الحبيسة مقارنة مع بقية القارات وحتي داخل القارة فان خمس فقط من السكان القارة يعيشون داخل ١٠٠٠كلم مربع فقط.

٦- إن هذه الدول معظمها تصدر منتجاتها بصورة خام فقط ٦٠٪من صادراتها زراعية بسبب انعدام الصناعات التحويلية.

٧- ارتفاع نسبة الأمية بهذه الدول

٨- تكاليف النقل في الدول الحبيسة الإفريقية اعلي واغلي بكثير من تكاليف النقل في الدول الحبيسة الموجودة في العالم(مطرود،ألحديثي،٢٠١٥م) وبالنظر الي الجدول (٥) يتضح ذلك وكذلك الخريطة (٢) تدعم ذلك.

جدول (٥) خصائص الدول المجاورة للسودان

الدولة	طول الحدود كلم	المساحة كلم٢	السكان بمليون نسمة	المشكلات ذات الصلة مع السودان
مصر	١.٢٧٣	١.٠٠.٤٥٠	٩٠	مثلث حلايب
اريتريا	٦٣٦	٦٠٥	٦	تهربي السلع المدعومة و الأشخاص والاتجار بالبشر
أثيوبيا	٧٢٧ كلم	١.١٢٧.١٢٧	٩٥	دولة حبيسة التعدي علي الأراضي الزراعية والرعوية
جنوب السودان	١٩٧٣	٦.٤٨.٠٥١	٨	دولة حبيسة عدم ترسيم الحدود + منطقة آبيي +النيل الأزرق + جنوب كردفان
أفريقيا الوسطى	٤٤٨	٦٢٣.٠٠٠	٤٥.٣٠٠٠	دولة حبيسة+ احتواء خلايا المعارضة السودانية
تشـاد	١.٣٤٠	١.٢٨٤.٠٠٠	١٠	دولة حبيسة مليشيات التهريب البشر
ليبيا	٣٨٣	١.٨٠٠	٦.٥٩٧	مليشيات التهريب البشر

المصدر: عمل الباحث من الكرم ،٢٠١٧م

قراءات عن البحر الاحمر:

البحر الاحمر جزء من اكبر ظاهرة انكسارية (الأخدود الإفريقي العظيم) وهو عبارة عن حوض شريطي ذو شكل طولي (ادم ،٢٠٠٨م) والجدول(٦) قراءات عن البحر الاحمر

الجدول(٦) قراءات عن البحر الاحمر

الرقم	البيان	القراءة	النسبة%
١	يبلغ طوله	١٩٠٠كلم	—
٢	أقصي عرض له	٢٠٤كلم	—
٣	اقل عرض له	١٩كلم في باب المندب	—
٤	متوسط العمق	٤١٩	—
٥	امتداد الساحل علي الجانبين	٤٩١٠.٤	—
٦	مساحة سطحته	٤٣٧ملم مربع	—
٧	السعودية	١٨٩٠كلم	٪٣٣.٩
٨	مصر	١٤٢٥ كلم	٪٢٥.٢
٩	اريتريا	١٠١٢ كلم	٪١٨.٢
١٠	السودان	٧٥٠ كلم	٪١٢.٨
١١	اليمن	٤٤٢ كلم	٪٨.١
١٢	جيبوتي	٤٠ كلم	٪٧
١٣	الأردن	١٧ كلم	٪٠.٥
١٤	إسرائيل	١١.٢ كلم	٪٠.٢

المصدر: محمد، ٢٠١٧م

خريطة (٢) الدول الحبيسة في إفريقيا

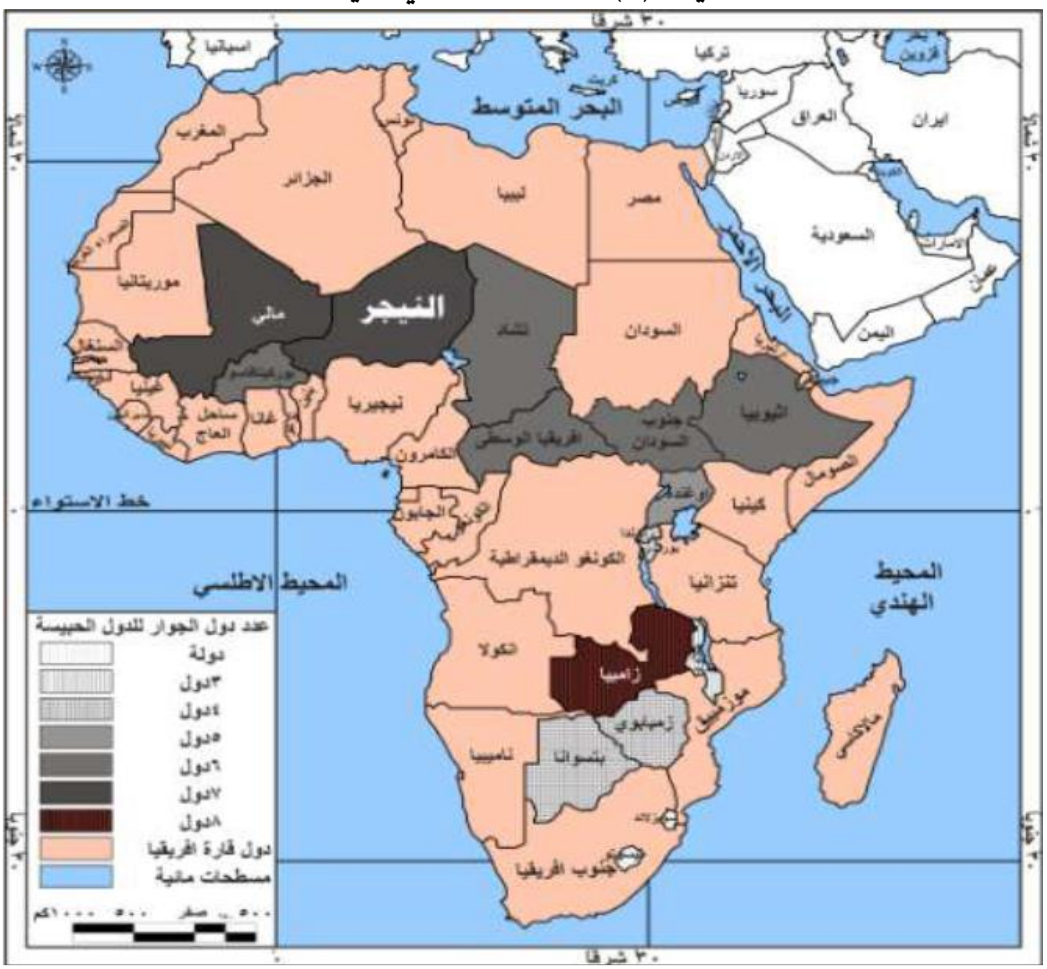

المصدر: مطرود،٢٠١٥م

دراسة تقيميه للفرص المحيطة بالسودان في الملامح الاقتصادية عن طريق الحرير الصيني:

١- الطريق سيربط عدد (٦٥) دولة وافقت منها (٥٠) دولة حتي ألان.

٢- بيداء الطريق من الصين ويمر عبر تركستان وخراسان وكردستان وسوريا الي مص ودول شمال إفريقيا مرورا الي أوربا.

٣- تهدف الصين من الطريق مضاعفة تجارتها من الدول العربية من (٢٤٠مليار دولار الي (٦٠٠) مليار دولار ومن دول إفريقيا (١٩٢) مليار دولار وتقدر التكلفة الكلية للطريق حوالي (٤٧) مليار دولار

أهداف ودوافع طريق الحرير الصيني:

١- الاستفادة من نمو التجارة العالمية

٢- تعزيز مكانة اليوان عالميا.

٣- تطوير الاقتصاد الصيني.

٤- تعزيز مكانة شركات التكنولوجيا والاتصالات الصينية.

٥- توسيع الدور الخارجي للصين.

٧- تامين واستقرار إمدادات الطاقة . (مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،٢٠١٨م)

أهمية المبادرة طريق الحرير الصيني بالنسبة لاقتصاديات الدول المشاركة:

١- تعزيز مكانة كل دولة من الدول المشاركة.

٢- زيادة فرص العمل بالدول المشاركة.

٣- زيادة العوائد الاقتصادية مستقبلا للدول المشاركة .

٤- دعم النمو الاقتصادي.

٥- زيادة التدفقات الاستثمارية لتلك الدول(مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،٢٠١٨م)

تحديات وصعوبات إمام طريق الحرير الصيني:

١- ثقل الأعباء المالية لتنفيذ هذه المبادرة.

٢- اختلافات السياسات الاقتصادية بين الدول المشاركة

٣- عدم توافر تصور متكامل للمبادرة

٤- بطء الحصول علي العوائد(مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،٢٠١٨م).

والخريطة (٣) توضح ذلك.

خريطة(٣) طريق الحرير الصيني

المصدر :الطويل،٢٠١٩م

القيمة المضافة للموانـي السودانية:

١- التنمية المكانية للأشرطة الحدودية وذلك لمعالجة التشوهات الاقتصادية المتمثلة في التهريب والصراعات الحدودية بين الرعاة والمزارعين.

٢- هذه الموانـي تمثل مصدر دخل إضافي من خلال عمليات الشحن والتفريغ والتزويد بالماء والوقود والأشياء الأخرى اللازمة لتموين السفن.

٣- العمالة ذات التنوع في هذه الموانـي والمدن الجديدة المصاحبة والخدمات المجتمعية بهذه المدن.

٤- الفاتورة من خلال الشراكات الذكية مع الآخرين اصحاب المصلحة.

٥- الدور الاستراتيجي في المنطقة

٦- ضمان تمرير الأشياء في الأمم المتحدة والمحافل الدولية من الدعومات المادية والنفسية والسياسية والمعنوية والتضامنية مع السودان.

مقومات التكامل الإفريقي:

تتمثل مقومات التكامل الإقليمي الإفريقي حيث توجد القواسم المشتركة بين حول الاقليم الإفريقي الذي يمتد من القرن الإفريقي حتي الساحل الغربي لإفريقيا المطل علي المحيط الأطلسي والتي تبدو مؤشراتها في الأتي:

١- الموقع الجغرافي

٢- المساحة

٣-العادات والتقاليد

٤-التاريخ المشترك

٥- اللغة

٦- الموارد الطبيعية

٧- السكان.

ادوار الموانـي السودانية:

تتعدد ادوار الموانـي السوداني منها ماهو اقتصادي منها ماهو اجتماعي ومنها ماهو امني كما ذكرها (عباس، ٢٠١٦م) وهي علي النحو التالي:

أولا: الدور الاقتصادية:

١- تعد بوابات تساهم في تخفيض أسعار الواردات وتقوية القيمة التنافسية للصادرات.

٢- جذب السفن والتسويق وإنشاء الموانـي والمناطق الحرة .

٣- توفر نقطة محورية لنقل السلع بين البر والبحر

٤- موقع لتجهيز الصادرات الصناعية والتجارية.

٥- ازدهار العلاقات التجارية مع الدول الخارجية

٦- مصدر للعملات الأجنبية

٧- توفر فرص العمل

٨- تطوير الظهير الاقتصادي للموانـي في شتي المجالات (زراعيا وصناعيا وغابيا ورعويا)

ثانيا: الدور الاجتماعي:

١- تتمثل في المسئولية الاجتماعية الي يتراوح تفاوتها بصورة طردية مع التطور الزمني(٥.٥٪- ١٤.٩٪- ١٧٪- ١٥.٦٪-١٩.٧٪) للفترة ما بين ٢٠١١ الي ٢٠١٥م)

٢- تنميه المجتمعات المحلية

ثالثا: الدور الأمني:

١- خط دفاع أول في عدم السلع المهربة وغير المطابقة للمواصفات والمقاييس.

٢- مراقبة الوجود الأجنبي.

٣- يمثل حلقة وتوسط بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط حيث الطريق الي أوربا.

تجارة العبور:

تعني عبور البضائع او مرورها عبر إقليم الدولة دون إن تكون وجعتها النهائية إليها أي دون تستهلك بمعني أخر إن العبور نعني نقل البضائع او مجموعة دول الي دولة الاستهلاك وهي تثمل في السودان التجارة العابرة لدول الجوار الحبيسة التي ليست لها منافذ علي البحر والتي تضم كل من تشاد وإفريقيا والوسطي ودولة جنوب السودان وإثيوبيا

وهذا النوع من التجارة تخدم كافة إشكال التنمية متعددة الجوانب ولكن من نقاط الضعف في هذا المجال انه لايوجد قانون ينظم عمليات النقل الدولي متعدد الوسائط حيث إن السودان لم يوقع علي هذه الاتفاقية كما إن ميناء بور تسودان لا يعد البديل الأوحد لخدمة تجارة هذه الدول حيث إن كل هذه الدول لديها فرص نقل تجارتها عبر موانى أخري (علي،٢٠١٦م) والذي يعود بعوائد اقتصادية متعددة علي السودان والخرائط (٤-٥ -٦) توضح الفرص المتاحة إمام السودان لعمل اتفاقيات تجارة العبور وفي هذا المجال لابد من الوقوف لمعرفة الأسباب التي لم تجعل الموانى السودانية المخدم الوحيد لتجارة الدول الحبيسة والتي تبدو مؤشراتها في الأتي:

١- عدم وجود مؤشرات الأداء .

٢- التكاليف العالية للخدمات الميناء والإمداد اللوجستي.

٣- انعدام الأمن في الطرق المودية الي الدول الحبيسة

٤- عدم الاستقرار السياسي في السودان.

٥- انعدام وجود بنية تحية ومصاحبة للخدمات الطرق المودية الي الدول الحبيسة

٦- عدم وجود اتفاقيات بين السودان والدول الحبيسة

خريطة(٤) الفرص مع دولتي تشاد وإفريقيا الوسطي

المصدر :علي،٢٠١٦م

خريطة(٥) الفرص مع دولة جنوب السودان

المصدر:علي،٢٠١٦م

خريطة(٦) الفرص مع دولتي إثيوبيا وجيبوتي

المصدر:علي،٢٠١٦م

المخاوف الشخصية:

التكالب العربي علي الموانى السودانية في ظل تغيرات اقتصادية وسياسية وأمنية عالمية وتماشيا مع ذلك وجود ضعف في مفاصل الإدارة السودانية في القيام بادوراها اتجاه تلك الموانى من حيث ضعف الإدارة الفعالة والشفافية في أداء المؤشرات وانعدام تطبيق المعايير الدولية في العمليات البحرية.

التحديات :

١- إدارة حقيقية لتلك الموانى بصورة شفافة وذات نزاهة عالية.

٢- إيجاد مبادرات وشراكات ذكية مع الدول ذات المصلحة والتي لها صلة مباشرة او غير مباشرة بحوض البحر الاحمر مثل الولايات المتحدة الأمريكية – الاتحاد الأوربي – تركيا – قطر –الإمارات– السعودية – حلف الناتو.

٣- لابد من وضع استراتيجية مستقلة بحيث لا يكون السودان جزءا من استراتيجيات الغير مستقبلا.

٤- هندسة المنافسة الرئيسية خاصة في منطقة البحر الاحمر(إيران وتركيا ودول الخليج وأوربا والولايات المتحدة والصين.

المشاهدات المستقبلية :

١- دولة إثيوبيا من خلال مد خط سكة حديد يبدا من سواحل البحر الاحمر مرورا بالولايات البحر الاحمر وكسلا القضارف.

٢- مقابل الكهرباء من سد النهضة ونجد ان بها حوالي ١٢٠مليون نسمة والتي يمكن ان تصبح سوقا للسودان .

٣- دولة جنوب السودان خلال خط الأنابيب والذي يبلغ طوله حوالي (١٦٥٥كلم) وذلك توريد الصادرات البترولية منه ويوجد به حوالي ١٠مليون نسمة.

٤- دولة تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا من مد خط سكة حديد عبر طريق الحرير الصيني المزمع قيامه خلال السنوات القادمة (وهذه الدول تعد الأقرب الي السودان من حيث اللغة والتاريخ والأعراف والتقاليد والهوية) وكذلك هي الأقرب جغرافيا

٥- سوف تجلب الموانى أفضل الأدوات والمعنيات التكنولوجية واستغلالها في خدمة الموانى

٦- تنمية مناطق الظهير الاقتصادي للموانى داخل السودان (اقتصاديا واجتماعيا وزراعيا وغابيا وسياحيا وتجاريا).

٧- جذب الاستثمارات في وسائط النقل المتعدد.

٨- تخطيط وتنمية ونهوض المشروعات الكبرى والشاملة والقومية والمجتمعات السكانية في السودان.

٩- فتح واستقطاب رؤوس الأموال الاصطفائية بكافة إشكالها (نقدي -اجتماعي- طبيعي- إنتاجي – بشري) وتبادل الخبرات بين السودان والدول الإفريقية.

مناقشة الفرضيات: تنص الفرضية (للموانى السودانية ادوار استشرافية إذا تمت إدارتها بصورة فعالة وناجحة)

من خلال الرصد والتنبؤ نجد إن الموانى السوداني يمكن لها ادوار استشرافية بقارة إفريقيا خاصة للدول الحبيسة بقارة إفريقيا إذ أجريت بتعديلات وابرامات في الاتفاقيات مع الدول الحبيسة في تجارة العبور وتحسين وسائل النقل المتعددة الوسائط.

كيف يمكن تجاوز هذه العقبات:

لتجاوز هذه العقبات ينبغي أن يوضع منهج متكامل لدفع التطور الموانى البحرية السودانية إلي الأمام وتمكينه من لعب دور المنوط بها في تحقيق التنمية الاقتصادية والتي تقوم بادراها علي أكمل وجه بتطبيق المعايير العالمية في تقديم الخدمات لانتشال السودان والدول الحبيسة من هذا التخلف وينغي أن يقوم هذا المنهج الصحيح علي أسس ما تزال غائبة عن التخطيط السليم طويل الأمد لتلعب دورها في التنمية الحضرية

١- أول أساس ينبغي أن تقوم عليه التنمية المتكاملة هو أن ترتكز خطط التنمية متعددة الجوانب علي ألمدي البعيد علي(المنهج الإقليمي) في التخطيط تبحث تطور مناطق الإنتاج حسب الموارد الطبيعية المتاحة في كل نطاق من النطاقات من مناخ وتربة وغيرها حسب النوع المكتسب من الخبرات البشرية المحلية وحسب الميزة النسبية لكل نطاق ، وعلي المخطط والمنفذ أن يعتمد علي وجود ميزة نسبية موجودة أو منظورة مبنية علي توفر الموارد الطبيعية وعلي اعتبارات اقتصادية واجتماعية وجغرافية وأيضا أن تعمل هذه التنمية الإقليمية علي تحقيق هدف التكامل والاعتماد المتبادل بين النطاقات الجغرافية المختلفة . وليس علي أساس أن تقوم كل منطقة بالاكتفاء الذاتي في كل شيء لأن هذا غالباً ما يعد أمر مستحيلاً أو غير ذي جدوي اقتصادي.

٢- تطبيق التخطيط الإقليمي منهجا وأسلوبا ونمطا حياتيا عبر القوانين الصارمة

٣- تطبيق مفهوم الكنفدرالية والتي تقصد بها(اتحاد بين دولتان او مجموعة دول لتحقيق أهداف سياسية او تجارية علي ان تحتفظ كل دولة بسيادتها كدولة قائمة بذاتها)

منظومة العتبة الحدية البيئية(Ultimate Environmental Threshold (UET.

هي طريقة لتخطيط استعمالات الأرض بإدخال البعد البيئي وتستخدم هذه الطريقة كجزء مكمل للعملية التخطيطية .بهدف معرفة الآثار الضارة بالبيئة من التنمية المقترحة ومحاولة لمنع هذه الإضرار وتعتمد علي تقييم إمكانيات التنمية بيئيا من خلال معرفة ماقبل حدود الضغوط الشديدة علي البيئة ولكي تستمر التنمية يجب إبعادها عن هذه الحدود التي تسبب أضرار للبيئة.

ما هي العتبة الحدية البيئية:

تعرف كما يلي: هي ماقبل حدود الإجهاد التي تعطي للنظام البيئي بحيث يصبح بعد هذه الحدود عاجزا وغير قابل للعودة الي حالته الطبيعية وتوازنه السابق. وللعتبة الحدية البيئية أربعة إبعاد رئيسية. وهيِ تعكس الإبعاد البيئية الأربعة وهي: موقع التنمية المقترحة: دراسة الموقع (ساحلي، جبلي، صحراوي) وإمكانياته الحدية القصوى في تحمل أثار التنمية.

مقياس التنمية: علي مستوي محلي او إقليمي او وطني.

نوع التنمية: تنمية زراعية ، وصناعية ، او سياحية، او أسكانية .

زمن التنمية: خطة تنمية علي المدي القصير او العاجل او المتوسط ،او بعيد المدي.

إن من فوائد(UET)العتبة الحدية البيئية: تحديدا لفراغ الملائم والمناسب لمختلف أنواع التنمية الموجودة او المتوقع تواجدها في منطقة ما، بحيث تحافظ علي التوازن الحيوي للبيئة الطبيعية، وعلي المناطق الحساسية بيئيا، والحفاظ علي جودة الهواء والماء وتنسيق المواقع اللاند سكيب .ومن أهداف(UET) أيضا تامين الحماية الأكيدة من الأخطار الطبيعية المتحملة وبشكل خاص السيول والفيضانات والحرائق وانزلاقات التربة والجفاف والتصحر في منطقة التنمية المقترحة.(دليل تفعيل التنمية المستدامة في التخطيط ،١٤٢٦هـ)

التوصيات:

١- لابد من تطبيق المعايير العالمية في تقديم الخدمات والإمداد اللوجستي من الاستدامة والتنافس العالمي.

٢- الاهتمام بالكادر البشري من خلال التدريب والتأهيل وبناء القدرات البشرية والتحفيز المادي والمعنوي

٣- العمل بصورة تكاملية وتنسقيه بين الموانى السودانية والدول الحبيسة من خلال برنامج تحت مظلة النافذة الواحدة.

٤- تشجيع مصادر التجارة والسلع والخدمات السودانية وبين الدول الإفريقية من خلال فتح أسواق إمام الدول الإفريقية.

٥- لابد من تطور نظم الانتاج الزراعي والحيواني والتعديني والسياحي والغابي كما ونوعا بما يخفف من عمليات والاتكالية علي الدول الأخرى.

٦- لابد من تسهيل إجراءات انتقال رؤوس الأموال نوعا(الاصطفائية) وليس كما بكافة إشكالها (نقدي -اجتماعي- طبيعي- إنتاجي – بشري) وتبادل الخبرات بين السودان والدول الإفريقية.

٧- ضرورة البدء في منظومة الإدارة المتكاملة للموانى السودانية قبل إن يتفاقم التوترات الإقليمية وتتحول الي أزمات محتدمة.

٨- لابد إن تكون هنالك شفافية في عمليات الأداء ومؤشراته.

٩- مواكبة التطور العالمي في مجالات النقل والإمداد اللوجستي والمناولة والنقل المتعدد الوسائط.

١٠- أبرام اتفاقيات عالمية للنقل متعدد الوسائط مع الدول الحبيسة لتفعيل تجارة العبور.

قائمة المراجع :

١. إبراهيم . مروان عبد المجيد (٢٠٠٠م) : أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية ، مؤسسة الوراق . ط١،عمان . الأردن

٢. ادم، الأمين عبد الرازق ،(٢٠٠٨م): دور اريتريا في استقرار منطقة القرن الإفريقي والبحر الاحمر في الفترة(١٩٩١- ٢٠٠٢م)، ط١،شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ،الخرطوم، السودان

٣. حسن، مهدي دهب، (٢٠٠٨م): إشكاليات الجغرافيا السياسية ودورها في رسم السياسة الإسرائيلية ،مركز الراصد للدراسات السياسية والاستراتيجية شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم، السودان

٤. السودان ارض الفرص الصناعية الواعدة(٢٠١٨م)، وزارة الصناعة ، جمهورية السودان، الخرطوم، السودان.

٥. عباس، سيف الدين احمد،(٢١٦م):هيئة الموانى البحرية النشأة والتطور، ورشة مستقبل قطاع النقل البحري في السودان بالتعاون مع جامعة البحر الاحمر، الخرطوم، السودان.

٦. عز الدين، ميساوي،(٢٠١٧م): مشاهد مستقبلية لفرضية تفكك الاتحاد الأوربي، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، الجزائر.

٧. علي ، منجد عباس محمد،(٢٠١٦م) :قطاع النقل في السودان الفرص والتحديات والمستقبل، ورشة مستقبل قطاع النقل البحري في السودان بالتعاون مع جامعة البحر الاحمر ،الخرطوم، السودان

٨. الطويل، أماني، (٢٠١٩م): دلالات والاهتمام الإفريقي بالبحر الاحمر، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الإستراتيجية، القاهرة، مصر.

٩. عمر، ندي جبلاني محمد،(٢٠١٦م):الدور الاقتصادي للموانى البحرية في السودان، ورشة مستقبل قطاع النقل البحري في السودان بالتعاون مع جامعة البحر الاحمر، الخرطوم، السودان.

١٠. عبد الجليل ،عمر محمد ،(٢٠١٦م) :مجموعة محاضرات في مقرر جغرافية السودان ، وحدة الموارد المائية، جامعة كسلا، كلية التربية، قسم الجغرافيا والتاريخ.

١١. الكرم، سعد عبد الله سيد احمد،(٢٠١٦م):الدراسات السودانية ،جامعة النيلين ،لطلاب البكالوريوس في كليتي التجارة والدراسات الاقتصادية والاجتماعية ،الخرطوم ،السودان.
١٢. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة ،(٢٠١٨م):تعزيز المستقبل – مشروع الحزام والطريق – كيف يربط الصين اقتصادها بالعالم الخارجي، العدد(٢٦)،ابوظبي
١٣. مطرود ، الحديثي، هبة عادل ،عطا الله سلمان،(٢٠١٥م):الدول الحبيسة الإفريقية مشكلاتها ومنافذها وتصنيفها – دراسة في الجغرافيا السياسية، كلية التربية للبنات، قسم الجغرافيا، جامعة بغداد المجلد (٢٦) (٢)، بغداد العراق.
١٤. الأمين ، علي احمد،(٢٠١٦م): اثر انقل البحري علي النمو الاقتصادي في السودان في الفترة من (١٩٩٠ـ ٢٠١٤م) ، بحث دكتوراه غير منشور ، كلية الدراسات العليا ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، السودان.
١٥. محمد، صالح محروس، (٢٠١٧م):الأهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر ، قناة الميادين التلفزيونية
١٦. محمد ،سليمان محمد،(٢٠١٠م): السودان حروب الموارد والهوية ، الطبعة الثانية، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم، السودان
١٧. المنقوري، حسن عبد الله، (٢٠٠٥م): الجغرافيا السياسية ، رمز المقرر ورقمه جغ (٣٠١) ، برنامج التربية، جامعة السودان المفتوحة ، الخرطوم ، السودان.
١٨. هارون، علي احمد،(٢٠٠٠م): جغرافية الزراعة، الطبعة الأولي، دار الفكر العربي، القاهرة ، مصر

كوفيد – ١٩ والتعليم عن بعد: بين ظروف الاضرار وإمكانية التنفيذ ج١

نـزار خليـل أبوبـكر سليمـان
أستاذ مساعد ـ جامعة المشرق السودان

نهى حسن المبشر الطيب
أستاذ مساعد ـ جامعة المشرق السودان

ملخص:

خلقت جائحة كورونا فايروس (COVID-19) تأثيراً كبيراً على قطاع التعليم، إذ دفعت المدارسَ والجامعات والمؤسسات التعليمية لإغلاق أبوابها في كثير من دول العالم تقليلا من فرص انتشاره. وهو ما أثار قلقا كبيرا لدى المنتسبين لهذا القطاع، وخاصة طلاب الجامعات المتأهبين للجلوس لامتحانات يعدونها مصيرية. من خلال تحليل مكتبي مستمد من مصادر جامعية وحكومية حيثما أمكن ، نقدم خريطة في الوقت المناسب لاستجابات التعليم العالي خلال فترة الدراسة لـ COVID-19 من خلال التجارب التي قدمتها عدد من المؤسسات التعليم الجامعي السودانية. وجدنا أن استجابات مقدمي التعليم العالي كانت فعاله من خلال استراتيجيات العزلة الاجتماعية في الحرم الجامعي وإعادة تطوير المناهج الدراسية بسرعة لتقديم العروض عبر الإنترنت بالكامل. نقدم في مناقشتنا تصنيفًا لأنواع الاستجابات التي يتم إجراؤها حاليًا وتقييم حركة التعليم العالي في الاستعداد لوضع الضوابط والإرشادات الصحية لتفادى تفشي الوباء. نعتقد أن هناك فرصًا كبيرة للتعلم من التجارب التربوية للجامعات الأخرى ، من أجل تعزيز الاستجابة الجماعية للتعايش مع جائحة كورونا COVID-19 الآن وفي المستقبل عقب تصنيف منظمة الصحة العالمية لهذا الجائحة بالمرض المستوطن، اتجهت المؤسسات التعليمية في ظل هذه الظروف الى التعليم الإلكتروني، حيث تطرقت هذه ورقة إلى طرح تطبيق التعليم الإلكتروني في بعض مؤسسات التعليم الجامعي السودانية، من خلال التجارب التي قدمتها بغرض الوقوف على هذه التجربة ومعرفة نقاط القوة والضعف، وما هو مأمول من القائمين على أمر التعليم العام والتعليم العالي من خطط واستراتيجيات للنهوض بتقنيات التعليم الإلكتروني، كما قدمت الورقة نماذج لمجموعة من الجامعات السودانية التي طبقت نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتلك التي استفادت من تقنيات التعليم الإلكتروني.

إضافة إلى تجربة المدرسة الإلكترونية التي أدخلت حديثاً لتدريس مناهج مرحلتي الأساس والثانوي إلكترونياً، والتجربة المنتظر دخولها من قبل المجلس القومي للتعليم التقني والتقاني والمتمثلة في الكلية الإلكترونية، حيث اشتملت الورقة على مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والمنهجية التي اتبعتها، إضافة إلى نبذة تعريفية عن مفاهيم التعليم الإلكتروني، والتعليم عن بعد، كما تناولت الورقة واقع التعليم الإلكتروني في السودان لبعض مؤسسات التعليم السودانية، وتطرقت لإيجابيات وسلبيات ومعوقات التعليم الإلكتروني ، ومن ثم التوصيات التي أفضت إليها الدراسة، والتي تمثلت في الاهتمام بالتعليم الإلكتروني المتزامن في مؤسسات التعليم من خلال اعتماد وسائل تدريس تقنية، وإنشاء إدارات متخصصة بالتعليم الإلكتروني في التعليم العام والعالي، والاهتمام بالمكتبات الرقمية، والعمل على حوسبة المناهج، وإطلاق القنوات الفضائية الخاصة بالتعليم الإلكتروني.

الكلمات الدالة: (التعليم المفتوح، الجامعة المفتوحة ، الجامعة الافتراضية، البيئة التعليمية الافتراضية).

Abstract:

The Corona Virus (COVID-19) pandemic had a major impact on the education sector. As it pushed schools, universities and educational institutions to close its doors, reducing the chances of its spread. This has caused great concern among those affiliated with this sector, especially universities students who are ready to take exams that they consider crucial. Through a desk analysis derived from universities and government sources where possible, we provide a timely map of higher education responses during the study period of COVID-19 through the experiences provided by a number of Sudanese universities education institutions. We found that the responses of higher education providers were effective through social isolation strategies on campus and a rapidly redesigning curriculum for online presentations. In our discussion, we provide a breakdown of the types of responses currently taking place and an assessment of the higher education's agility in preparing for a pandemic. We believe there are great opportunities to learn from the educational experiences of other universities, in order to enhance the collective response to COVID-19 now and in the future. Given the importance of educational institutions in the current circumstances towards electronic education, this paper touched upon the application of e-learning in Sudanese universities education institutions, through the experiences presented by a number of Sudanese universities education institutions, in order to stand on this experience and know the strengths and weaknesses, What is hoped for by the general education and higher education matters are plans and strategies to advance e-learning technologies, and the paper also provided models for a group of Sudanese universities that have applied the system of open and distance education, and those that have benefited from e-learning techniques, in addition to the e-school experience that Recently introduced to teach curricula for the basic and secondary stages electronically, and the experiment expected to be entered by the National Council for Technical and Technological Education represented in the electronic college, where the paper included the study problem, its goals, importance and methodology that followed, in addition to an introductory brief on the concepts of e-learning, distance learning, the paper also dealt with the reality of e-learning in Sudan for some Sudanese education institutions, and addressed the pros and cons of and obstacles to e-learning, and then the recommendations that led to the study, which was represented in the interest in simultaneous e-learning in educational institutions through the adoption of technical teaching methods, and the establishment of specialized departments E-learning in general and higher education, and interest in digital libraries, And work to computerize the curricula and launch satellite channels for e-learning.

مقدمة:

تشهد المجتمعات المعاصرة تحديات عديدة فرضت نفسها علي طبيعة الحياة واسلوب عملها وعمل منظماتها المختلفة. من أبرز هذه التحديات ظهور جائحة كورونا المستجد مما دفع العديد من الدول على تطبيق أسلوب حديث في التعليم ومواكبة التقدم الذي تشهده المجتمعات من تقنية معلوماتية واتصالات حديثة والتي بدورها أسهمت في تغيير طبيعة الحياة وشكل المؤسسات من بينها المؤسسات التعليمية. أفرزت كل هذه التغيرات التقنية أنماطاً عديدة من التعليم الغير تقليدي، مثل التعليم الإلكتروني والتعليم الافتراضي، والتعليم عن بعد والتعليم المفتوح ، وتعتبر جميعها نوع من أنواع التعليم الإلكتروني الذي يتيح للمتعلم الاستفادة من كل الخدمات الدراسية التقليدية (كتب – خدمات طلابية – تدريس – امتحانات) من خلال تقنيات إلكترونية عبر شبكات الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة الأخرى مثل القنوات الفضائية وخدمات الدفع الإلكتروني المصرفية. أحدثت هذه التقنيات انتشارا وإقبالاً واسعاً على التعليم المفتوح جنب المتعلم مشاكل الروتين التقليدية الأخرى من تسجيل ومراجعات وغيرها كما وفر إمكانات اقتصادية هائلة من خلال اختصار عمليات البناء للجامعات والمكتبات وما يتبعها من خدمات وعمالة إدارية وفنية.

يعتمد التعليم المفتوح علي أنظمة وبرمجيات صممت لهذا النمط من التعليم بحيث تكون فعالة في تقديم المحاضرات الحية عبر الإنترنت او غير الحية (اللا متزامنة) وتتكون من عناصر سمعية وبصرية مع مجموعة ارتباطات لتوفير مستلزمات المحاضرات مع بيانات ومعلومات. إن قضايا التعليم الجامعي المعاصر والتي أثيرت بصورة موسعة مع بدايات العقد الماضي نبعت من التنبه الي أن كثير من الصيغ التقليدية الحالية للتعليم الجامعي أصبحت قاصرة تجاه تمكنها من مواجهة تحديات المرحلة المعاصرة والمستقبلية والتي تشكلها معينات ما يعرف بعصر المعرفة أو المعلوماتية أو الموجة الثالثة والتي تعدد مسمياتها، وأوجدت بيئة عالمية ومحلية مغايرة ومتمازجة في عناصرها المكونة وعواملها المنتمية لها ومن ثم متطلباتها وذلك سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية او الثقافية. جائحة كورونا دفعت المؤسسات التعليمية للتحول إلى التعلم الإلكتروني (E-Learning)، كبديل طال الحديث عنه والجدل حول ضرورة دمجه في العملية التعليمية.

وخاصـة بعـد أن تـأثرت العمليـة التعليميـة بشـكل مباشـر بأتمتـة الصـناعة وتطـور تكنولوجيـا "الـذكاء الصـناعي" (Artificial Intelligence) و"إنترنـت الأشـياء" (Internet of Things)، وكـذلك ثـورة تكنولوجيـا المعلومـات التـي اقتحمـت معظـم أشـكال حيـاة الإنسـان وأصبحت جزءا أصيلا منها.

فبـين الجيـل المسـمى "إكـس" والـذي يتميـز بتعلقـه بـأجهزة الهـاتف الذكيـة واسـتخدام التطبيقـات المختلفـة، وبـين احتيـاج الصـناعة كـوادر مـاهرة تكنولوجيـاً، أصـبح دمـج التكنولوجيـا فـي العمليـة التعليميـة توجهـاً عالميـاً. وأصـبح تـوفير المـادة التعليميـة مـن خـلال الأجهـزة المحمولـة لـ"جيل إكـس" يشـكل عـاملا محفـزا للـتعلم بـدلاً مـن الاكتفـاء بالدراسـة التقليديـة، فبهـا ينمّـي معرفـةً ومهـارات مناسـبة تؤهلـه لتلبيـة احتياجـات سـوق العمـل. إن اسـتخدام الإنترنـت فـي العمليـة التعليميـة لـيس وليـد اليـوم بـل يعـود إلـى مـا قبـل عـام ٢٠٠٠ [١]. و مـن خـلال هـذه الورقـة سنحاول سرد قابلية تطبيق التعليم الالكتروني في المؤسسات التعليمية في السودان.

معظـم الجامعـات تسـتخدم اليـوم مـا يسـمى "أنظمـة إدارة الـتعلم" (Learning Management Systems). وفـي ظـل "أزمـة كورونـا" التـي يعيشـها العـالم؛ توجهـت غالبيـة المؤسسـات التعليميـة نحـو التعلـيم الإلكترونـي كبـديل أنسـب لضـمان اسـتمرار العمليـة التعليميـة. وزاد بشـكل ملحـوظ اسـتخدام تطبيقـات محادثـات الفيـديو عبـر الإنترنـت مثـل "زوم" و"غوغـل" و"ميتينـغ" و"ويـب إكـس ميـت" وغيرهـا. وحسـب موقـع "تيـك كـرنش" (techcrunch)؛ فقـد بلغـت عمليـات تحميـل هـذه البـرامج ٦٢ مليـون مـرة خـلال فتـرة مـا بـين ١٤-٢١ مـارس/آذار ٢٠٢٠، أي مـع بدايـة عمليـات حظـر التحـرك فـي كثيـر مـن الـدول. كمـا تضـاعف اسـتخدام الكثيـر مـن التطبيقـات والبـرامج التعليميـة، مثـل حقيبـة غوغـل التعليميـة و"أوفـيس ٣٦٥" وتطبيقـات "أبـل" ومواقع خدمات التقييم والأنشطة التفاعلية [٢].

١.١ مفاهيم التعليم الإلكتروني:

يعتبـر التعلـيم الإلكترونـي أحـدى منظومـات التعلـيم المفتـوح التـي تعتمـد علـى اسـتخدام آليـات الاتصـال الحديثـة مـن حواسـيب وشـبكات عنكبوتيـة وتقنيـات الوسـائط المتعـددة المتمثلـة فـي الرسوميات والصوت والصورة، وآليات البحث ، والمكتبات الرقمية.

١ – الخطيب، ٢٠٢٠

٢ – المصدر نفسه.

ويتلخص المفهوم العام لهذا النمط من التعليم في استخدام التقنية بجميع أنواعها للإيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة، وقد تناول الكثير من المهتمين بالتعليم الإلكتروني هذه المفاهيم من عدة جوانب منها:

التعليم الإلكتروني " طريقة إبداعية لتقديم بيئة تفاعلية، متمركزة حول المتعلمين ، ومصممة مسبقا بشكل جيد، وميسرة لأي فرد وفي أي مكان وأي وقت، باستعمال خصائص ومصادر الإنترنت والتقنيات الرقمية بالتطابق مع مبادئ التصميم التعليمي المناسبة لبيئة التعلم المفتوحة، والمرنة، والموزعة"[١].

ومفهوم آخر يعرف التعليم الإلكتروني على أنه "منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية أو التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وفي أي مكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية مثل الإنترنت، الإذاعة، القنوات المحلية أو الفضائية للتلفاز، الأقراص المدمجة، التلفون، البريد الإلكتروني، أجهزة الحاسوب، المؤتمرات عن بعد، بغرض توفير بيئة تعليمية تفاعلية متعددة المصادر بطريقة متزامنة عن بعد دون الالتزام بمكان محدد اعتمادا على التعلم الذاتي والتفاعل بين المتعلم والمعلم.[٢]

كما تم تناول مفهوم التعليم الإلكتروني من منظور آخر مشابه لحد كبير للمفاهيم السابقة حيث تم تعريفه بأنه " ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الإلكترونية في تحقيق الأهداف التعليمية وتوصيل المحتوى التعليمي إلى المتعلمين دون اعتبار للحواجز الزمنية والمكانية وقد تتمثل تلك الوسائط الإلكترونية في الأجهزة الإلكترونية الحديثة مثل الحواسيب وأجهزة الاستقبال من الأقمار الصناعية أو من خلال شبكات الحاسوب المتمثلة في الإنترنت، وما أفرزته من وسائط أخرى مثل المواقع التعليمية والمكتبات الإلكترونية " . [٣]

يتضح من المفاهيم السابقة التشابه الكبير لتعريف التعليم الإلكتروني مع وجود بعض الاختلافات التي تعود لحداثة تجربة التعليم الإلكتروني، الذي يحتاج لربط الجانب التقني والجانب التربوي وفق مفاهيم ورؤية متكاملة للتعليم الإلكتروني، من خلال ترسيخ ثقافة استخدام الوسائل الإلكترونية الحديثة داخل قاعات الدراسة.

---

١ – الخان، ٢٠٠٥، ص ١٨.

٢ – سالم ، ٢٠٠٤ص ٢٨٩

٣ – الحلفاوي، ١٤٢٧هـ ص ٥٩

فهنالـك تعريـف يـدمج مفهـوم التعلـيم الإلكترونـي مـا بـين اسـتخدامه فـي التعلـيم عـن بعـد والاسـتفادة مـن التقنيـات الإلكترونيـة داخـل القاعـات الدراسـية، وقـد تـم تعريـف التعلـيم الإلكترونـي وفق هذا النمط على النحو التالي:

"التعليم الإلكتروني ليس هو التعليم عن بعد فليس كل تعليم الكتروني لابد وأن يتم عن بعد، ويمكن أن يتم استخدام تقنيات التعليم الإلكتروني داخل الفصل الدراسي وبوجود المعلم".[١]

تصـنيفات التعلـيم الإلكترونـي:تم تصـنيف التعلـيم الإلكترونـي إلـى عـدة تصـنيفات كـل حسب طبيعية ونوعية التعليم الإلكتروني المقدمة، ومنها:

أ- التعليم الإلكتروني المتزامن:

وهذا النوع من التعليم الإلكتروني يهتم بتبادل الدروس والموضوعات و الأبحاث والنقاشات بين المعلم والمتعلمين في الوقت نفسه وبشكل مباشر، وذلك من خلال برامج المحادثة والفصول الافتراضية، ومن إيجابيات هذا النوع من التعليم الإلكتروني حصول المتعلم على تغذية راجعة فورية والتواصل مباشرة مع المعلم لاستيضاح أي معلومة، ومن أهم ما يعيق استخدام هذا النوع حاجته إلى أجهزة حديثة وشبكة اتصالات جيدة، حيث يعتبر التعليم الإلكتروني المتزامن أكثر أنواع التعليم الإلكتروني تطوراً وتعقيداً. [٢]

ب - التعليم الإلكتروني غير المتزامن:

وهذا النوع لا يشترط فيه أن يكون التواصل بين المتعلم والمعلم والمنهج في وقت واحد، فيختار الطالب الوقت المناسب لظروفه، ويتم الحصول على المعرفة والتواصل بين الطالب والمعلم من خلال البريد الإلكتروني، والمنتديات، ومواقع الإنترنت، وأشرطة الفيديو، و الأقراص المدمجة. ومن أهم مميزات هذا النوع أن المتعلم يتعلم حسب الوقت المناسب له ووفقاً لقدراته، ويمكنه أيضاً إعادة الدروس والوصول إليها على مدار اليوم، ومن أهم معوقات التعليم الإلكتروني غير المتزامن أن الطالب لا يمكنه الحصول على تغذية راجعة فورية من المعلم ولا يمكنه استيضاح فكرة أو معلومة بشكل مباشر من معلمه، كما أن هذا النوع من التعليم الإلكتروني يحتاج إلى طلاب يتصفون بالدافعية الجيدة للتعلم والالتزام، لان معظم الدراسة في هذا النوع من التعليم الإلكتروني تقوم على التعلم الذاتي. [٣]

---

١ – سالم ، ٢٠٠٤، ص ٢٩٠

٢ – عبدالحي، ٢٠٠٤، ص ٤٢

٣ – السفياني، ١٤٢٨هـ، ص ١٢

وتم تصنيف التعليم الإلكتروني بحسب اعتمادها على الإنترنت إلى نوعين:

أولاً: متزامن :حيث يقوم جميع الطلاب المسجلين في المقرر وأيضاً أستاذ المقرر بالدخول إلى الموقع المخصص له على الإنترنت في الوقت نفسه، ويتم التناقش فيما بينهم البين وبينهم وبين المعلم.

ثانياً: غير متزامن : حيث يدخل الطلاب موقع المقرر في أي وقت كل حسب حاجته والوقت المناسب له.[١]

- التعليم الإلكتروني غير المعتمد على الإنترنت:

وهو ذلك النوع من التعليم الذي يشمل معظم الوسائط المتعددة الإلكترونية المستخدمة في التعليم من برمجيات وقنوات فضائية وكتب الكترونية ويمكن تصنيف التعليم الإلكتروني بحسب استخدامه في قاعة الدراسة إلى الأنواع الآتية:

أ /التعليم الإلكتروني الصفي:

ويقوم هذا النوع من التعليم الإلكتروني على استخدام تطبيقات التعليم الإلكتروني داخل الصف الدراسي بحيث يكون هناك تفاعل مباشر بين المعلم وطلابه، ويوظفون التقنية في هذا التفاعل لتحقيق أكبر قدر من الناتج التعليمي، ومن التطبيقات المستخدمة في هذا النوع، الكتب الإلكترونية، والبرمجيات، و الشبكات الداخلية، والاتصال بالإنترنت، ويعتبر هذا النوع من أفضل أنواع التعليم الإلكتروني، لأنه يجمع بين ميزات التعليم الإلكتروني وما يوفره من جاذبية للطلاب ليتعلموا من خلاله وما يتيح لهم من فرصة للاستزادة حول موضوعات الدراسة، كما أنه يجمع بين المعلم وطلابه في الموقف التعليمي الأمر الذي له أهمية في بناء شخصيات الطلاب، ومعالجة مشكلاتهم السلوكية، ووجود التغذية الراجعة المباشرة، والتحفيز والتشجيع والتنافس الشريف بين الأقران، كما يتميز بأن التقويم في هذا النوع أكثر دقة ومصداقية وفاعلية من الأنواع الأخرى، ومن أهم العقبات التي تواجه هذا النوع من التعليم حاجته إلى تدريب للمعلمين والطلاب على استخدام التقنية وأنه يحتاج إلى إمكانات مادية مكلفة.[٢]

١ – الحلفاوي ، ١٤٢٧هـ ، ص ٦٤

٢ – الشهراني، ١٤٣٠هـ ، ص٤٧

ب /التعليم الإلكتروني اللاصفي:

وهذا النوع من التعليم الإلكتروني يتم خارج الصف الدراسي والمدرسة التقليدية عن بعد ويمكن تقسيمه أيضاً إلى نوعين : [١]

- التعليم الإلكتروني اللاصفي المتزامن :

وهو النوع الذي يتم فيه التعليم الإلكتروني في زمن محدد يلتقي فيه الطلاب مع معلمهم من خلال تطبيقات التعليم الإلكتروني عبر مواقع الإنترنت والمنتديات الخاصة وبرامج المحادثة والكتب الإلكترونية عن بعد، بحيث يتم تفاعل الطلاب مع بعظهم وتفاعلهم مع المعلم بشكل لحظي، ويتميز هذا النوع بأنه يتم من خلاله التغلب على عوائق المكان التي قد تواجه بعض الطلاب والمعلمين، كما أن هذا النوع يتيح الفرصة ليتلقى الطلاب توجيهات وإجابات المعلم على أسئلتهم، ومن أهم عيوبه أنه يحتاج إلى إمكانات مادية مكلفة، وأيضاً يحتاج استخدامه إلى تدريب المعلمين والطلاب، وكذلك يحتاج إلى طلاب يتميزون بالدافعية والالتزام للتعلم بواسطة هذا النوع من التعليم الإلكتروني.

- التعليم الإلكتروني اللا صفي غير المتزامن :

وفي هذا النوع لا يجب أن يلتزم الطلاب والمعلم بزمن محدد، فيدخل الطالب على تطبيقات التعليم الإلكتروني المختلفة ليتعلم ويتلقى رسائل المعلم والزملاء وفقاً للوقت المناسب له، وكذلك يدخل المعلم ليضع المادة العلمية الجديدة أو يجيب على أسئلة الطلاب و يرسل لهم التكليفات في الوقت المناسب له ومن أهم تطبيقات التعليم الإلكتروني المناسبة لهذا النوع ، المواقع التعليمية على الإنترنت والكتب الإلكترونية و البريد الإلكتروني والمنتديات الخاصة، ويتميز هذا النوع بأنه يتغلب على عوائق المكان والزمان التي قد تواجه بعض الطلاب والمعلمين، ومن أهم عيوبه أنه لا يوفر للطالب الحصول على تغذية راجعة وإجابات على أسئلته بشكل مباشر بل عليه الانتظار حتى يطّلع المعلم على رسالته الإلكترونية ثم يرد عليها، كما يحتاج إلى إمكانات مادية مكلفة وأيضا يحتاج استخدامه إلى تدريب المعلمين والطلاب وكذلك يحتاج إلى طلاب يتميزون بالدافعية والالتزام للتعلم عن طريق هذا النوع من التعليم الإلكتروني.[٢]

---

١ – الشهراني، ١٤٣٠هـ ، ص٤٧

٢ – الموسى ، ١٤٢٩هـ ، ص ٢٤

١.٢ التعليم عن بعد:

إن التعليم عن بعد في دلالته الحقيقية ليس مجرد تجديد للتعليم المدرسي كما قد يتصور البعض، ولا تكمن جدواه فقط في تلبية الطلبات المتزايدة على التربية، أو خفض الكلفة أو اكتساح أكبر رقعة تغطيها الآلية التعليمية، إنما هو نسق تتجسد به الثورة المرجوة في النظام التربوي، وهو بذلك كفيل بتحويل المؤسسة التعليمية الأساسية والعليا إلى مؤسسة متجاوزة إلى حد كبير. وقد عجلت التطورات التكنولوجية المتسارعة بتشكيل وتبلور هذه الوضعية التربوية. (١)

يبين التاريخ أن الإصلاحات والتغيرات المؤمل قيامها في التعليم التقليدي لم تؤتي أكلها، باستثناء بعض الأمور التي لم تلامس جوهر التعليم، رغم أن السياسات الاجتماعية والعلمية والسياسية تفرض المراجعة الجذرية للنظام، لحاجة العصر إلى نموذج إنسان جديد ، إنسان يستطيع أن يبدع ويتميز ويتعلم بحرية فائقة في ظل التحولات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية الكبرى للعولمة. (٢)

ونجد أن المفكر "إيفان إيليتش" تنبأ في كتابه "مجتمع بلا مدارس" الذي نشره في العام ١٩٨٦م، تنبأ فيه بنهاية المؤسسة المدرسية بصيغتها التاريخية المعروفة لتجاوز التاريخ لها، ودعي لقيام أنماط تعليمية أخرى قائمة على حرية الاختيار والشبكات المتخصصة والمؤسسات ذات الاهتمامات العلمية المتعددة.

يعتبر التعليم عن بعد هو المستقبل المنظور للنظام التربوي، لأنه نظام غير جامد يعلم المهارات التي يتطلبها العصر، والسلوك المتجدد القابل في كل لحظة إلى التصحيح والتعديل وفق إرادة المتعلم نفسه، وبتقييم ذاتي صارم. والأكثر من هذا، أنه النظام الكفيل بزرع روح الابتكار والإبداع وترسيخ قيم النقد الذاتي.(٣)

حيث ينطلق التعليم عن بعد كفكر وممارسة إنسانية مستحدثة إلى عدد من الأسس والمبادئ التي تشكل مجتمعه فلسفته وتوجهاته، هذه المبادئ والأسس تنبني على :

---

١ – دولور، ١٩٩٦، ص٩

٢ – القباج، ٢٠٠١، ص ٣١

٣ – القباج، ٢٠٠١، ص٣٧

١- مبـدأ الإتاحـة (ACCESSIBILITY): وهـي تعنـي أن الفـرص التعليميـة فـي مسـتوى التعلـيم العـالي متاحـة للجميـع بغـض النظـر عـن كافـة أشـكال المعيقـات الزمانيـة والمكانيـة والموضوعية.

٢-مبـدأ المرونـة (FLEXIBILITY) : وهـي تخطـي جميـع الحـواجز التـي تنشـأ بفعـل النظـام أو بفعل القـائمين عليـه. لكـن هـذه الزاويـة أخـذت بكثيـر مـن الحـذر فـي أكثـر بـرامج التعلـيم عـن بعد المعاصرة.

٣- تحكـم المـتعلم : وتعنـي أن الطلبـة يمكـنهم ترتيـب موضـوعات المـنهج المختلفـة بحسـب ظـروفهم وقـدراتهم، واختيـار أسـاليب تقويمـه. إلا أن هـذه الخاصـية تأخـذ بـتحفظ شـديد فـي معظم برامج التعليم عن بعد المعاصرة.

٤- اختيـار أنظمـة التوصـيل (CHOICE OF DELIVERY SYSTEMS) : نظـرا لأن المتعلمـين لا يتعلمـون بـنفس الطريقـة، فـإن اختيـارهم الفـردي لأنظمـة التوصـيل العلمـي (بالمراسـلة، بالحاسـوب والبرمجيـات، بالهوائيـات، باللقـاءات) يعـد سـمة أساسـية لهـذا الـنمط من التعليم.

٥-الاعتماديـة (ACCREDITATION) : وتعنـي مـدى مناسـبة البـرامج الدراسـية ودرجاتهـا العلميـة للأغـراض المتوخـاة منهـا مقارنـة بغيرهـا. ومـن زاويـة أخـرى فهـي تعنـي الاعتـراف بهـذه البرامج وآلياتها وقابلية محتواها للاحتساب في مؤسسات مختلفة. [١]

ولقـد سـاعد تطـور شـبكة الإنترنـت وتكنولوجيـا الحاسـبات والاتصـالات علـى ظهـور عشـرات الجامعـات والمعاهـد التـي تمـنح شـهادات للدارسـين عـن طريـق التعلـيم عـن بعـد باسـتخدام شـبكة الإنترنـت فـي مختلـف المجـالات الإداريـة والاقتصـادية والعلميـة والهندسـية. كمـا أن كثيـرا مـن الجامعـات التقليديـة أصـبحت تسـتخدم الإنترنـت فـي التعلـيم عـن بعـد للطلبـة النظـاميين، حيـث يمكـن لهـؤلاء الطلبـة اسـتخدام معامـل وأجهـزة الحواسـيب وبـرامج التـدريس، والـتعلم الـذاتي بالإضـافة إلـى الوسـائل التقليديـة الأخـرى. وبعـض هـذه الجامعـات بـدأت بـرامج خاصـة للتـدريس عـن بعـد مثـل جامعـة ولايـة أريزونـا بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وجامعـة أكسـفورد أعـرق جامعـات بريطانيـا. كمـا تقـدم العديـد مـن الشـركات الخاصـة بـرامج تـدريس تخصصـية عـن بعـد وخاصـة فـي مجـالات علوم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات.

---

١ - الخطيب، ١٩٩٨، ص ٥ - ٦

وقد بدأت العديد من المنظمات والهيئات الدولية مثل اليونسكو والبنك الدولي والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في دعم مبادرات ومشروعات التعلم عن بعد على المستويات الإقليمية والدولية.[١]

كان لوباء فيروس كورونا (COVID-19) تأثير كبير على قطاع التعليم العالي العالمي . ركزت الاستجابات الأولية في البلدان المتأثرة بالوباء ١٨٠ مليون طالب صيني في المراحل التعليمية المختلفة، على تقديم التدريب عبر الإنترنت للطلاب الذين لم يتمكنوا من مغادرة الصين والتأثير الاقتصادي على الجامعات الذين اعتمدوا على الدخل من هذا الفوج الدولي [٢]، هرعت الكليات إلى تحويل المناهج الدراسية إلى محتوى يتناسب التعامل به عبر الإنترنت ، مع مراعاة التكنولوجيا والمواقع الإلكترونية التي يمكن الوصول إليها من الصين.

و كذلك لجأت العديد من البلدان إلى التعلم عن بعد كوسيلة للحد من الوقت الضائع في المدارس (عبر الإنترنت بالكامل في إيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، والمملكة العربية السعودية؛ وعبر الهواتف المحمولة أو البث التليفزيوني في فيتنام، ومنغوليا). بالإضافة إلى البنية التحتية والاتصال، تُعد معرفة المدرسين والإداريين بالأدوات والعمليات اللازمة أيضًا عوامل رئيسية في توفير التعلم عن بعد كما في سنغافورة. وترسل بلدان أخرى الدروس إلى الطلبة في منازلهم كواجبات منزلية كما في لبنان. في بلغاريا، أنشئ أكثر من ٨٠٠ ألف حساب لجميع المعلمين وأولياء الأمور، مع تعبئة دور النشر لإتاحة الكتب والمواد التعليمية في محتوى رقمي . مع لجوء المزيد من البلدان للأغلاق المؤسسات التعليمية، ستكون هناك حاجة إلى المزيد من الإبداع. على سبيل المثال، يمكن أن يكون تكييف المنصات المتاحة حاليًا للاستخدام على الهواتف الذكية أو الاتفاق مع شركات الاتصالات على إلغاء تكلفة الوصول إلى المواد التعليمية على المواقع التابعة لوزارة التعليم ووزارة التعليم العالي أو كلاهما جزءًا من جهود التخفيف من حدة الأزمة [٣].

بدأ التعليم عن بعد كنمط تعليمي جديد في القرن الماضي بما يعرف بالدراسة بالمراسلة في العديد من المؤسسات التعليمية الخاصة في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا.

---

١ – هاشم، ١٩٩٨، ص ٢٠ – ٢١

٢ –Perrotta, 2020

٣ – السباعي، ١٩٩٨، ص ٣

أمـا تجربـة التعلـيم الإلكترونـي والدراسـة عـن بعـد واسـتخدامه فـي الـتعلم الجـامعي الأكثـر تنظيمـا، فكانـت متمثلـة فـي الجامعـة البريطانيـة المفتوحـة التـي انطلقـت فـي بدايـة السـبعينات مـن القـرن الماضـي. بعـدها بـدأ الاهتمـام بـالتعليم الإلكترونـي والجامعـات المفتوحـة، فقامـت العديـد مـن الجامعـات المفتوحـة فـي العديـد مـن دول العـالم أهمهـا جامعـة الهـواء فـي اليابـان، وجامعـة جنـوب إفريقيـا، وجامعـة كوينزلانـد فـي أسـتراليا، وجامعـات نـورث وسـترن والعلـوم التطبيقيـة، والجامعـة الأوكرانيـة للعلـوم التطبيقيـة، وجامعـة العلـوم التطبيقيـة فـي كيـروف فـي الاتحـاد السـوفييتي، وجامعـة كـوينز فـي كنـدا، والجامعـة الحـرة فـي إيـران، وجامعـة كـل النـاس فـي فلسـطين المحتلـة، وجامعـة القـدس المفتوحـة، وجامعـة العلامـة إقبـال فـي الباكسـتان، وجامعـة التعلـيم عـن بعـد فـي كوسـتاريكا، وجامعـة أبريتـا الوطنيـة فـي فنـزويلا، وجامعـة البـث المركـزي والتلفزيـوني فـي الصـين، وجامعـة سـوكاتاي تمـاثيرات المفتوحـة فـي تايلانـد، والجامعـة الشـعبية المفتوحـة بإسـلام أبـاد، وجامعة تربوكا بإندونيسيا، والجامعة المفتوحة في كوريا والسويد[1].

تـوفر بعـض الجامعـات المفتوحـة أكثـر مـن ٣٠٠ برنـامج دراسـي، بعضـها بـرامج نظريـة مثـل اللغـات والعلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، والـبعض الآخـر بـرامج عمليـة مثـل العلـوم الطبيعيـة والكيميـاء وخـواص المـواد والهندسـة والعمـارة والصـيدلة. وقـد سـاعدت التقنيـة الحديثـة علـى التواصـل بـين الدارسـين والجامعـة، كمـا سـاعدت علـى إيصـال المـواد العلميـة للدارسـين وبالإضـافة إلـى اسـتغلال عطـلات نهايـة الأسـبوع والإجـازات الصـيفية فـي التـدريب العملـي فـي المصـانع والشـركات والمعامـل. كـل ذلـك يـتم بـدون أن يضـطر الـدارس إلـى تـرك عملـه. وتمـنح الجامعـات المفتوحـة درجـات البكـالوريوس والـدبلوم والماجسـتير، كمـا تمـنح شـهادات التـدريب المسـتمر، والقليل منها يمنح شهادة الدكتوراه ويشترط في ذلك أن يكون هناك مشرف لكل دارس.[2]

مشكلة الدراسة:

يشـهد العـالم حاليـاً حـدثاً جلـلاً قـد يهـدد التعلـيم بأزمـة هائلـة ربمـا كانـت هـي الأخطـر فـي زماننـا المعاصـر. فقـد تسـببت جائحـة كورونـا فـي انقطـاع الطلبـة علـى مسـتوى العـالم باسـره عـن التعلـيم وجـاء ذلـك فـي وقـت نعـاني فيـه بالفعـل مـن أزمـة تعليميـة ، فهنـاك الكثيـر مـن الطـلاب فـي المسـتوى الجـامعي لا يتلقـون المهـارات الأساسـية التـي يحتاجونهـا فـي الحيـاة العمليـة ويكونـون دون المستوى المطلوب عند تخرجهم من الجامعات.

---

١ – قازي–هق و شميس,٢٠٢٠

٢ – عبدالعزيز السنبل، ٢٠٠٢م، ص ٧

ولكن ما هي الآثار التي تعود على الطلاب في المستوى الجامعي، والتي تثير لدينا القلق وتتطلب عمل دراسات مستمرة لتطوير وسائل التعليم الحديثة والبحث عن خدمات تعليمية إلكترونية بصورة متكاملة وفق النظم المتبعة عالمياً في هذه المرحلة من الأزمة، لذلك انحصرت مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

١-هل يساهم التعليم المفتوح من خلال ما يقدمه من خدمات تعليم إلكتروني في تأهيل الطلاب وفق احتياجات المجتمع وسوق العمل ؟

٢-مدى رضا طلاب التعليم المفتوح بالسودان عن مستوى الخدمات التعليمية المقدمة لهم فعلياً؟

٣-هل تجد مخرجات التعليم المفتوح بالسودان القبول من قبل لجان التقويم والاعتماد المختصة بالتعليم العالي بالسودان ؟

٤-هل صممت المناهج الدراسية للتعليم المفتوح وفق معايير التعليم الإلكتروني المعتمد على النموذج المرئي والتفاعلي ؟

٥-هل استفادت المؤسسات التعليمية السودانية التي بدأت تجربة التعليم عن بعد في تسعينيات القرن الماضي من تقنيات التعليم الإلكتروني ؟

أهمية الدراسة:

أسندت أهمية هذه الدراسة بناءً على دراسة واقع المجتمعات المعاصرة التي تحتاج مخرجات تعليمية فاعلة متعددة المهارات وقادرة على استخدام التقنيات الحديثة التي فرضتها ثورة المعلومات والاتصالات وفرضت عليها من واقع الظروف التي يمر بها العالم باسره (جائحة كورونا)، وتأتي أيضاً أهمية الدراسة من خلال الجزئية المتعلقة بدراسة نقاط الضعف والقوة في التعليم المفتوح بالسودان و التي يمكن تفسيرها بأن ابرز نقاط الضعف تكمن في عدم جاهزية التعليم عن بعد لدي العديد من المؤسسات التعليم العالي في السودان وعدم توفر البنيه التحتية المتمثلة في نظام انترنت قوي، بينما اهم نقاط القوه هي عدم تقيد التعليم بمكان وزمن محدد حيث أصبح الطالب يحدد الوقت المناسب وإعادة الهدف أكثر من مره ومن أهم مقومات نجاح منصة تعليم قويه، ومن هنا الحل الأمثل لتفادي انقطاع الطلبة من التعليم هو العمل على ترسيخ مفاهيم وأهمية هذا نمط التعليم عن بعد، إضافة لإقناع القائمين على أمر التعليم بالسودان على ضرورة الاهتمام بكل أنواع التعليم الإلكتروني الذي أصبح واقعاً ملموساً ومعاشاً في كل دول العالم.

حيـث يعمـل التعلـيم الإلكترونـي علـى تنميـة المهـارات المعرفيـة المتمثلـة فـي حـل المشـكلات والتفكيـر الإبـداعي وجمـع وتحليـل البيانـات إضـافة للإلمـام باسـتخدامات الحاسـوب التـي أضـحت أداة أساسـية لكـل متطلبـات الحيـاة اليوميـة و يمكـن الطلبـة مـن مواصـلة الدراسـة والانتقـال بسلاسـة للمرحلـة التـي تعقبهـا ، ونجـد أن أهميـة هـذه الدراسـة نبعـت مـن واقـع الاغـلاق الكامـل لـك المؤسسـات التعليميـة ممـا يحـتم علينـا إيجـاد آليـة لتطـوير وتفعيـل وزيـادة التعلـيم المفتـوح بالسودان بغرض عدم فقد سنوات دراسية للطلبة.

منهجية الدراسة:

اعتمـدت الدراسـة علـى المـنهج الوصـفي "Descriptive Methods" الـذي يعتمـد أسـلوب تحليـل وعـرض المحتـوى النظـري للدراسـة، وهـو مـنهج يصـف الواقـع أو الظـاهرة المعاصـرة مـن خـلال دراسـة وتحليـل مـا يتعلـق بهـا مـن وثـائق ودراسـات معاصـرة، بالإضـافة لـذلك تـم اسـتخدام مـنهج الاستشـراف المسـتقبلي "Prospective Future" لوضـع توصـيات لبنيـة مؤسسـة تعليميـة إلكترونيـة متكاملـة تتوافـق و طبيعـة التعلـيم المفتـوح بالسـودان فـي ظـل التطـور المتسـارع للتقنيـات الحديثـة، ومـنهج الاستشـراف المسـتقبلي عبـارة عـن عمليـة تكيـف ذهنـي وتكيـف وظيفـي، وذلـك عـن طريـق إعـادة تنظـيم الأفكـار والنمـاذج الذهنيـة والأطـر النظريـة، فهـو أسـلوب تفكيـر حديث يتناول جوانب متعددة ويعتمد على كيفية تأثير عنصر على بقية العناصر الأخرى.

النتائج:

مـدى جاهزيـة الجامعـات السـودانية لتطبيـق نظـام التعلـيم الالكترونـي كحـل للأغـلاق التـام التـي فرضـته جائحـة كورونـا؟ النتـائج المعروضـة فـي هـذه الدراسـة اشـتملت علـى تجربـة التعلـيم عـن بعـد والتعلـيم الإلكترونـي فـي جامعـة السـودان للعلـوم والتكنولوجيـا، جامعـة الخرطـوم، جامعـة الـزعيم الأزهـري، جامعـة النيلـين، جامعـة السـودان المفتوحـة، الكليـة الإلكترونيـة، والمدرسـة الإلكترونية بالإضافة إلى جامعة المشرق كنموذج لمؤسسات التعليم العالي الخاص.

واقع التعليم الإلكتروني في السودان :

يمثـل التعلـيم بمختلـف أشـكاله رأس الـرمح فـي مجـال الخـدمات التـي تقـدمها الـدول لمواطنيهـا، فقـد أوصـت الخطـة الخمسـية مـن الاسـتراتيجية السـودانية ربـع القرنيـة للأعـوام ٢٠١٢م – ٢٠١٦م، علـى ضـرورة اسـتخدام تقنيـات التعلـيم الإلكترونـي والتعلـيم عـن بعـد والاستفادة من هذه التقنيات لمقابلة الزيادة الكبيرة في أعداد الطلاب الراغبين في التعليم.

كما لجأت الدولة مؤخراً للدخول في مجال التعليم الإلكتروني باعتبار أن هذا النمط من التعليم يعد ذات تكلفة أقل من التعليم التقليدي، لذلك اتجهت العديد من الدول لتوظيف تكنولوجيا المعلومات لتوسيع مظلة التعليم عن بعد مستفيدين في ذلك من تقنيات التعليم الإلكتروني. فرض واقع التعليم في السودان عدد من المعالجات، منها اللجوء إلى خيار التعليم الإلكتروني المتمثل في استخدام تكنولوجيا المعلومات في العملية التعليمية، خاصة وأن الدراسات أثبتت أن تجارب التعليم عن بعد في المؤسسات التعليمية استفادت بشكل كبير من تقنيات التعليم الإلكتروني، في ظل الزيادة الواضحة في أعداد الطلاب والنقص الحاد في البنيات الأساسية للتعليم في السودان، حيث أن ٥١٪ من الفصول الدراسية في المؤسسات التعليمية بالسودان تحتاج إلى صيانة، وبلغ معدل الأساتذة إلى الطلاب ٤٠ إلى ١، كما بلغت نسبة الأساتذة غير المدربين ٤٠.٢٪ في مرحلة الأساس و٣٧.٧٪ في المرحلة الثانوية، في حين أن المطلوب هو الوصول إلى ٨٠٪ من الأساتذة المدربين.[١]

وفي ذات الخصوص أمن وزير التعليم العالي والبحث العلمي الاسبق البروفيسور/ خميس كجو كنده على ضرورة وضع استراتيجيات عامة للتعليم الإلكتروني لدمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم مع التركيز على محور حوسبة المناهج باعتباره المحور الأساسي للتعليم الإلكتروني، كما أشار إلى ضرورة تطوير المواقع الإلكترونية للجامعات ومراكز البحث العلمي والمؤسسات التعليمية بصورة عامة، خاصة وأن السودان يمتلك البنيات الأساسية لنشر التعليم الإلكتروني في ظل وجود التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصالات.

كما تحتاج تحديات الألفية الثالثة بالضرورة إلى اعتماد خطة من هذا النمط من التعليم يتلاءم مع البيئة السودانية من خلال تغيير .

تجربة التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني في الجامعات السودانية:

بدأت تجربة التعليم عن بعد في مجموعة من الجامعات السودانية في تسعينيات القرن الماضي، إلا أن بعض التجارب لم يتم تفعيلها بتقنيات التعليم الإلكتروني، ونأخذ على سبيل المثال بعض التجارب السابقة والآنية لبعض المؤسسات التعليمية:

١. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا: بدأت جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا تجربة التعليم عن بعد في العام ١٩٩٥م، عبر مكتب خارجي للجامعة بدولة قطر، حيث اشتملت التخصصات المطروحة على الدراسات التجارية، التربية بتخصصاتها المختلفة، الغابات،

١ – عبدالرحمن عثمان ، سونا، ٢٠١٣

والإحصـاء التطبيقـي، وبـالرغم مـن ارتبـاط جامعـة السـودان بالتكنولوجيـا والعلـوم، إلا أن الجامعـة اعتمـدت علـى المنـاهج التقليديـة فـي بدايـة الأمـر مـن خـلال المـذكرات المطبوعـة، والمحاضـرات المتزامنـة فـي المركـز، وقـد حققـت هـذه البـرامج أمـوالاً طائلـة للجامعـة أسـهمت بشكل كبير فـي تحسين منشأة الجامعة والبنيـة التحتيـة، بعدها اتجهت الجامعة لإقامـة مراكـز تعلـيم عـن بعـد باسـتخدام تقنيـات التعلـيم الإلكترونـي، كمـا تـم تفعيـل كافـة خـدمات التعلـيم الإلكترونـي فـي المركـز الرئيسـي للجامعـة حيـث قامـت الجامعـة بطـرح العديـد مـن البـرامج الدراسية لتلقي الخدمات التعليمية باستخدام التعليم الإلكتروني.[١]

٢. جامعـة الخرطـوم : بـدأت تجربـة جامعـة الخرطـوم مـع التعلـيم عـن بعـد فـي شـهر مـايو مـن العـام ١٩٩٩م، مـن خـلال إنشـاء وحـدة التعلـيم عـن بعـد بكليـة الدراسـات التقنيـة والتنمويـة بغـرض تنشـيط كليـات الجامعـة المختلفـة للـدخول فـي منظومـة التعلـيم الإلكترونـي، وقـد سـعت الجامعـة للحصـول علـى مخرجـات تعليميـة بالمواصـفات المطلوبـة لهـذه النوعيـة مـن التعلـيم، وذلـك مـن خـلال إقامـة النـدوات والـورش والـدورات التدريبيـة للمشـرفين بغـرض تجويـد الأداء لهـذه التقنيـة الجديـدة حيـث اشـتملت البـرامج التدريبيـة علـى تـدريب الأسـاتذة علـى تصـميم وكتابـة المـواد التعليميـة للتعلـيم عـن بعـد، وإنتـاج المـواد التعليميـة المرئيـة إضـافة لتصـميم وإنتـاج المـواد التعليميـة عـن طريـق الحاسـوب والتقنيـات الملحقـة. فـي العـام ٢٠٠١م، أجـازت الجامعـة مجموعـة مـن البـرامج الدراسـية يـتم القبـول لهـا وفـق شـروط التعلـيم عـن بعـد مسـتخدمين فـي ذلـك تقنيـة التعلـيم الإلكترونـي، واشـتملت البـرامج المطروحـة علـى : المحاسـبة والإدارة والمالية، و إدارة الأعمال، والغابات، وبرامج كلية التربية، وبرامج دراسات الحاسوب.

اسـتفادت الجامعـة مـن التقنيـات الإلكترونيـة الموجـودة والمتمثلـة فـي الشـبكات المحليـة وخـدمات الإنترنـت التـي تـم إدخالهـا بالجامعـة منـذ العـام ١٩٩٨م، كمـا اسـتفادت الجامعـة أيضـاً لتنفيـذ برنـامج التعلـيم عـن بعـد مـن تقنيـة المـؤتمرات المرئيـة (Video Conference) والتـي أدت بـدورها لظهـور مفهـوم الصـف الدراسـي الافتراضـي (Virtual Classroom) ، وقـد سـاهمت هـذه التقنيـة فـي سـد الـنقص فـي أعضـاء هيئـة التـدريس بالجامعـات الإقليميـة وجامعـات الولايـات، كمـا اسـتفادت الجامعـة أيضـاً مـن الخـدمات المباشـرة (Online Services) وخـدمات المناقشة الفورية. (Online Discussion) ، إضافة لخدمات المكتبة الإلكترونية.

١ – العجب ، ٢٠٠٣م، ص ١٢

٣. جامعة الزعيم الأزهري : تعتبر جامعة الزعيم الأزهري أول جامعة سودانية سعت لوضع خطة متكاملة بغرض تفعيل دور تقنية التعليم الإلكتروني لخدمة برامج وأهداف التعليم المفتوح، من خلال الشراكة التي قامت بين الجامعة والشركة السودانية للاتصالات (سوداتل)، بدأت بموجبه الجامعة في تصميم برامج ومواد تعليمية عن طريق المتصفح الإلكتروني لشبكة الإنترنت – الويب (Web)، بحيث يتم تقديم خدمات فورية للمتعلمين عبر المواقع التعليمية الإلكترونية بعد أن تم ربط الجامعة بمخدم إنترنت رئيسي عبر شركة سوداتل. (ISP).

في العام ٢٠٠١م، وقعت الجامعة اتفاقية مع شركة ألمانية لتصميم وإنتاج البرمجيات المرئية والصوتية، بغرض حوسبة مناهج التعليم الإلكتروني وتقديم خدمة التعليم المفتوح عبر التقنيات الإلكترونية.

٤. جامعة النيلين : تم إنشاء إدارة للتعليم عن بعد بجامعة النيلين في العام ١٩٩٦م، تحت مسمى قسم الانتساب، بعد ذلك تغير اسمها إلى إدارة التعليم عن بعد في ديسمبر ٢٠٠١م، تعمل هذه الإدارة على توفير مجموعة من الفرص الدراسية لمن لم تتح لهم فرصة الدراسة الجامعية، وتتبع هذه الإدارة لأمانة الشئون العلمية، حيث تتكون إدارة التعليم عن بعد من قسمين – قسم الانتساب وقسم المراكز الخارجية، يتم فيهما قبول الطلاب عن طريق مكتب القبول الموحد التابع لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، حيث يتم اختيارهم وقبولهم حسب المفاضلة بين الشهادات وتقديراتها بحيث تتم كافة إجراءات القبول في قسم الانتساب الداخلي بواسطة مشرفي الكليات الذين يتبعون لقسم التعليم عن بعد، إلا أن إعداد المواد التعليمية لطلاب الانتساب لا تتناسب مع سياسة التعليم عن بعد، حيث يمنح طلاب الانتساب الداخلي والخارجي كتب ومذكرات لا تتلائم مع موجهات التعليم عن بعد، كما تسمح لائحة التعليم عن بعد لطلاب الانتساب الداخلي بحضور المحاضرات جنباً إلى جنب مع الطلاب النظاميين، حيث يخضع طلاب الانتساب لنفس الامتحانات التي تقدمها الجامعة لطلابها النظامين كما أن الطلاب المنتسبون مطالبون بالجلوس للاختبارات وأعمال السنة المختلفة التي يخضع لها الطلاب النظاميون، ومن حيث الإسناد التعليمي فهناك ما يسمى بمراكز خدمات الطلاب التابعة لإدارة التعليم عن بعد بجامعة النيلين، تقوم بمداد الطلاب بالمواد التعليمية وتجيب عن استفساراتهم، وتوجد هذه المراكز في كل من

الأردن (مركـز الأقصـى)، السـعودية (مركـز الريـاض)، ومركـز البحـرين، أمـا فـي داخـل السـودان فلا يوجد سوى المركز الرئيسي للجامعة بالخرطوم. [1]

٥.جامعـة السـودان المفتوحـة: اسـتكمالا لسياسـة التعلـيم العـالي وتماشـياً مـع الـدور الـذي يقدمـه التعلـيم العـالي، ومواكبـة لثـورة التعلـيم المفتـوح، أصـدر مجلـس الـوزراء السـوداني قـراره رقـم (١٦٤) فـي ١٤/أبريـل/٢٠٠٢م الموافـق ٢/صـفر/١٤٢٣هـ بإجـازة مشـروع جامعـة السـودان المفتوحـة، وبـدأ التقـديم الفعلـي للجامعـة فـي ١٥/مـارس/٢٠٠٣م فـي خمسـة بـرامج اشـتملت البـرامج الدراسـية الآتيـة: إدارة الأعمـال، وعلـوم الحاسـوب، والتربيـة (معلمـين فقـط)، وتقنيـة معلومات، والمحاسبة.

نشأت هذه الجامعة لتحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

أ. المساهمة في تحرير التعليم العالي من القيود المعقدة.

ب. العمل على توفير العدالة في فرص التعليم العالي وتحقيق مبدأ التعليم للجميع.

ج. المساهمة في إعداد الكوادر وتوفير الموارد البشرية المؤهلة.

د. سد الفجوة الناجمة في أعضاء هيئة التدريس في التعليم العام والتعليم العالي.

هـ. خفض تكلفة التعليم العالي.

و. ترسيخ ثقافة التعليم المفتوح من خلال استخدام تكنولوجيا التعليم الإلكتروني.

اعتمـدت الجامعـة علـى اسـتخدام التقنيـات الحديثـة فـي تقـديم المـواد التعليميـة بصـورة إلكترونيـة، حيـث اشـتملت هـذه المـواد علـى المنـاهج المطبوعـة والتـي تـم تصـميمها وفـق مواصـفات التعلـيم المفتـوح، إضـافة للمـواد التعليميـة المرئيـة والمسـموعة، وقـد تـم وضـع وتصـميم هـذه المـواد تحـت إشـراف لجـان متخصصـة، حيـث تعتبـر الجامعـة السـودانية الأولـى التـي تـم اعتمادهـا كمؤسسـة لتقـديم التعلـيم المفتـوح، حيـث اهتمـت بتكامـل المعـارف العلميـة والتقنيـة فـي مجـال التعلـيم الإلكترونـي والتعلـيم المفتـوح، وقـد اتجهـت الجامعـة فـي ذلـك لاسـتخدام وسـائل أخـرى لبـث برامجهـا التعليميـة إلكترونيـاً، منهـا علـى سـبيل المثـال: البـث الإذاعـي المسـموع، والإنترنـت والبريـد الإلكترونـي عبـر شـبكة الاتصـالات الدوليـة، والمراكـز الدراسـية المـزودة بمعامـل الحاسـوب والوسـائل التعليميـة الإلكترونيـة المختلفـة، واللقـاءات الصـفية بـين الخبـراء والطـلاب بتلـك المراكـز. (الموقع الإلكتروني لجامعة السودان المفتوحة)

---

١ – معتصم يوسف، ٢٠١٢

١. الكلية الإلكترونية : استكمالا لتجربة التعليم الإلكتروني، قام المجلس القومي للتعليم التقني والتقاني بمنح التصديق المبدئي بإنشاء الكلية التقنية، والتي تهدف لتقديم خدمات التعليم الإلكتروني لمجموعة من البرامج الحديثة وفق منظومة وبرامج التعليم التقني والتقاني، كما تهدف هذه الكلية أيضاً إلى تأهيل كوادر تقنية مؤهلة مواكبة لتكنولوجيا الثورة المعلوماتية، خاصة وأن توجه الدولة وأولوياتها في التعليم تأهيل الكوادر الوسيطة التي يحتاجها سوق العمل في الوقت الراهن، ويشرع القائمين على أمر الكلية على تجهيز كل المطلوبات المتعلقة بالدراسة في هذه الكلية، وأهمها الاستفادة من تجربة التعليم الإلكتروني الصفي المتزامن، من خلال الاستفادة من تقنيات التعليم الإلكتروني بأشكاله المختلفة، ومن ثم تطبيق فكرة التعليم الإلكتروني المتكامل عبر إتاحة فرص الالتحاق بالكلية لكل الفئات وفق توجهات وسياسة التعليم المفتوح، تطبيقاً لمبدأ التعليم للجميع.

المدرسة الإلكترونية السودانية:

هي أول مدرسة إلكترونية في السودان بتصديق من وزارة التربية والتعليم السودانية تعتمد نظامي التعليم الإلكتروني في المدرسة الواقعية، ونظام التعليم عن بعد، كأول مدرسة في السودان تقبل بنظام الانتساب طلاب مرحلتي الأساس والثانوي، حيث تم التصديق لها من وزارة التربية والتعليم الاتحادية والولاية بولاية الخرطوم، والمركز القومي للمناهج والبحث التربوي، وإدارة التعليم الخاص بولاية الخرطوم، لاستيعاب الطلاب في مراحل التعليم العام لكل الفصول الدراسية (أساس – ثانوي)، وتدريس المنهج السوداني والتمرحل في مراحل التعليم العام من أي مكان داخل وخارج السودان، وذلك بتنسيق مع جهاز تنظيم شئون السودانيين العاملين بالخارج والاتحاد العام للطلاب السودانيين. وتفتح المدرسة الواقعية أبوابها للطلاب من داخل وخارج السودان، وتدرس طلابها داخل فصول المدرسة بأحدث تقنيات تكنولوجيا التعليم، حيث يتم التدريس بالسبورة التفاعلية بالإضافة إلى معامل حاسوب بأحدث أجهزة الحاسوب، كما تقوم المدرسة بتقديم التجارب المعملية في المواد العلمية بطريقة علمية محوسبة تتيح لكل طالب إجراء التجارب بنفسه، وتقدم لأبناء السودانيين العاملين بالخارج (المقيمون داخل السودان) ولأولياء أمورهم بالخارج خدمة متابعة الأبناء إلكترونياً وهو نظام يوفر لولي الأمر وهو بالخارج إمكانية مشاهدة ومتابعة كافة سجلات ابنه أو بنته إلكترونياً من دفتر الحضور والغياب اليومي المحوسب إلكترونياً.

كمـا يمكـنهم معرفـة درجـات الامتحانـات والاختبـارات والملاحظـات العامـة. (الموقـع الإلكترونـي للمدرسـة الإلكترونيـة) أمـا نظـام المدرسـة الإلكترونيـة، فهـو قبـول أبنـاء العـاملين بالخـارج لدراسـة المـنهج السـوداني ونقلهـم عبـر المراحـل الدراسـية المختلفـة مـن علـى البعـد بنتـائج معتمـدة مـن وزارة التعلـيم العـام، وتـوفر لهـم المـنهج السـوداني لكافـة السـنوات الدراسـية فـي شـكل رقمـي مرئـي، كمـا يسـتخدمون خاصـية المعامـل الافتراضـية لإجـراء الاختبـارات المعمليـة، ويـتم ترتيـب الجلـوس للامتحـان النهـائي لكـل عـام دراسـي بالتنسـيق مـع جهـاز السـودانيين العـاملين بالخـارج للطـلاب فـي أمـاكن إقـامتهم. وقـد وجـه الأمـين العـام لجهـاز تنظـيم شـئون السـودانيين العـاملين بالخـارج الـدعوة لجميـع المهتمـين بقضـايا التعلـيم الإلكترونـي لحضـور فعاليـات ورشـة العمـل الخاصـة بتقيـيم فكـرة المدرسـة الإلكترونيـة لتـدريس مقـررات مرحلتـي الأسـاس والثـانوي والتفـاكر حـول إمكانيـة اسـتفادة أبنـاء المغتـربين مـن هـذه التجربـة، خاصـة الأبنـاء المقيمـين فـي الدول التي لا تسمح قوانينها بتدريس المنهج الوطني.[1]

٨.جامعـة المشـرق: جامعـة المشـرق مـن الجامعـات الخاصـة التـي تـم تأسيسـها فـي العـام ٢٠٠٣م ككليـة جامعيـة للعلـوم والتكنولوجيـا وتـم ترفيعهـا إلـى جامعـة المشـرق فـي العـام ٢٠١٣م، وقـد اهتمـت الجامعـة بـالعلوم والتكنولوجيـا وأتمتـه الخـدمات الأكاديميـة والإداريـة إضـافة للخـدمات الطلابيـة، وقـد اعتمـدت المنظومـة التعليميـة والإداريـة مـن خـلال اسـتخدامها لبوابـات الـدخول الإلكترونيـة عبـر بطاقـات ممغنطـة تحـدد هويـة الطـلاب مـع تسـجيل حضـورهم للـدخول للحـرم الجـامعي وحفظـه فـي شـكل تقـارير بـإدارة لشـئون العلميـة بالإضـافة لخاصـية قـراءة موقـف الطالـب عـن سـداد الرسـوم الدراسـية وفقـاً لصـلاحية البطاقـة حسـب فتـرة السـداد الممنوحـة للـدخول، أيضـاً عمـدت الجامعـة علـى أتمتـه تسـجيل الحضـور والغيـاب الطلابـي لكـل المحاضـرات عبـر البصـمة وربطهـا إلكترونيـاً بالشـئون العلميـة وتسـجيل نسـبة الحضـور وفقـا للائحـة الأكاديميـة للجامعـة، مـع ربـط الحضـور والغيـاب برسـائل نصـية عبـر الهـاتف المحمـول ترسـل إلـى أوليـاء الأمـور لمعرفـة موقـف أبنـائهم ومتـابعتهم، بالإضـافة لتجربـة التعلـيم الإلكترونـي التـي انتهجتهـا الجامعـة فـي مـواد مطلوبـات الجامعـة (الثقافـة الإسـلامية ١و٢ ، اللغـة العربيـة ١و٢ ، الدراسـات السودانية).

١ – حمد إبراهيم ، ٢٠١٣م

وقد وجدت التجربة نجاحاً منقطع النظير منذ أن تم إطلاقها في العام الدراسي ٢٠١٧م وتفاعل معها جميع الطلاب وفقاً للضوابط الصارمة واللوائح الأكاديمية التي وضعتها عمادة الشئون العلمية والإدارة الخاصة بالتعليم الإلكتروني التي أنشأتها الجامعة بشكل متطور، وتعمل إدارة التعليم الإلكتروني بالجامعة وقبل جائحة كورونا المستجد على التوجه نحو التعليم الإلكتروني بصورة إلزامية لكل الكليات وبدأت بالفعل في عملية التحول، كما للجامعة تجربة فريدة في عملية إصدار شهادات التخرج عبر ماكينة استخراج الشهادات الآلية والتي تتيح للخريج استخراج شهاداته الجامعية في وقت وجيز لا يتعدى دقيقة واحدة عبر تقنية البصمة مع أمكانية سداد رسوم الشهادات من خلال الماكينة، وقد انطلقت هذه الخدمة بالفعل في اليوم الأول من شهر أبريل عام ٢٠١٨م، برعاية كريمة ودعم من وزيرة التعليم العالي والبحث العلمي السابقة د. سمية أبو كشوة. كما تم تحويل كل الإعلانات وجداول المحاضرات وجداول الامتحانات إلكترونياً عبر موقع إلكتروني مخصص لذلك الغرض.[1]

1 – www.mashreq.edu.sd

قائمة المراجع:

1. Perrotta, C. (2020). Coronavirus quarantine could spark an online learning boom. The Conversation. https:// theconversation.com/coronavirus-quarantine-could-sparkan-online-learning-boom-132180.

٢. إسـماعيل، العجـب محمـد العجـب، دور تقنيـة التعلـيم الإلكترونـي فـي تحقيـق أهـداف التعلـيم المفتوح، ورقة منشورة ، مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ٢١/٤/٢٠٠٣م.

٣. الحلفـاوي، وليـد بـن سـالم (١٤٢٧هـ)، مسـتحدثات تكنولوجيـا التعلـيم فـي عصـر المعلومـات، الأردن، دار الفكر، الطبعة الأولى.

٤. الخـان، بـدر (٢٠٠٥)، اسـتراتيجيات التعلـيم الإلكترونـي، ترجمـة الموسـوي، وآخـرون ، سوريا، شعاع للنشر والعلوم.

٥. الخطيـب، محمـد شـحات، دراسـة عـن التعلـيم عـن بعـد وتطوراتـه والوضـع الـراهن لـه فـي المسـاحة الدوليـة، والنـدوة الدوليـة للتعلـيم عـن بعـد، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم، تونس، ١٩٩٨م.

٦. دولور، جاك، التعليم ذلك الكنز المكنون، اليونسكو، باريس، ١٩٩٦م.

٧. سـالم، أحمـد (٢٠٠٤)، تكنولوجيـا التعلـيم الإلكترونـي، الريـاض، مكتبـة الرشـد، الطبعـة الأولى.

٨. السـباعي، زهيـر أحمـد، التعلـيم المفتـوح تجـاه عـالمي، النـدوة الدوليـة للتعلـيم عـن بعـد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م.

٩. السـفياني، مهـا بنـت عمـر، (١٤٢٨هـ)، أهميـة واسـتخدام التعلـيم الإلكترونـي فـي تـدريس الرياضـيات بالمرحلـة الثانويـة مـن وجهـة نظـر المعلمـات والمشـرفات التربويـات، رسـالة ماجستير منشورة، مكة المكرمة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

١٠. السـنبل، عبـدالعزيز بـن عبـدالله، التربيـة والتعلـيم فـي الـوطن العربـي علـى مشـارف القـرن الحادي والعشرون، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ٢٠٠٢م.

١١. الشـهراني، ناصـر بـن عبـدالله ناصـر، مطالـب اسـتخدام التعلـيم الإلكترونـي فـي تـدريس العلـوم الطبيعيـة بـالتعليم العـالي مـن وجهـة نظـر المختصـين، دراسـة دكتـوراه منشـورة، مكـة المكرمة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

١٢. الصايدي، يحي عبدالوهاب، التعليم عن بعد نظام تعليمي جديد لعالم متغير، المشروع العربي الموحد للتعليم عن بعد، الندوات القطرية حول التعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠١م،.

١٣. عبدالحي، رمزي بن أحمد (٢٠٠٥م)، التعليم العالي الإلكتروني محدداته ومبرراته ووسائله، الإسكندرية، دار الوفاء.

١٤. عبدالرحمن عثمان، التعليم الإلكتروني في السودان .. الأهداف والتحديات، تقرير منشور في وكالة السودان للأنباء (سونا) www.suna-sd.net

١٥. قازي–هق و شميس, إدارة تأثير فيروس كورونا المستجد على الأنظمة التعليمية في أنحاء العالم, مدونات البنك العربي,one line, (٢٠٢٠) ,متوفر في

١٦. القباج، محمد مصطفى، التعليم عن بعد كنسق تجديدي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠١،

١٧. مصطفى، معتصم يوسف، تجارب الجامعات والمؤسسات السودانية في التعليم عن بعد، دراسة منشورة ١٩/يوليو/٢٠١٢م.

١٨. معن الخطيب، تحديات التعلم الالكتروني في ظل أزمه كورونا و ما بعدها, مقالات شبكه الجزيرة الإعلامية, one line, ٢٠٢٠, متوفر في www.aljazeera.net

١٩. الموسى، عبدالله بن عبدالعزيز (١٤٢٩هـ)، استخدام الحاسب الآلي في التعليم، الرياض ، الطبعة الأولى.

٢٠. الموقع الإلكتروني لجامعة السودان المفتوحة

٢١. الموقع الالكتروني لجامعة المشرق. www.mashreq.edu.sd

٢٢. الموقع الإلكتروني للمدرسة الإلكترونية السودانية.

٢٣. الموقع الإلكتروني لمكتبة الملك عبدالله الإلكترونية، كلية التربية، جامعة الملك سعود بالرياض، www.dspace.uqu.edu.sa.

٢٤. نشوان، يعقوب، واقع التعليم عن بعد في البلاد العربية، دراسة تحليلية، الندوة الدولية للتعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٨م.

٢٥. هاشم، شريف رضا، معوقات البنية المؤسسية لإرساء قواعد التعليم عن بعد في الوطن العربي، الندوة الدولية للتعليم عن بعد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٨م،

أثر الاستعمار البرتغالي على أوضاع ومكانة المرأة في أفريقيا جنوب الصحراء جمهورية "أنجولا نموذجاً"

د. سهام عبد الباقي محمد
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة جمهورية مصر العربية

مقدمة:

تُعد البرتغال أول دولة استعمارية وصلت بعثاتها الاستكشافية إلى شواطئ أفريقيا الغربية، فاتحة بذلك صفحة الاستعمار الحديث في أفريقيا، وأقدم الدول التي ما زالت لها مستعمرات في هذه القارة. ويرجع هذا إلى نشاطها التجاري، حيث اهتمت البرتغال بالوصول إلى الهند عن طريق الدوران حول أفريقيا، ونظرًا لاحتكار البرتغال في البداية طريق الهند الملاحي، فقد قامت بإنشاء محطات وقواعد عسكرية لها في مناطق كثيرة من الساحل الأفريقي الغربي والشرقي، ومن أوائل قواعدها غينيا، وجزر بيافرا، ومنطقة مصب نهر الكنغو، وساحل أنجولا في الغرب، وساحل موزمبيق في الشرق. ولم يأت القرن السادس عشر إلا وكانت البرتغال في موقف المحتكر الوحيد لتجارة الهند وأفريقيا، وسيطرت سيطرة شبه كاملة على السواحل الأفريقية الشرقية، ولكن القرنين السابع عشر، والثامن عشر شاهدا تقلص النفوذ البرتغالي في شرق أفريقيا؛ نتيجة لنمو النفوذ العربي من ناحية والنزاع التجاري الاستعماري بين الدول الأوروبية والبرتغال، وخاصة مع بريطانيا وهولندا من ناحية ثانية، وأدى هذا التقلص إلى بقاء مناطق محدودة من الساحل الأفريقي في قبضة البرتغال، هي التي تكون المستعمرات البرتغالية الحالية في شرق أفريقيا موزمبيق، وغرب أفريقيا أنجولا، بعض جزر خليج بيافرا، غينيا البرتغالية، وبعض الجزر التي تقع غرب أفريقيا.

وإن كانت هناك دوافع أخرى غير التجارة والربح أعلنت عنها البرتغال تمثلت في رغبتها في نشر المسيحية في أفريقيا وتطهيرها من الوثنية ويؤكد هذا علاقات البرتغال مع ملك الحبشة القديس يوحنا لطلب المساعدة منه وتزويدهم بمعلومات عن طبيعة سكان المنطقة وأحوالهم ليسهل تنصيرهم.

وعندما تحررت أنجولا من قبضة الاستعمار البرتغالي عام ١٩٧٥ لم يكن الاستقلال السياسي التي حصلت عليه يمثل نقطة تحول جوهرية في تطور تلك الدولة ،بسبب الآثار التي خلفها الاستعمار على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وما شهدته أنجولا من صراعات قبلية بسبب الحدود التي رسمها لتلك الجماعات مما أسهم في خلق مجتمعات ذات هوية قبلية، وعرقية ساهمت في عدم تشكيل نظم حكم وطني قوى، ونظم سياسية غير مستقرة انتهت بحروب أهلية دفعت ثمنها الفئات المستضعفة كالنساء. فلم تكن المرأة بمنأى عن تلك المخاطر بل كانت جزء منها، وعانت من أوضاع إنسانية قاسية في مجالات الصحة، والتعليم، وعانت من العنف القائم على أساس النوع "الجندر"، والانتهاكات الجنسية، وممارسة البغاء من أجل تأمين مورد للرزق بعد تقلص مساحة الأراضي الزراعية بسب الحروب وزرع الألغام الأرضية. فمن المعروف أن الاقتصاد الأفريقي قوامه المرأة حيث تتولى المرأة النشاط الزراعي وخاصة فى المناطق الريفية فى أنجولا إلى جانب أدوارها الطبيعية كتأسيس الأسرة، تربية الأبناء، وسد احتياجات الأسرة الغذائية. الأمر الذى جعل المرأة تحتل مكانة متساوية نسبياً مع الرجل الذى يمارس الصيد والاعتناء بالماشية، وبعد أن كانت الزراعة المصدر الرئيسي للدخل تقلصت مساحة الأراضي الزراعية، وتم تدمير شبكة الطرق، وشبكة الاتصالات مما أسهم بدوره في تقلص النشاط الزراعي ودفع بالمرأة الأنجولية للبحث عن أشكال اقتصادية أخرى للإيفاء باحتياجات أسرتها النواه والممتدة والنهوض بأوضاعها، وقد أدى سوء الأوضاع السياسية ونشوب الحرب الأهلية إلى تدهور الوضع الاقتصادي والذى ألقى بظلاله على الأوضاع الاجتماعية والإنسانية ، وفى ظل تلك الأوضاع والتقلبات ظلت المرأة الأنجولاية تبحث لنفسها عن مجال ومساحه تمارس فيها أنشطتها الاقتصادية بالبحث عن فرص عمل، وأنشطه جديدة، كما أدت كثرة الضغوط الملقاة عليها والجمع بين أكثر من عمل إلى تدهور أوضاعها الصحية، ودفع بها العوز وحاجتها الماسة للعمل الى الخروج بحثاً عنه وسط مناطق محفوفة بالمخاطر والالغام وخاصة في المناطق الريفية .وسنعرض فيما يلى لانعكاسات الحقبة الاستعمارية على الأوضاع الاقتصادية، الصحية، والثقافية للمرأة بجمهورية أنجولا.

أولاً: التعريف اللغوي للاستعمار.

يعد مصطلح الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عمر، واستعمره في المكان أي جعله يعمره. فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي، ويعرف الاستعمار بأنه(استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب أخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقة المختلفة، ويعني الاستعمار إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبي ويسمى سكان البلاد المستعمرين وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال البلاد المستعمرة، وغالبا ما ترسل الدولة الأجنبية سكاناً للعيش في المستعمرات وحكمها واستغلال مصادر الثروة، وهذا ما يجعل حكام المستعمرات منفصلين عرقياً عن المحكومين، ومن الأشكال الأخرى للاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها حريتها وفى الأغلب يكون للدولة المحمية شبة سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون[1] .بحيث يكونون أذرع للاستعمار تديرهم من خلف الستار كنوع من أنواع الاستعمار المقنع ويرجع تاريخ الاستعمار إلى القرن الخامس عشر الميلادي، حيث بدأت الدول الأوروبية في بناء إمبراطوريات استعمارية ضخمة في كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا الشمالية، وكذلك في أمريكا الجنوبية. ومن أهم القوى الاستعمارية الأوروبية، فرنسا، بريطانيا، هولندا، البرتغال، أسبانيا. وبحلول سبعينيات القرن العشرين، تفككت معظم هذه الإمبراطوريات. وتعزي أهمية المستعمرات للعوائد الاقتصادية التي تدرها. فالدول تحصل على سلع نادرة مثل الماس والتوابل من هذه المستعمرات. كما تسعى الدول إلى توسيع صناعاتها وتجارتها مع المستعمرات لأن تلك المستعمرات تكون بمثابة مصدر للمواد الخام ومصدر لسلع قابلة للتصدير فضلاً عن كونها مناطق جاذبة للاستثمار، ويستخدم آخرون مصطلح الاستعمار الجديد لتعريف السيطرة غير المباشرة للدول الغنية على الدول النامية. وبحسب تفسير هذه المدرسة، فإن الدول النامية تعتمد على الدول الغنية في مجال إستثمار رأس المال. وقد انتهى عصر الاستعمار في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين؛ لأن القوى الأوروبية كانت قد أُضعفت في الحرب ،فضلاً عن معارضة الاستعمار لأسباب أخلاقية، وظهور الحركات القومية المطالبة بحق تقرير المصير في مستعمرات إفريقيا وآسيا.

1 . **https://nicesmile١.blogspot.com.**

وقد حصلت بعض هذه المستعمرات على استقلالها بشكل سلمي، لكن مستعمرات أخرى لم تحصل على استقلالها إلا عن طريق الحرب. وكانت البرتغال من أواخر الدول التي منحت مستعمراتها الاستقلال في منتصف السبعينيات[١].

ثانياً: الاستعمار البرتغالي لأنجولا.

تقع جمهورية أنجولا على الساحل الجنوبي الغربي لأفريقيا، وتبلغ مساحتها ١ ٢٤٦ ٧٠٠ كيلو متر مربع.

وصل البرتغاليون إلى سواحل أنجولا في سنة ١٤٥٥م، لكنهم لم يؤسسوا فيها مركزهم التجاري إلا في عام ١٤٦٤م، وذلك بالقرب من لواندا **Luanda**، وذلك بقيادة باولو دياز **Paolo Diaz**، الذي عين فيما بعد أمير على أنجولا، مقابل أن يعمل في تكوين جيش قوامه ٤٠٠ رجل، لحماية الأراضي التي كانوا يتوقعون السيطرة عليها، ومن ثم نقل ١٠٠ أسره برتغالية للاستيطان فيها. وبعد إحكام قبضتهم على لواندا ثبتوا أقدامهم في المناطق المتاخمة لها، قبل التوجه إلى بنجويلا –**Benguela** الغنية بالثروات المعدنية[٢].

وقد كان الوجود البرتغالي على الساحل الأنجولي محدود خلال الفترة الإستعمارية. كما ظل التدخل الاستعماري البرتغالي في الحياة الاجتماعية والسياسية للشعوب الأصلية محدوداً جداً. لم يكن هناك إقليم حقيقي مقام هناك. في الواقع لم تكن أنجولا حتى الآن موجودة. في القرن التاسع عشر بدأت البرتغال بسياسة أكثر جدية لإقامة إقليم هناك. ومع ذلك كان هناك عدد قليل من المستوطنات والطرق التجارية لإقامة إقليم هناك. ولهذه الأسباب قامت البرتغال بتمديد الطريق الجنوبي الساحلي، وأسست "الجسر الثالث" في سياق هذا التوسع دخلت السلطات الاستعمارية في صراع مع العديد من الوحدات السياسية الأفريقية ، ولم يبدأ احتلال المنطقة بالمعنى الصحيح إلا بعد ظهور ما سمى "التدافع نحو أفريقيا" في أعقاب مؤتمر برلين ١٨٨٤. قام الجيش البرتغالي بعدة حملات من أجل احتلال الأراضي وتشكيل أنجولا ومع ذلك، فقد شكلت المناطق التي استولى عليها الجيش البرتغالي حتى ١٩٠٦ قرابة ٦% فقط من أراضي أنجولا الحالية، واستمرت الحملات العسكرية.

---

١ . موقع اليكترونى سبق ذكره

٢ . أحمد أنداك نوح: الاحتلال البرتغالي لإفريقيا، آثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية،قراءات افريقية، ٢٨/يناير/٢٠١٩.

https://www.qiraatafrican.com

وقبل الوصول لمنتصف عقد ١٩٢٠ تم تثبيت حدود الإقليم، وظهرت مقاومة أولية له قمعت في أوائل عقد ١٩٤٠. ومن هذا التاريخ فصاعداً تشكلت ما تسمى حالياً أنجولا ويُذكر أن الاحتجاجات في أنجولا قد اندلعت في فبراير ١٩٦١م، فكانت بمثابة الجذوة التي أشعلت نار حرب التحرير، وبداية النهاية للإمبراطورية البرتغالية في إفريقيا، وقد خاضت حركات ثورية مختلفة معارك شرسة ضد القوات الاستعمارية البرتغالية تكللت بقبول الأخيرة للتفاوض ومنح المستعمرة استقلالها(١).

ثالثاً: أثر الاستعمار البرتغالي على الأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية بأنجولا.

أكد علماء الأنثروبولوجيا البريطانيين أمثال ماير فورت Meyer Fortes، إيفان بريتشارد Evan Pritchard وماكس غلوكمان Max Glukman أن السياسة الأفريقية ما قبل الاستعمار كانت تمارس من قبل جماعات مؤسسات محلية، كان بينها علاقات وظيفية وأن العقل الأفريقي قد توصل من خلال تجربته الخاصة في تطوير مؤسساته السياسية، إلى ما يعرف بالإجماع.صحيح أن تلك التجارب لم تكن مدونة لأنهم كانوا يمارسوا الديمقراطية دون أن يكتبوها، لكن الأكيد أن أفريقيا كانت تمتلك خبراتها في ممارسة الديمقراطية قبل الاستعمار، وكانت بصدد تطويرها أيضًا وكانت تؤسس لمفاهيم الديمقراطية المباشرة لإدارة شئونها، وأنشأت منذ القدم نظم الضبط الاجتماعي ممثلة في مؤسسة سياسية ديمقراطية هي مؤسسة حكم الشيوخ من ذوي الحكمة (٢).

كما شهدت أفريقيا قبل مجيء الاستعمار أشكالاً سياسية يراها البعض أنها تؤسس للديمقراطية. الشكل الأول: كانت تمارس السلطة فيه من خلال سلطة سياسية مركزية، وقائد للدولة معترف به من قبل الجماعات الفرعية المُشكلة للبلاد، ورغم مركزية هذا النظام، إلا أن الثقل فيه يكون للجماعات الفرعية حيث كانت هي المنوطة بتحصيل الديون، وصناعة الأسلحة، وجمع الغذاء وحل المنازعات العشائرية، ومن ثم الدفاع المسلح عن حدود الدولة، وتمتلك كل جماعة فرعية حكومة مصغرة خاصة بها تمارس اختصاصات القضاء، الزواج، جمع الديون والضرائب.

---

١ .https://www.wikapidia.com.

٢ . سليمة بلخيرى: زيارة دراسية لميادين الأنثروبولوجيا العربية، واقع وآفاق، الجزائر ، جامعة محمد خضير بسكرة،مجلة التغيير الاجتماعى والعلاقات العامة، العدد الثالث ،ص٢٧.

وكان هناك مجلساً خاصاً يمتلك حق اختيار الحاكم، وحق إقصائه، في حالة عدم وفائه بتحقيق أهداف المجتمع. أما الشكل الثاني:فتكون فيه درجة المركزية أعلى لكنه يقوم على وجود مجتمعات ذات كيانات قوية وتكون حلقة الوصل بين العشيرة أو القرية من جانب والسلطة المركزية من جانب آخر، وقد شاع هذا النموذج في القارة أيضاً [١].

يختلف هذا الطرح مع المزاعم التي أطلقها الغرب على شعوب أفريقيا وهى أنها شعوب خاضعة للركود فى حين أن شعوب القارات الأخرى تصنع التاريخ، وكانت من مزاعم الاستعمار الأوربي أن أفريقيا لم تدخل مسرح التاريخ إلا بفضل الاستعمار، ولذا فتاريخها لا يعتبر في أغلب الأحيان إلا امتداداً للتاريخ الأوربي. ورغم تلك المزاعم تظل مظاهر الحضارة الأفريقية أمر واقع ولا جدال فيها فقد كانت الإمبراطوريات الأفريقية الإسلامية التي عرفتها منطقة جنوب الصحراء ومنطقة الساحل شرق أفريقيا من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في_القارة بالإضافة إلى أهميتها التجارية. أما أكاذيب الغرب بأنهم من أدخلوا الحضارة لأفريقيا فلم تكون سوى مدة قصيرة في تاريخ أفريقيا الطويل الذاخر بالحضارات الفرعونية، القبطية والإسلامية وكانت بلا شك من أحلك الفترات في تاريخ القارة[٢].

وقد أسهمت الفجوة بين المستعمر والآفارقة وسياسة السيطرة وإلغاء الشخصية الإفريقية وتدني سقف الصلاحيات وضعف المخصصات في ظهور الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال. وإنهاء الحقبة الاستعمارية ونشأة الدولة الأفريقية الحديثة أو ما يسمى بدول ما بعد الاستعمار **Post-colonial stat** وقد اعتمدت أغلب الدول الأفريقية حديثة الاستقلال في هذه الفترة نظام الحزب الواحد لبناء الدولة. فمنذ استقلال تونس واعتمادها لنظام الحزب الواحد كأول دولة في أفريقيا سنة ١٩٥٦ وتبعتها في ذلك غانا في ١٩٥٧ كأول دولة من دول أفريقيا جنوب الصحراء تتبنى هذا النظام حتى قامت الدول الأفريقية الواحدة تلو الأخرى بإقرار هذا النظام والتمسك به وحتى في الدول التي أقرت بأحزاب متعددة مثل نيجيريا وزامبيا ورواندا والمغرب كان يتجه النظام الرسمي صوب ضرب المعارضة وإبقاء الحزب الموالي للنظام كحزب أوحد وأساسي.

---

1 . محمد عبد النبى:هل كانت افريقيا عنية وديمقراطية قبل الاستعمار، ٢٠١٦. https://www.sasapost.com

٢ . أحمد ابراهيم دياب: إفريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، دراسات أفريقية، مركز الاسلام الافريقي في الخرطوم، العدد الرابع، ١٩٨٩،ص٤٩.

واستقطاب جميع شرائح المجتمع كخطوة أساسية في بناء الوحدة الوطنية لاستكمال مسيرة التنمية بأبعادها السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية[١]. لكن تجربة دولة ما بعد الاستعمار أتثبت إخفاق نموذج الحزب الواحد في تحقيق أي نجاح ملحوظ في بناء دولة مستقلة في أفريقيا بدليل تعدد الانقلابات العسكرية التي شهدتها معظم دول القارة حيث أدى تدخل الجيش إلى إلغاء وجود الأحزاب سواء الأحادية أو المتعددة، كما ظهرت الدولة الأفريقية الحديثة كنسخة من النظام الاستعماري من حيث تسلطية النظام حيث أدى سيطرة نخبة على الحكم وعدم الفصل بين الحاكم والدولة إلى شخصنة السلطة وانتشار الفساد [٢].

ويرجع السبب الاساسي في هذا الصراع الى المستعمرين البرتغال الذين قاموا بوضع بذور الحروب الأهلية والصراعات في البلاد من خلال العبث بالهيكل التقليدي للحكم في تلك المجتمعات ممثلاً في أنساق الضبط الاجتماعي لتلك المجتمعات التقليدية من خلال تغيير النمط الموجود المتمثل في الحكم القبلي والعائلي، وانتزاع الملكيات وبالتالي اختلال الطبقات وتحول الولاء من القبيلة إلى الشركة وظهور طبقات بورجوازية ورثت حكم البلاد بعد خروج الاستعمار وظلت محافظة على تبعيتها وولائها للنظام الاستعماري بدلاً من توجية ولائها لخدمة مصالح بلدانها. كما أن الزعماء المحليون كانوا يمثلون مصالح دول أجنبية في بلدانهم مبررين قمع المعارضة الشعبية بالحفاظ على الاستقرار وتنمية الاقتصاد مما أدى الى تردى الأنظمة السياسية وعدم استقرارها زد على ذلك أن المستعمرين البرتغال قاموا ببث الفوضى والروح العدائية والفُرقة بين قبائل البلاد، فلم ترحل عنها إلا بعد أن استولت على ثرواتها وتركتها فريسة النزاعات والانقسامات والعنف والصراعات حتى غدت تتحارب فيما بينها فما أن رحل المستعمر حتى نشبت الحرب الأهلية في أنجولا والتي استمرت لمدة ثلاثين عاما [٣].

وتتمثل الآثار الاجتماعية للاستعمار البرتغالي لأنجولا في إيجاد نظام الرق: ليس في أنجولا فحسب بل في كل الدول الأفريقية، فلم تكن العبودية مرتبطة بنمط الإنتاج والاقتصاد في أفريقيا.

---

١. رضوان بروسى: الديمقرطية والحكم الراشد فى أفريقيا : دراسة فى المداخل النظرية ، الآليات والعمليات ومؤشرات قياس نوعية الحكم، جامعة العقيد الحاج لخضر –باتنة، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٩.ص٢٣.

٢ . نفس المرجع،ص٢٤.

٣ . عادل زقاغ، سفيان منصورى: واقع الجريمة المنظمة في منطقة الساحل الأفريقى، مجلة العلوم الانسانية والإجتماعية، عدد ٢٦، ٢٠١٦،ص١٥٥.

وكانت أعداد العبيد محدودة قبل أن يأتي الاستعمار البرتغالي ويسوق أبناء القارة عبيداً إلى العالم الجديد الذي أكتشفه،وكان يقر فى الأذهان أن الرق إنما هو ظاهرة انفردت بها أفريقيا ولا ريب أن ما عوملت به القارة الأفريقية على امتداد قرون عديدة إنما هو مسوغ للكثيرين لأن يفكروا على هذا النحو بيد أنه يستحيل القول أن الرق ظاهرة أفريقية ذلك لأن تجارة الرقيق عرفت في شتى أرجاء العالم القديم قبل أن تعرفها أفريقيا بآماد بعيدة [١].

ظل التجار البرتغاليون يهيمنون على تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي، ويعملون إنطلاقاً من قواعدهم في منطقة الكونغو-أنجولا على طول الساحل الغربي لأفريقيا، وعلى مدى القرون الأربعة التالية، حملت السفن البرتغالية ما يُقدّر بـ ٥.٨ ملايين إفريقي للعبودية، ذهب معظمهم إلى البرازيل- المستعمرة البرتغالية حتى عام ١٨٢٢م، حقّقت هذه التجارة للبرتغال أرباحاً خيالية, وأصبحت هذه السلعة هي الأساس الذي بنت عليه البرتغال اقتصادها ورخائها, ولذلك قيل أن سبب اشتهار ميناء لشبونة في البرتغال ارتبط برواج تجارة الرقيق: كما قيل أن «لشبونة قد بُنيت على عظام الرقيق الأسود ودمائه».إلا أن تجارة الرقيق على مدار القرون الأربعة الماضية كانت لها نتائج كارثية على المستعمرات البرتغالية[٢].

وقد كانت أنجولا أكبر المستعمرات البرتغالية بمساحة تقترب من ١.٢٥ مليون كم٢ أي أنها وحدها قدر مساحة البرتغال أربعة عشر مرة وكانت عاصمتها لواندا لثلاثة قرون ونصف مصدراً لاستنزاف الرقيق إلى البرازيل وما أن صدر قانون تحرير الرقيق عام ١٨٢٦ حتى كانت البرتغال قد استنفذت أعداد كبيرة من سكان البلاد. وكان هذا سبباً أساسياً ضمن مجموعة أخرى من الأسباب المسئولة عن انخفاض عدد السكان وإهدار الموارد البشرية فقد تم إفراغ المستعمرات من شبابها، مما أدى إلى الفقر في الأيدي العاملة والإنتاج، وانهارت العديد من الإمارات الإفريقية في هذه المساحة الضخمة من ثم كانت أنجولا من أقل جهات أفريقيا المدارية كثافة سكانية حتى يومنا، وقد استحقت أنجولا بجدارة لقب «ملكة الرقيق» أو «الأم السوداء»، لكثرة ما صُدر منها من الرقيق انطلاقاً من شواطئها ومراكزها التجارية [٣].

١ . أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،ص٣٨.

٢.احمد أنداك نوح، موقع الكتروني سبق ذكره.

٣. محمد عبد الغنى سعودى:افريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،ص٥١٠.

لم يكن إلغاء تجارة الرق ليرحم سكان أنجولا من سطوة البرتغاليين حيث تم استبدال نظام الرق، بنظام السخرة وكما يقول Galvao أن أوضاع الأنجوليين تحت وطأة السخرة كانت أخطر من أوضاعهم تحت الرق حيث كان الرجل المملوك رأس مال سيده فكان يهتم بالمحافظة علية، ولكن عندما يقيد العامل بعقد فأن صاحب العمل لا يهتم بصحته الجسمانية وكانت النتيجة أن ٤٠٪ من العمال على الأقل يموتون أو يصبحون عاجزين عن العمل مما كان يدفع المرأة للعمل مع زوجها أو بدلاً منه لمرضه فتكون عرضه لانتهاكات أصحاب العمل واستغلالهم(١).

الأثار الاقتصادية للاستعمار البرتغالي لأنجولا: ارتبطت أصالة الشعوب الأفريقية بحضارتها الزراعية وخبرتها ومعرفتها الكبيرة بالزراعة وطرق الحياة الريفية لذا ارتبط العمل والنظام اليومى إرتباطاً وثيقاً بها، وتعتبر الزراعة فى أفريقيا جنوب الصحراء الحرفة الأساسية المطلقة لأكثر من ٨٠٪ من السكان، والجزء الأكبر منهم هم الذين يعيشون في المدن وغالباً ما يكون المظهر الريفي غير منظم حيث الحقول صغيرة غير منتظمة الشكل وحدودها غير محددة بدقة (٢).

وبحلول القرن الخامس عشر الميلادي كان الأفارقة قد توصلوا في شتى أنحاء القارة إلى فهم لا بأس به بالطبيعة من حولهم، وبالأخص كل ما يتعلق بالزراعة. وقد شهدت القارة قبل الاستعمار استخدام أساليب زراعية متطورة مثل: الدورة الزراعية، والتسميد الأخضر والزراعة المنتظمة للأراضي الرخوة، والزراعة المختلطة والمتنقلة لأن الأسرة كانت تنتقل من مكان لآخر اذا ما أحست بإجهاد التربة وكانت معظم الغلات غلات غذائية للإستهلاك المحلى كالدرنيات كالبطاطا والكسافا، والحبوب كالأرز والذرة الرفيعة والدخن والسمسم (٣).

وكان أهم تطور تكنولوجي شهدته أفريقيا بهذا الصدد، هو استخدام الأدوات الحديدية، بدلًا من الخشبية والحجرية، وهو ما فتح الباب أمام ظهور مهارات جديدة في الزراعة، كزراعة الحبوب وصنع الفخار.

---

١ . دين محمد عبد الله السنوسى: دور الشعوب الإفريقية فى تعزيز السلام والامن.
http://www.qiraatafrican.com/home/new

٢ . .الموسوعة الأفريقية،الجغرافيا:جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، المجلد الأول، ١٩٩٧،ص٣٠٣.

٣ . محمد عبد الغنى سعودى:مرجع سبق ذكره،ص١٩٤.

وجدير بالذكر أنه حين جاء المستعمرون الأوروبيون الأوائل إلى أفريقيا، سخروا للغاية من طقوس الزراعة الأفريقية المتمثلة في التعامل مع الأراضي بالحرق والعزق الخفيف، وعندما قرروا أن يتخلوا عن تلك التقنيات، وقاموا بتقليب الطبقة العليا من التربة كانت النتيجة في منتهى السوء، فالتقنيات الأفريقية كانت الأكثر ملائمة، واستجابة لحقائق الطبيعة. وقد نشأت بعد الحرب العالمية موجة من الركود الاقتصادي الأمر الذي جعل الوطنيين الأفارقة يتذمرون ويشكون من أن اقتصاد بلدانهم لا ينمو إلا موافاة لحاجة المستعمر(١).

ومنذ الاستقلال تعرضت أنجولا لنكسات اجتماعية – اقتصادية، بسبب السياسة الاستعمارية الظلمة، وأصبح الاقتصاد أكثر سوءً بعد عام ١٩٩٢، بسبب الحرب الأهلية التي أدت للإضرار بالبيئة، وانخفاض المستوى التعليمي للسكان، وتدمير الهياكل الأساسية كشبكات المياه والصرف الصحي، تدهور مستوى المدارس، وانخفاض نوعية الرعاية المقدمة، مما أدى إلى الهجرة الكثيفة إلى المراكز الحضرية (٢).

رابعاً: أثر الحقبة الاستعمارية على الأوضاع الاقتصادية للمرأة فى جمهورية أنجولا.

تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة الجوانب الاجتماعية في الحياة الاقتصادية، كما تهتم بدراسة النواحي الاقتصادية في الحياة الاجتماعية وهناك من يولى الأهمية لفهم التغير الاجتماعي إلى وسائل الإنتاج التقنية ووسائل العمل طبيعتها ودرجة تقدمها، وشكل تملكها والعلاقة بين من يمتلكها ومن يوظفها علاقات الانتاج. إن التقنية توحى أن التغير لا يتم دائما بفعل عوامل داخلية بل يمكن أن يحدث نتيجة الاحتكاك الثقافى، أو التواجد الأجنبي كما هو الحال بالنسبة للاستعمار بأشكاله، ويقوم الوضع الاقتصادي – الاجتماعي للمرأة في أفريقيا جنوب الصحراء على تقسيم الأدوار بين الجنسين وتؤدي المرأة الريفية أدواراً متعددة مع الأمومة، وتربية الأطفال، فتقوم بإنتاج السلع وأداء الخدمات كالإمداد بالمياه، الأغذية، الطاقة، أو إحضارها لأماكن تجهيز الأغذية، وأداء الأعمال المنزلية المرهقة.

---

١ https://www.sasapost.com موقع اليكترونى سبق ذكره

٢. التقاريرالدورية الأولى والثانية والثالثة مجتمعة، المقدمة من الدول الأطراف بموجب المادة ١٨ من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة ،أنجولا،ص١٠ .

وعدد لا يحصى من المهام بدون أجر، ودون أن يكون لها ما للرجل من سلطات وحقوق. فتعيش مهمشة داخل أسرتها. ويظل الدور الاقتصادي الذى تلعبه في أسرتها هو ما يرفع من قدرها ومكانتها ويجعلها أكثر ارتباطاً بالمسائل الاقتصادية ذات الصلة بالسوق غير النظامي، سواء في المناطق الريفية أو الحضرية ورغم ما تحتله المرأة البانتو من مكانة كبيرة في المجتمع بسبب قدرتها الإنجابية. فالمرأة تتمتع بوضع اجتماعي معين. ولكن يجب أن نتذكر أن الطريقة التي تعامل بها المرأة شيء، والفرص المتاحة أمامها لممارسة نشاط عام مسألة أخرى كذلك[١]. وقد اعتبرت المرأة في المجتمعات الأفريقية التقليدية الأساس في تكوين الأسرة والحفاظ عليها مما جعلها تحظى بمكانة متميزة ودور محوري في المجتمع الأفريقي، فلها يرجع الفضل في قيام المجتمع الزراعي وبناء الحضارات، فكثير من العلماء يؤكدون أن هناك علاقة متداخلة بين المرأة والأرض وإبرازها على أنها ذات طابع ديني أو غيبي، فكلما حملت المرأة الأفريقية وأنجبت طفلاً زادت خصوبة الأرض وزاد محصولها. ويختلف دور المرأة في القارة من دولة لأخرى أو من منطقة لأخرى حسب العادات والتقاليد أو التاريخ أو الثقافة أو الدين الخاص بتلك الدولة، أو المنطقة، فدور المرأة في الشمال ألأفريقي يختلف عن الشرق والغرب الأفريقي والوسط والجنوب الأفريقي، وإن كانت المرأة في مضمونها وكيانها واحدة لا تتغير. ولم تقف المرأة عند هذا الحد بل عملت على توفير الطاقة، ممثلاً فى خشب الوقود الذى يعد أكبر مصدر للطاقة في المناطق الريفية من إفريقيا، وبذلك أصبحت المرأة الإفريقية تضطلع بمسؤولية غير متكافئة عند العثور على حزم ثقيلة من حطب الوقود وحملها، فضلاً عن دورها فى توفير الماء الذي يعتبر المادة الحيوية من أجل البقاء فكان يتحتم عليها السير لمسافات طويلة للتزود بالماء[٢].

تعد المرأة الريفية في جمهورية أنجولا هي المسؤول الأول عن الأنشطة الزراعية وبما أن الأسرة الانغولية عادة ما تتألف من عدة أجيال، فقد كان للمرأة دوراً كبيراً في عملية إنتاج الأغذية ممثلاً في النشاط الزراعي والأعمال الزراعية وفي أنجولا، تصبح هذه المهام أشق بسبب الصعوبات المستوطنة في المناطق الريفية، كالحرب، الجفاف، والافتقار إلى الأدوات الزراعية المناسبة أو الحديثة، والافتقار إلى الدعم.

---

١ . سليمة بلخيرى: مرجع سبق ذكره، ص١٧٨.

2. http://africa-post.net/٢٠١٧، ٢٠. سفيان عابد:ماذا تعرف عن المرأة الافريقية

ولا يزال دور المرأة يتأثر بالعادات الاجتماعية والسمات الاقتصادية التي قد تحد من تصرفاتهم. ولا تحتسب مهام وأدوار المرأة بوصفها دخلاً للأسرة مما يجعل المرأة عرضة للعنف العائلي في حالة حدوث أي تدهور في الحالة الاقتصادية للأسرة. وغالباً ما تكون أسباب النزاع بين الزوجين بسبب عجز الدخل عن تلبية احتياجات الأسرة المعيشية وحيث أن النساء الريفيات يمثلن حوالى ٦٠ % من المجتمع الأنجولي ينبغي أن تركز خطط التنمية بالدرجة الأولى على تحسين أوضاع المرأة الريفية التي تمثل الغالبية العظمى من المجتمع[١].

وتتسم الأوضاع الإاقتصادية للمرأة الريفية بأنجولا بأنها حرجة. وتحتاج إلى كافة أنواع الدعم والموارد اللازمة للإنتاج؛ ويجب أن تبذل الجهود لتحسين الأوضاع المعيشية حيث تؤدي عدم المساواة في العلاقات بين الجنسين فى الريف والحضر إلى تعميق الفقر وزيادة التبعية بين النساء. والفقر الريفي يضعف الوسط الإجتماعي الزراعي ويضعف من تضامن المجتمعات المحلية الريفية في أنجولا. وعدم وجود الأسواق والمنتجات المصنوعة يمثل أكبر مشكلة تؤثر على المرأة الريفية اليوم. [٢] وعلاوة على ذلك يمثل النقل والاتصالات العمود الفقري لأي اقتصاد، سواء في الريف أو في الحضر ولذا فتهيئة شبكة نقل جيدة من شأنه النهوض بالنشاط الزراعي كما أن إزالة جميع الألغام الأرضية من أنجولا من شأنه أن يسمح، بإعادة تنشيط القطاع الزراعي حيث أنه سيجتذب الكثير من الاستثمار. واستناد إلى الأساس المنطقي القائل بأن أنجولا يحتمل أن تكون بلداً غنياً، نظراً لأن ٦٠ في المائة من سكانه ريفيون أكثر من نصفهم من النساء اللائي تقل أعمارهمن عن سن ١٦ سنه. كما يؤثر دور المرأة الأسرى في مؤشرات التعليم. حيث يجدن النساء أنفسهن مضطرين إلى ترك الدراسة بالمرحلة الأولية إما للعمل أو نظراً للحمل غير المرغوب فيه في كثير من الأحيان حيث يسود تزويج الأطفال فى أفريقيا جنوب الصحراء، وفى جمهورية أنجولا نجد أن معدل التسرب بين الأشخاص الذين تربو أعمارهم عن ١٠ سنوات يعد مؤشراً سلبياً لمستقبل أنجولا. حيث يكون البنات والبنين مضطرين لأداء أعمال منزلية أو لرعاية الصغار بسبب اتجاه الوالدين للعمل نظراً للانخفاض البالغ في دخل الأسرة بوجه عام حيث نجد ٦١٪ من الأسر المعيشية في خمس المدن ألأنجولية الرئيسية دون خط الفقر.

---

١. . التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة مجمعة،مرجع سبق ذكره،ص33.

٢ . نفس المرجع ،ص٦٦،٦٧.

ويساهم أيضاً فى ذلك بعد المسافة التي يقطعها الطالب لبلوغ المدرسة، وبوجه عام توضع البنات في مرتبة ثانية لأداء الدور التقليدي للأم[١].

وقد كان للتسهيلات الاقتصادية آثاراً هامة على المرأة الأنجولية. وتشير بيانات وزارة العمل لعام ١٩٩٣ إلى الاشتراك النسبي للمرأة في القطاعات المختلفة للاقتصاد. كقطاعات الإنتاج ويعرف الإنتاج بأنه: الطرق المختلفة التي يستخدمها أعضاء المجتمع للحصول على احتياجاتهم من المواد التي توجد في البيئة ويتضمن مفهوم الإنتاج مجموعة من الأنشطة تبدأ من جمع الثمار والصيد والبستنة والعمل اليدوي وعمليات التنظيم الصناعي في أرقى أشكالها، وهو أيضا ذلك النشاط الاقتصادي الذى يتدخل فيه الإنسان ليوفر ما يسد حاجاته عبر مواد وأدوات تختلف من مجتمع لآخر ومن جيل لآخر[٢].

وفي عام ١٩٩٤ اتخذت الحكومة مجموعة إجراءات لتصحيح مسار الزراعة لصالح المرأة الريفية. تمثلت فى مشاريع تربية الدواجن في أقفاص بدائية، وإقامة مشاتل زراعية لأشجار الفواكه، وإنتاج الطاقة من الخشب. ووصفت هذه المشاريع بأنها قصيرة الأجل وطويلة الأجل ولكن تدهور الحالة السياسية في أعقاب أول انتخابات حرة أدى إلى إرجاء كثير من هذه المشاريع[٣]. وقد بدأت المرأة الانغولية في الانخراط في القطاع الإنتاجي كالصناعة بنسب ١٧ %, التشييد، ١١ % ، التجارة النظامية ٢٥ %, الزراعة وصيد الأسماك نسبة ٢٦ %. وفي القطاعات غير المرتبطة بالإنتاج خدمات المجتمع المحلي نسبة ٢٨ %؛ التعليم والعلوم حوالي ٣٦ %؛الثقافة والفنون ٤٩ %، الإدارة العامة ٢٩ %؛ وفي خدمات الرعاية الصحية حوالي ٤٢ %. وتعكس هذه الأرقام تزايد اشتراك المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في هذا البلد[٤].

ومن اللافت للنظر أن القانون الرسمي المتعلق بدور المرأة في أنجولا يطبق في المناطق الحضرية ، بينما في المناطق الريفية تخضع المرأة للعلاقات الأسرية والقوانين التقليدية التي تكون ضدها ولا تعطيها الا قدراً ضئيلاً من الحرية بسبب سيادة النمط الأبوي.

---

1 https://ar.wikipedia.org/wiki

2 . https://www.unicef.org. موقع اليكترونى سبق ذكره

٣ . التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة مجمعة، مرجع سبق ذكره، ص٦٩.

4. https://www.unicef.org موقع الكتروني سبق ذكره

وقد أدت التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في أواخر الثمانينات وأوائل تسعينات القرن العشرين إلى ارتفاع معدل البطالة بين النساء بسبب خصخصة الشركات المملوكة للدولة والاستغناء عن المرأة لافتقارها إلى المؤهلات المهنية المناسبة وتخفيض العمالة النسائية مما دفع بالمرأة إلى التوجه إلى الاقتصاد غير النظامي. والعمل كبائعات في الأسواق، وفى مطاعم الوجبات الخفيفة، ودور التجميل، ومراكز الرعاية النهارية، والأنزال، والمطاعم، والفنادق بنسبة ٧٦.٨ % والعمل كخادمات في المنازل. وحيث أن المرأة مسئولة في المناطق الريفية عن نصف إنتاج الأغذية وبسبب ارتفاع تكاليف المعيشة، ومعدل التضخم، تشغل المرأة عادة وظيفتين: إلى جانب وظيفتها كأم، في أعمال عرضية لتحسين دخل الأسرة. وهذا يعني أن المرأة في أنجولا تعمل ما بين ١٥ و١٧ ساعة يومياً[١].

وتشير الإحصاءات المتعلقة بمجموعة أرباب الأعمال إلى أن المرأة تشغل الخدمات الشعبية الاجتماعية والخاصة بنسبة٢٢.٨، تجارة التجزئة وتجارة الجملة ٧٣.٣ % ولم تبلغ الزراعة وصيد الأسماك إلا ٢٤ %. وتمثلت الأنشطة التجارية للمرأة على الاقتصاد غير النظامي، حيث مثلت تجارة التجزئة نشاط تجاري تهيمن عليه المرأة في أنجولا. ويتسم العمل في المناطق الحضرية بظهور المؤسسات النظامية وغير النظامية لكلا الجنسين وتميل سوق العمل الى الأصغر سناً من أفراد الجنسين في التجارة غير النظامية كالبيع، بينما تميل الشابات إلى بيع الأغذية كالفاكهة، والمنتجات الغذائية فى المناطق القريبة من أماكن إقامتهن. ويؤدى انخفاض إنتاجية المزارع في المناطق الريفية نظراً لاستخدام مستويات منخفضة من التكنولوجيا إلى جانب عوامل أخرى في انخفاض دخل الإناث والذكور على حد سواء[٢]. ومن أكبر المشاكل التي تواجهها المرأة الحصول على عمل لائق بأجر جيد بسبب انخفاض مستوى تعليمها أو انعدامه وتشير أرقام عام ١٩٩٦ إلى أن نسبة ٤٤ % من النساء اللاتي تبلغ أعمارهن ١٩ عاما أو أكبر لم يحصلن على أي تعليم مدرسي، ونسبة ٢٣ % منهن أميات. ويتسم سوق العمل بوجود عدد كبير من الأشغال غير الجذابة والمنخفضة الأجر التي لا تسهم إلا بقدر ضئيل في دخل الأسرة المعيشية.

١ . التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة مجمعة، مرجع سبق ذكره، ص٣٠.

٢ . نفس المرجع، ص٣٥.

ويشير تحليل للبيانات بشأن مهن المرأة ومستوى تعليمها إلى أن نسبة ٦٥ % من التاجرات لم يحصلن على تعليم مدرسي على الإطلاق، يليهن أفراد الأسرة العاملون بدون أجر بنسبة ١٢ %، والقطاع غير الرسمي بنسبة ٦ %[١].

وقد قامت المرأة بتكوين جمعيات على معايير مهنية واقتصادية، وكان لظهور المنظمات النسائية أكبر الأثر في تسليط الضوء على مصالح المرأة والدفاع عنها، وتدفق النساء في القطاع غير الرسمي للاقتصاد، الذي يعني بحكم تعريفه أنهن غير مسجلات، وليس لهن موطن تجاري ثابت، ولا يدفعين ضرائب، ويتعرضن لمضايقات السلطات. ويزداد الأمر سوء بسبب مشكلة الائتمان المصرفي، برغم أنها واسعة الانتشار في جميع أنحاء المجتمع الأنجولي لافتقار المرأة إلى الضمانات التي يطلبها المقرضون[٢].

خامساً: أثر الحقبة الاستعمارية على الأوضاع الصحية للمرأة فى جمهورية أنجولا.

تفاقمت الأوضاع الصحية للمرأة الأنجولية بسبب الضغوط الملقاة على كاهلها والصراعات وتدنى مؤشرات الوضع الصحي. ولا سيما في المناطق الريفية، وبعد الاستقلال كانت هناك نسبة كبير من ذوى الاحتياجات الخاصة من النساء والرجال خلفتها الحرب التى عانت منها أنجولا لسنوات عديدة، وبرغم ارتفاع نسبتهم لم يوجد في القانون الأنجولي سند خاص بذوي الاحتياجات الخاصة، ووفقا لإحصائيات المعهد الوطني للإحصاء عام ١٩٩٦ بلغت نسبة ذوى الاحتياجات الخاصة من النساء الأنجوليات حوالى ٢.١ % وبرغم أن هذه النسبة مرتفعة فهي أدنى من معدلات الإعاقة لدى الرجال والمقدرة بنحو ٣.٧ %، وترتفع نسبة الإعاقة بين النساء الريفيات الى ٢.٥ % ، بينما تبلغ ١.٧ % بين نساء الحضر. وبسبب الضغط الذي تمارسه المنظمات المعنية بذوي الاحتياجات أخذ القطاع الحكومي خطوات إيجابية نحو تلبية احتياجاتهم[٢].

---

١ . التقارير الدورية، مرجع سبق ذكره،ص٥٢.

٢ . بروتوكول حقوق المرأة في أفريقيا الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب:الجمعية العامة لرؤساء دول وحكومات الاتحاد الأفريقي، مابوتو، موزمبيق،٢٠٠٣. ص٥٠.

3 https://www.sasapost.com موقع اليكترونى سبق ذكره.

كما تفشت الأمراض بسبب الأوضاع المعيشية غير الملائمة ورداءة المسكن ممثلاً في المنازل التقليدية المبنية بمواد محلية عبارة عن قضبان مضفرة بالأغصان ومغطاة بالجص، وسعف النخيل وأوراق الأشجار الأخرى، والسماد، وما إلى ذلك. وعدم وجود وعى صحي بضرورة تطهير المياه التي يتم الحصول عليها من الأنهار، والجداول، والينابيع، ومياه الأمطار. وافتقار المنازل التقليدية فى المناطق الريفية إلى وجود مراحيض ومن ثم يتم قضاء الحاجة في الخلاء مما يسهم في تلوث البيئة وانتشار الأمراض.

سادساً: أثر الحقبة الاستعمارية على الأوضاع الثقافية للمرأة في جمهورية أنجولا.

تمتاز الثقافة بأنها ظاهرة إنسانية ، فالإنسان هو الوحيد الذى يتمتع بالثقافة وقادر على نقلها من جيل لجيل ولذا فهى عملية مكتسبة وتختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية، وتمتاز الثقافة بقابليتها للتعديل والتغيير ورغم تعدد تعريفاتها فالسمة المشتركة بين معظم تعريفات الثقافة هي أنها تكتسب بالتعلم وبالتالي فهى ليست غريزية أو فطرية. كما يشير مفهوم التغير الثقافي إلى أي تغير يطرأ على جانب معين من جوانب الثقافة المادية وغير المادية سواء عن طريق الإضافة أو الحذف أو تعديل السمات أو المركبات الثقافية. وتتعدد أسباب التغير الثقافي نتيجة لعوامل عدة أهمها الاتصال بثقافات أخرى. وكل ثقافة مهما كان طابعها تخضع لعمليات التغير وفى المجتمعات الثابتة نسبياً أو المنعزلة عن الجماعات الأخرى يكون التغير بطيئاً، بينما يكون التغير في المجتمعات الدينامية سريعاً جداً في ميادين كثيرة مثل التكنولوجيا والعادات والاتجاهات، حتى أنه يمكن التمييز بين جيلين يعيشان في عصر واحد(١).

وتعد الثقافة الإفريقية مظهراً من مظاهر التنوع الثقافي في العالم المعاصر الذي تتعايش فيه اليوم أشكال من التراث الثقافي الذي تركته الحضارات التي ظهرت في مختلف جهات العالم وفي عصور مختلفة من التاريخ العام للإنسانية.كما أنها أكثر تجانساً بالنسبة للثقافات المتواجدة في العالم.فعلى المستوى الثقافي: قام المُستعمرين البرتغال بفرض أسلوب حياتهم على المستعمرات اعتقاداً منهم بتدني مستوى الثقافة الأنجولية قياساً إلى ثقافتهم لذا حاولوا أن يحلوا ثقافتهم الخاصة محل الثقافة المحلية(٢).

---

١ . . سليمة بلخيرى: مرجع سبق ذكره ،ص١٧٦.

2 ..https://nicesmile١.blogspot.com موقع الكترونى سبق ذكر

الإرساليات التبشيرية: تمثلت أهم التغيرات الثقافية في جمهورية أنجولا في تلك الإرساليات التي هدفت للقضاء على مفاهيم الأديان التقليدية التي سادت في أفريقيا جنوب الصحراء، ولم يعتنق المسيحية في البدء إلا الغرباء وعدد من السكان المحليين، ورغم أن أصحاب المكانة الاجتماعية من التقليديين كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الكنسية الابتدائية غير أنهم كانوا يفجعون من الانتهاكات التي يمارسها أبناؤهم ضد المعتقدات المحلية بتحريض من القساوسة والمعلمين، وتدريجياً، ومع نشاط الكنيسة في التعليم، بدا أن الرضوخ للدين الجديد صار ضرورة تمليها الرغبة في التقدم والتطور، حيث أرتبط التقدم في المدن بمستوى تعليم أبنائها وارتبط التعليم بالتبشير ومن الأشياء التي ساهمت في نشر المسيحية مراعاتها للعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الأفريقية خاصة قيم الفصل بين الذكور والإناث إذ تم الفصل بين الجنسين في القداس وقد أخذت الكنيسة خطوة أكثر تقدماً عندما قامت بالمشاركة في مراسم تنصيب الزعماء التقليديين[١]. وقد استطاعت الإرساليات التبشرية اجتذاب عدد كبير من النسوة حيث أنها كانت تقدم لهم المسكن، والرعاية، والأغذية وما يحتاجون إليه من أموال مقارنة بأوضاع غير مواتية تستغل فيها المرأة جنسياً بموافقتها أو بالإكراه فكانت الكنيسة بكل ما تقدمه من خدمات تمثل المنقذ لتلك النسوة في ظل أوضاع إنسانية شديدة الردائة والسوء ثم بدأ المد التبشيري بعد ذلك بإدماج النساء الانجوليات في عمليات التنصير مستغلين كونهن من أفراد المجتمع وأكثر دراية بثقافته وبطرق الإقناع التي تتسق مع تلك الثقافة.

الحركة النسوية السوداء: من الأشياء التي اجتذبت المرأة وسعت للأنخراط فيها رغم أن مصطلح "النسوية"، women's studies محفوف بالنزاعات، إلا أنه قد اكتسب رواجاً كبيراً في بعض البلدان الأفريقية جنوب الصحراء مقارنة بغيره من المصطلحات. ويعد المصطلح الأكثر حيادية دراسات الجندرgender studies ويعني أن موضوع هذه الدراسات يشمل الطرف الذي يرتكب القهر ضد الآخر بناء على نوعه الذكر، والضحية التي يقع عليها هذا القهر بناء على نوعها الأنثى وقد حل مصطلح النوع منذ الثمانينات محل مصطلح الجنس الذى يقوم على أسس بيولوجية ليشير إلى التنميط الاجتماعي والثقافي والسيكولوجي للاختلافات بين الذكور والإناث، فالتغير من استخدام لفظ جنس إلى نوع قد يعبر عن تغير

١. بيتر.س. لويد، ترجمة شوقي جلال: أفريقيا فى عصر التحول الإجتماعى ،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٨، ١٩٨٠.

الأفكار حول أدوار وعلاقات الذكر والأنثي، أو علاقة المرأة بالرجل وفقاً لأسس ثقافية واجتماعية، وهو أيضاً مصطلح ثنائي أو مزدوج يضع الذكر مقابل الأنثى، والذكورة مقابل الأنوثه(١)، وبالتالي لاقى نموذج النوع وقبولاً واضحاً واحتل أهمية فى تغيير الأيديولوجيا الفكرية للنسوية ويعرّف معجم ويبستر النسوية « بأنها النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسياً اقتصادياً واجتماعياً، وتسعى كحركة سياسية إلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة. وتتنوع أسس تفسير التمييز النوعي بين المرأة والرجل والتى تستند جذورها إلى مختلف النظم الاجتماعية، ففي ضوء نظام الأسرة فسر البعض التمييز النوعي بإرجاعه إلى نظم الزواج والأسرة وارتباطه بالسلطة الأبوية ، ورأى فريق آخر أن الإسهام الإنتاجي للمرأة يؤثر على مكانتها التى تقل كلما قل هذا الإسهام. وحول النظام السياسى تنوعت التفسيرات المستمدة من هذا النظام لتشمل قيام نظام الدولة الذى اصبح معها الرجل هو الأساس في حيازة الثروة والإنتاج (٢).

وكانت من أهم ما نادت به النسوية إنهاء العنف ضد المرأة سواء داخل نطاق الأسرة أو المجتمع وبمشاركة المنظمات النسائية ووزارة شؤون الأسرة والنهوض بالمرأة. في محاولة لتخفيف درجة العنف وتثقيف أفراد المجتمع، ومؤسسات المجتمع المدني، وإنشاء آليات لحماية المرأة التي تقع ضحية للعنف.

والواقع أنه لا توجد قوانين فى جمهورية أنجولا تجرم العنف ضد المرأة. والتشريع متناقض مع مبدأ المساواة بين المواطنين. وفي حالة إساءة معاملة المرأة سواء داخل الأسرة، أو في العمل، أو في العلاقات الاجتماعية، تواجه الضحية عقبات لأن الشرطة تعامل المرأة بصورة سيئة بحجة أنه ذا حدث شيء فهو خطؤها لأنها دفعت إلى ذلك ،وهذا الموقف ناشئ عن الثقافة الأبوية (٣).

١. www.unicef.org موقع الكتروني سبق ذكره

٢. www.unicef.org موقع الكتروني سبق ذكره

٣ . على الجرباوى، عاصم خليل: النزاعات المسلحة وامن المرأة، جامعة بيرزيت، معهد ابراهيم ابو الغد للدراسات الدولية، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد(٢٠)، الطبعة الاولى،٢٠٠٨. ص١٧.

وتتعرض المرأة في أوقات السلم لأنواع عديدة من العنف الممارس ضدها من مستويات متعددة: عنف داخل العائلة كالضرب والاغتصاب، وفي المجتمع كالدعارة والعمالة القسرية ونظراً لعدم وجود تشريعات تمييزية فالدولة تتغاضى عمن يمارس العنف ضد المرأة ويعتقد الكثيرون أن هذا العنف يمتد ويتفاقم خلال وبعد النزاعات المسلحة بين الدول أو داخل الدولة وبالتالي تصبح المرأة أكثر عرضة لانتهاكات الجنود والمسلحين. مع أن الغالبية العظمى من النساء التي تتعرض لنزاع مسلح هن من المدنيات، إلا أن نسبة صغيرة منهن تنخرط فيه كمقاتلات، أي كجزء من القوات المشاركة في القتال بشكل مباشر أو ضمن وحدات الاحتياط أو المساندة والدعم. وقد تكون هذه المشاركة إرادية أو إجبارية. وعندما يقع النزاع المُسلّح فإن الرجال أول من ينخرطوا في القتال، وعلى حين غرة تجد المرأة نفسها وحيدة ومسؤولة عن تصريف كامل شؤون العائلة دون المعيل والحامي التقليدي، وبالتالي تقع على المرأة فجأة مسؤولية جسيمة لا تكون في أغلب الأحيان مستعدة لها، ولكن تصبح مضطرة اليها، وهي توفير الإعالة والحماية لعائلتها في ظروف استثنائية ومضطربة[١].

وقد أعتبر القوميون والإسلاميون بل والاشتراكيون الدراسات النسائية والنسوية جزء من المكائد التي تستخدمها القوى الغربية للتحكم في المجتمعات الأفريقية. وقد استغرق قبول فكرة الدراسات النسائية عدة عقود سواء على المستوى الأكاديمي أو العام. فحتى الآن لا يمكن قياس نجاح الحركة النسائية إلا على مستوى قبول سكان الحضر لها، فهي ما زالت ظاهرة تنحصر في المدن إلى حد بعيد. أما في المناطق الريفية، فما زالت قواعد العرف والأشكال البدائية للنظام الأبوي الإسلامي سائدة دون أن تلقى معارضة أو مقاومة تذكر وفي العقدين الأخيرين من القرن العشرين حدث تطور إيجابي فاق جميع ما سبقه، إذ عكف عدد كبير من العلماء الأفارقة على دراسة مجتمعاتهم بأنفسهم، وفحص أحوال النساء في عدة فروع، منها دراسات الجندر والدراسات السياسية والاجتماعية والأدبية والأنثروبولوجية، وقد حدثت عدة مبادرات مسئولة عن إلقاء الأضواء على النساء في البلدان الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى. فقد نظم العقد الدولي للنساء التابع للأمم المتحدة مؤتمره الختامي في عام ١٩٨٥ في العاصمة الكينية نيروبي وأتاح مؤتمر نيروبي إظهار معاناة النساء الأفريقيات ونضالهن، ورفع الوعي باحتياجاتهن.

---

١ . نفس المرجع ص٢٨.

كما بدأت المعونات الدولية في استهداف النساء من خلال زيادة تمويل البرامج التنموية التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية، والجمعيات الدينية الخيرية، ومؤسسات المجتمع المدني. كما كان أنتشار فيرس نقص المناعة كوباء يهدد حياة ملايين الأفارقة سبباً في زيادة الاهتمام بالنساء الأفريقيات[١]

وعلى المستوى الثقافي المحلى برزت المرأة الأنجولية بشكل كبير في الحياة الثقافية ولا سيما فنون الموسيقى، والرقص، والمسرح. وقد أبدى النسوة الأنجوليات ذات الخلفية الأكاديمية والمستوى التعليمي الرفيع اهتماماً بالحياة الثقافية والتراث الثقافي لأنجولا. وقد نال هذا البلد مكانا بارزاً نتيجة مفكريه الذين قاموا بتوعية المجتمع بحقوقه وواجباته المدنية وحرصوا على إرساء المبادئ الأخلاقية ونظم الضبط الاجتماعي بالمجتمع الأنجولى. باستثناء جيل الشباب الذى اتجه بشدة صوب ثقافات أخري واكتساب قيم أجنبية غريبة عن القيم المحلية. والعادات والتقاليد التي لا تمت بصلة للعادات والتقاليد الأنجولية. والتخلي عن الزى التقليدي الرسمي سواء للإناث أو الذكور من الشباب ليحل محله الملابس الاوربية، وقد أسهم في ذلك عدم قيام المدارس بدورها في التوعية بأهمية احترام الثقافة المحلية بسبب ارتفاع نسبة التسرب الدراسي[٢].

١. عبد الله تركمانى:العنف الجنسي والقائم على نوع الجنس واستراتيجيات منعه،الحوار المتمدن،العدد(٢٩٣٣)،٢٠١٠ .
٢https://www.unicef.org موقع الكتروني سبق ذكره.

الخاتمة

رحل الاستعمار البرتغالي عن جمهورية أنجولا تاركاً خلفه أزمات اقتصادية واجتماعية وسياسية بالمجتمع الأنجولي بانتماءاته العرقية، اللغوية والثقافية المختلفة، ونظراً لمكانه المرأة في المجتمع الأنجولى ودورها المحوري في تأمين الغذاء والاحتياجات المعيشية لأسرتها كان عليها البحث عن مجالات عمل أخرى غير العمل بالزراعة التي استولى المستعمر على كل عوائدها وترك الأراضي الزراعية جرداء إلا من الألغام الأرضية، وفى ظل افتقار المرأة الأنجولية إلى الشهادات اللازمة لسوق العمل انخرطت فى مهن بسيطة لم تكن تدر لها سوي اليسير من الدخل نظراً لافتقارها إلى المؤهلات المهنية المناسبة مما دفع بالمرأة إلى التوجه إلى الاقتصاد غير النظامي والعمل كبائعات في الأسواق، والمطاعم ، والعمل كخادمات بالمنازل والجمع بين أكثر من عمل دون الحصول على أجر عادل يحقق لها شيء من الاستقرار المادي. والواقع أن تلك التحديات التي تواجهها المرأة في جمهورية أنجولا جزء لا يتجزأ من التحديات التي تواجهها القارة الأفريقية في مجال التنمية كمكافحة الفقر والجوع وخفض معدلات وفيات الأطفال، تحسين صحة الأمهات، مكافحة مرض نقص المناعة والإيدز والملاريا وغيرها من الأمراض. كما تواجه تحديات تحقيق الديمقراطية والحكم الراشد والقضاء على الصراعات المحلية المسلحة، وإرساء قواعد السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان، بما في ذلك توسيع المشاركة الشعبية للمرأة في عملية صنع القرارات.

وقد اتجهت السياسات العامة الاجتماعية منها والاقتصادية في أنجولا نحو إعلاء مكانة المرأة وإشراكها في عملية التنمية، وإزالة كل العوائق التي تحول دون المشاركة الكاملة للمرأة في عملية التنمية والمشاركة في أعمال الإدارة والتجارة. وقد تمكنت المرأة من التحرر الاقتصادي من خلال منظمات المجتمع المدني والمشروعات القومية التي دفعت بها في مشروعات زراعية وتجارية مختلفة، كما سيطرت النساء على الأسواق الريفية والتجارة المحلية ولا تزال المرأة في احتياج للكثير من الدعم من المجتمع حتى تصل لمكانتها الحقيقية ولن تصل المرأة لمكانتها الحقيقية إلا بإصلاح العملية التعليمية التي تبدأ بالمرحلة الإبتدائية حتى تواكب التغيرات العالمية ولن تستطيع المرأة الانخراط في مجال التعليم الا بوضع معايير ومرجعيات اجتماعية وثقافية تمنع الممارسات التمييزية بين الجنسين وتسعى لتعليم الفتيات حتى يتمكنن من الحصول على عمل لائق بهن وبمستواهن التعليمي ولا يقعن فريسة للأعمال الهامشية التي تجعلها طريدة للسلطات ولن يتم ذلك الا بتيسير عملية الضمانات التي يطلبها المقرضون من المرأة وحل مشكلة الائتمان المصرفي، للنساء التى لم تحظى بقدر من التعليم حتي يتمتعن بوضع اقتصادي أكثر امنا واستقراراً.

قائمة المراجع

١.https://nicesmile١.blogspot.com. (مكتبة المعرفة١٦/٤/٢٠١٤)

٢. نفس الموقع الالكتروني.

٣. أحمد أنداك نوح: الاحتلال البرتغالي لإفريقيا، آثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، قراءات افريقية، 28/يناير/٢٠١٩.

٤.https://www.qiraatafrican.com.

٥.https://www.wikapidia.com.

٦.سليمة بلخيرى: زيارة دراسية لميادين الأنثروبولوجيا العربية ، واقع وآفاق، الجزائر ، جامعة محمد خضير بسكرة، مجلة التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة، العدد الثالث ،ص٢٧.

٧.. https://www.sasapost.com.

محمد عبد النبي: هل كانت افريقيا عنية وديمقراطية قبل الاستعمار،٢٠١٦.

٨.أحمد ابراهيم دياب: إفريقيا بين المفاهيم الحضارية والممارسات العنصرية، دراسات أفريقية، مركز الاسلام الافريقي في الخرطوم، العدد الرابع، ١٩٨٩،ص٤٩.

٩. نفس المرجع،ص٢٤.

١٠.عادل زقاغ، سفيان منصوري: واقع الجريمة المنظمة في منطقة الساحل الأفريقي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد ٢٦، ٢٠١٦،ص١٥٥.

١١. .أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،ص٣٨.

١٢. أحمد أنداك نوح: موقع اليكتروني سبق ذكره.

١٣. محمد عبد الغنى سعودي: افريقية، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،ص٥١٠.

١٤. دين محمد عبد الله السنوسي: دور الشعوب الإفريقية فى تعزيز السلام والامن.
http://www.qiraatafrican.com/home/new.

١٥. .الموسوعة الأفريقية، الجغرافيا: جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، المجلد الأول، ١٩٩٧،ص٣٠٣.

١٦. محمد عبد الغنى سعودي: مرجع سبق ذكره،ص٥١٦.

موقع الكتروني سبق ذكره https://www.sasapost.com ١٧.
١٨. التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة مجتمعة، المقدمة من الدول الأطراف بموجب المادة ١٨ من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة انجولا،ص١٠.
١٩. سليمة بلخيرى: مرجع سبق ذكره ، ص١٧٨.
٢٠. سفيان عابد:ماذا تعرف عن المرأة الافريقية، ٢٠١٧ http://africa-post.net
٢١. التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة مجمعة،مرجع سبق ذكره،ص33.
٢٢. نفس المصدر،ص٦٩،٦٧.
٢٣. https://ar.wikipedia.org/wiki.
٢٤.https://www.unicef.org/arabic/har٠٧/index_٣٧٥٤٣.htm.
٢٥. التقارير الدورية الأولى والثانية والثالثة، سبق ذكره، ص٦٩.
٢٦.https://www.unicef.org. موقع الكتروني سبق ذكره
٢٧.التقارير الدورية، سبق ذكره، ص٣٠.
٢٨. نفس المصدر، ص٣٥.
٢٩. نفس المصدر،ص٥٢.
٣٠. بروتوكول حقوق المرأة في أفريقيا الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب:الجمعية العامة لرؤساء دول وحكومات الأتحاد الأفريقي، مابوتو، موزمبيق،٢٠٠٣. ص٥٠.
٣١.https://www.sasapost.co. موقع الكترونى سبق ذكره.
٣٢.سليمة بلخيرى: مرجع سبق ذكره ،ص١٧٦.
٣٣.https://nicesmile١.blogspot.com موقع الكترونى سبق ذكره.
٣٤.بيتر.س. لويد،ترجمة شوقي جلال: أفريقيا فى عصر التحول الإجتماعى ،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم ٢٨، ١٩٨٠.
٣٥. www.unicef.org موقع الكترونى سبق ذكره
٣٦.على الجرباوى،عاصم خليل:النزاعات المسلحة وامن المرأة،جامعة بيرزيت،معهد ابراهيم ابو الغد للدراسات الدولية، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد(٢٠)، الطبعة الاولى،٢٠٠٨. ص١٧.

٣٧. نفس المرجع ص٢٨.

٣٨.عبد الله تركمانى:العنف الجنسي والقائم على نوع الجنس واستراتيجيات منعه،الحوار المتمدن ،العدد(٢٩٣٣)،٢٠١٠ .

٣٩.www.unicef.org موقع الكترونى سبق ذكره

دور اللغة العربية في نشر الإسلام في زنجبار

د. سيد رشاد قرني محمد
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة جمهورية مصر العربية

أ.د. محمد علي محمد نوفل
كلية الدراسات الإفريقية العليا
جامعة القاهرة جمهورية مصر العربية

مستخلص

يتناول هذا البحث موضوع دور اللغة العربية في نشر الإسلام في جزيرة زنجبار الواقعة في شرق إفريقيا. يبدأ البحث بعرض لتاريخ منطقة شرق إفريقيا وكيف عرف العرب طريقهم إليها منذ عصور موغلة في القدم عن طريق الرحلات الاستكشافية والعلاقات التجارية، وكيف مهد ذلك الطريق لانتشار الإسلام بعد ظهوره في شبه الجزيرة العربية وبداية دخوله القارة الإفريقية، ثم ينتقل البحث لبيان دور اللغة العربية في نشر الإسلام والثقافة العربية في زنجبار وكيف أثرت اللغة العربية في اللغة السواحيلية في زنجبار مما ساعد على انتشار العربية والإسلام في الجزيرة. وينتيه البحث بخاتمة تبرز أهم ما تم التوصل إليه من نتائج.

كلمات مفتاحية: اللغة – العربية – الإسلام – الثقافة – العلاقات– زنجبار – السواحيلية.

Abstract

This paper deals with the topic of the role of the Arabic in spreading Islam at the east African island of Zanzibar. The paper begins with a presentation of the history of the East African region and how the Arabs knew their way to that place since ancient times through exploratory trips, commercial relations, and how that path paved the way for the spread of Islam after its emergence in the Arabian Peninsula, and the beginning of Islam spreading in the African continent, then the paper moves to explain the role of the Arabic in spreading Islam and Arab culture in Zanzibar and impact of Arabic on Swahili in Zanzibar, which helped the spread of both Arabic and Islam in the island. The paper ends with a conclusion highlighting the most important results reached.

Key Words: -Arabic - Islam - culture - Zanzibar – impact - Swahili.

مقدمة

تذكر المصادر التاريخية أن ساحل شرق إفريقيا* عُرف منذ حوالي أربعة آلاف سنة؛ حيث إن هذه المنطقة تقع في نطاق الحضارات القديمة، ومن ثم فقد أرسل المصريون القدماء سفنهم وأساطيلهم التجارية إليها عبر البحر الأحمر، وتؤكد الآثار المصرية أن السفن المصرية قد وصلت إلى ساحل شرق إفريقيا منذ عهد الأسرة الخامسة (٢٥٦٠-٢٤٢٠ ق.م)، في عهد ساحورع، وقد أكدت عمق هذه الصلات ما سجل على الآثار المصرية، لرحلة الحملة المصرية التي أرسلتها الملكة حتشبسوت (١٤٩٠-١٣٦٩ ق.م) إلى ساحل شرق إفريقيا والتي سجلت على جدران معبدها بالدير البحري، ومن المحتمل أن تكون السفن البطلمية أول من أبحرت جنوباً حول رأس جاردافوي من أجل العاج في عهد بطليموس الثالث (٢٤٧-٢٢١ ق.م)، وفي عام ٤٥ م، لاحظ بحار روماني يدعى " هبالوس" انتظام الرياح الموسمية، وتأثيرها في الوصول إلى ساحل شرق إفريقيا، ويعتبر كتاب " دليل الملاحة في البحر الإرتيري" وثيقة هامة قديمة لبحار إغريقي مجهول ذكر فيه مؤلفه رؤيته للتجار والملاحين العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا.

وبظهور قوة الفرس البحرية في القرن الرابع ووصولهم إلى ساحل شرق إفريقيا، وبعد أن حلوا محل الأحباش في اليمن نتيجة استنجاد الأمير الحميري " سيف بن ذي يزن" بهم، نشأت منذ ذلك الحين علاقات وثيقة بين بلاد اليمن وساحل شرق إفريقيا وتحديداً منذ عام ٥٧٥م حتى الفتح العربي الإسلامي لها.[١]

ولعل أقدم إشارة إلى الوجود العربي في سواحل شرق إفريقيا ما جاء في كتاب "دليل الرحلة الدائرية" في ذكره لموقع يسمى "راباتا" **Rhapata** الذي يميل بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذا الاسم مشتق من اللفظ العربي "ربط" أي "مربط السفن". وقد ورد هذا الاسم في سياق وصف مؤلف الكتاب للسكان الموجودين حول هذا الموقع في القرن الأول الميلادي. ويتحدث المؤلف في نفس السياق عن حركة السفن الإغريقية والرومانية التي تمر على المدن التجارية في سواحل شرق إفريقيا، ويضيف أنه "كان من المألوف رؤية التجار العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا حتى "راباتا". وعلى الرغم من أن مثل هذه المعلومات القليلة لا تكفي لإعطاء فكرة متكاملة عن حجم الوجود العربي في هذه المنطقة في تلك الحقبة من الزمن، إلا أنها تشير إلى الوجود المبكر للعرب بسواحل شرق إفريقيا.

أما الهجرات العربية –المستوثق منها من خلال المخطوطات : مخطوطتي كلوا وباتي– ذات الشكل الاستيطاني والأثر الملموس فقد جرت خلال القرن السابع الميلادي، ونتج عنها بناء بعض المدن الساحلية الهامة، مثل ممبسا وزنجبار وكلوا ومالندي. ويُعد العمانيون أول من هاجر إلى المنطقة، وتبعتهم مجموعة من الشيرازيين الذين قدموا في القرن العاشر الميلادي من مدينة شيراز بإيران الحالية واستقروا في أماكن متفرقة على الساحل والجزر. وهكذا توالت هجرات العرب وغير العرب من المسلمين، وتجاوزت دوافع هذه الهجرات الحدود التجارية فأصبحت تحركها النزاعات السياسية في البلد الأم، وأصبح من الطبيعي أن تتخذ طابعاً سياسياً في بلاد المهجر أيضاً.(٢)

وفي هذا يقول توماس أرنولد إن " هجرة العرب إلى شرق إفريقية كانت على إثر نفي الزيدية أتباع زيد بن على بن الحسين بن علي سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م. في حين يرى بعض الباحثين أن استيطان العرب لشرق إفريقية امتد في العصور القديمة حتى سوفالا جنوبي نهر زمبيزي. ولاشك أنه عندما اشتد أذى قريش للرسول –عليه الصلاة والسلام– واضطهادهم للمسلمين، فكر الرسول في الهجرة إلى الحبشة، وهذا ما تم بالفعل حيث استقر بعض المسلمين في الحبشة لما لقوه من حسن استقبال النجاشي وإكرام ضيافتهم ورفضه ردهم إلى قريش.

والثابت تاريخياً أن الحبشة كان أول بلد يتقبل مهاجرين العهد الأول للإسلام فإن شرق افريقيا على نطاق امتداده قد استقبل المسلمين مهاجرين وتجاراً ورجال أعمال بأعداد ليست قليلة حول عام ٧٠٠م وذلك في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥–٨٥هـ/ ٦٨٥–٧٠٥م) وفي عهد أولاده من بعده فراراً من تعقب أمير جيوشهم الحجاج بن يوسف ٧٣–٩٥/ ٦٩٢–٧١٤م للمناوئين له. وكان من نتيجة انتشار الإسلام والمسلمين في المنطقة أن حل العرب والمسلمون محل غيرهم فى التجارة البحرية بالمنطقة اعتباراً من القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى).

ويقول المسعودي في سياق الحديث عن التجارة إن أصحاب المراكب الذين كانوا يبحرون إلى أفريقيا الشرقية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كانوا عرباً، ووصلوا حتى ميناء سفالة في موزمبيق كان آنذاك مرفأ لتجارة الذهب القادمة من داخل البلاد. وكانت السلع التي تسعى المراكب لجلبها هي الذهب والعاج والأخشاب والتوابل والعنبر.

واستمر الحال هكذا حتى سقوط بغداد في يد الغزاة المنغوليين عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م مما أدى مرة أخرى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى بلدان سواحل شرق القارة. ومع ازياد أعدادهم ازدادت أهمية موانئ جنوب الجزيرة العربية لموقعها الاستراتيجي بالنسبة لحركة السفن فيما بينها وبين أفريقيا.(٣)

وكان الاستقرار العربي السلمي في المناطق الداخلية في بلاد الحبشة على هذا النحو أثر كبير في قيام العلاقات الودية بينهم وبين السكان المحليين، ونتج عن ذلك أنهم ارتبطوا معاً برباط المصاهرة، فظهر جيل جديد كان عماد المراكز والإمارات والسلطنات الإسلامية في الحبشة، تلك المراكز والسلطنات التي ارتبطت بالعرب ارتباطاً وثيقاً تمثل في الدين واللغة، ثم في رابطة الدم أيضاً، ومن أمثلة هذه السلطنات سلطنة (شوا) الإسلامية التي قامت فى قلب هضبة الحبشة في منطقة شوا في عام ٢٨٣هـ/٨٩٦م على يد أسرة عربية من بنى مخزوم وكانت هذه الأسرة قديمة العهد بهذا المكان منذ أن هاجر إليه ود بن هشام المخزومي في عهد عمر بن الخطاب كما أشرنا من قبل .

كما نتج عن هجرة عربية أخرى من بنى عبد الدار أو من بنى عقيل بن أبى طالب نشأة سلطنة إسلامية أخرى تسمى سلطنة "أوفات" الإسلامية التي قامت حوالي منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادي، وامتد نفوذها على منطقة السهول الساحلية والمناطق الداخلية وضمت إليها سلطنة " شوا " السابق الإشارة إليها، كما ضمت إليها ممالك إسلامية أخرى كانت أقل منها قوة ونفوذا، وبذلك أصبح لسلطنة أوفات مركز الزعامة الإسلامية فى بلاد الزيلع والحبشة، مما مكنها من الصمود أمام الأحباش، كما مكنها من العمل على نشر الإسلام سواء بين الأحباش أو الزيالعة.

ونتج عن ذلك أن توغل المسلمون في هضبة الحبشة داخل المملكة الحبشة المسيحية نفسها قبل القرن الرابع الهجري ونشروا الإسلام في شمال الحبشة بين الأحباش فى مقاطعة التيجري.

وفى بداية القرن الرابع عشر للميلاد وصل إلى شمال الحبشة أعنف هجرة الا وهي هجرة عرب جهينة التي وفدت على بلاد البجة والحبشة في ذلك الحين "وزاحموا الحبشة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها"، واستقروا افيها، مما كان له أثره في نشر الإسلام في هذه المناطق. (٤)

استمرت هجرات المسلمين بعد ذلك تتدفق على شرقي القارة الإفريقية، حيث وفدت جماعة من منطقة البحرين إلى الخليج الفارسي فراراً من ملك الأحساء وشيدوا " مقديشو" على ساحل المحيط الهندي ببلاد الصومال. ثم هاجرت جماعة أخرى في الخليج الفارسي بزعامة أحد أبناء سلاطين شيراز، وكانت أمة حبشية، فراراً من سوء معاملة إخوته له. وقد ذهبت هذه الجماعة إلى زنجبار، وأسست مدينة " كِلوا "، التي تقع في بلاد تنجانيقا حالياً. ومن هنا بدأت تظهر مدن عربية بطول الساحل الشرقي لإفريقية يشيدها القادمون من جنوب بلاد العرب إلى ساحل إفريقيا الشرقي.(٥)

انتشار الإسلام في زنجبار

لقد دخل الإسلام في زنجبار في القرن السابع الميلادي /الأول الهجري، وذلك بفضل أبناء عباد بن الجلندي، الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا بعد خسران ثورتهم قاموا بها ضد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وذلك في عام ٦٩٥م، (٦٥هـ). ثم بعد ذلك أتى إلى زنجبار وفود إسلامية كثيرة ، منها وفد الزيديين في عام ٧٣٩م ، ووفد النبهانيين في عام ١٢٠٤م . ومن ١٦٩٧م زادت الهجرات من جنوب الجزيرة العربية قام بها اليعربيون العمانيون والبوسعيديون الذين كان لهم الولاية والسيادة في ساحل شرق إفريقيا.

وعندما نقل السطان سعيد العاصمة العمانية إلى زنجبار عام ١٨٣٢م بلغت هذه الهجرات ذروتها حيث كان يأتي إلى زنجبار أفواج من المسلمين. غرس هؤلاء جميعاً نواة الإسلام إيماناً وثقافة في قلوب الزنجباريين الأفريقيين الذين كانوا يدينون بالوثنية، فنبتت النواة بإذن الله نباتاً حسناً وترامت فروعه إلى أطراف زنجبار كلها، بل وما حولها، فكانت ثمار ذلك أن وصلت نسبة المسلمين إلى ٩٩٪. وعاش الناس فيها مسلمين متعاونين متحابين مع اختلافهم أصلاً ولوناً ومذهباً. فقد كان فيهم إفريقي بانتوي، وعربي خليجي وحضرمي وعماني، وفارسي وشيرازي، وكان منهم خليط الدم مزيج اللون، بين هذا وذاك، كما كان فيهم كذلك أقوام أخر من شبه القارة الهندية ومن الشرق الأقصى ومن الصومال.

كوّن هؤلاء جميعاً جيلاً جديداً، رضي بالإسلام ديناً وبالتعليمات المحمدية معاملة وخلقاً. ساد فيما بينهم التسامح المذهبي فلم يكن شافعي يتعالى على حنفي، ولا سني على إباضي أو شيعي، بل حتى الأقلية المسيحية والوثنية عاشت جنباً إلى جنب مع الأغلبية المسلمة تحت مظلة التعاطف والتسامح والإنصاف.

ولقد انتشر الإسلام في الجزيرة كلها عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقاً ولغة. دخل الناس في الإسلام أفواجاً ، وبنو المساجد وخلاوي القرآن كمراكز ثقافة، فكان أثر ذلك أن يصبح المجتمع الزنجباري مثالياً في معاملة إسلامية وأخلاق كريمة . ساد فيهم الإحسان والصدق والعدل والأخوة. فإذا جاء رمضان مثلاً تجد الناس جميعاً يفطرون جماعات في المدن والقرى خارج البيوت ليلتحق بهم أبناء السبيل.(٦)

أثر اللغة العربية في نشر الإسلام

لقد كان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية؛ حيث سارت العربية مع الإسلام جنبا إلى جنب، وحلقت معه أينما حل وحيثما ارتحل، كما كان للهجرات العربية لإفريقيا دور في نشر اللغة العربية، كذلك كان للتجار وللطرق الصوفية وللدعاة وللمعلمين جهود صادقة في نشر الإسلام واللغة العربية في إفريقيا.(٧)

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية لغة أصلية في قارة إفريقيا تتكلمها شعوب وقبائل إفريقية كلغة أم لا كلغة ثانية أو أجنبية، ليس ذلك في شمال إفريقيا وحسب ، بل في وسطها وغربها وشرقها ، وهذا وضع لا تتمتع به أي من اللغات الأوربية المختلفة التي تتبوأ مجال اللغات الرسمية في عدد معتبر من الأقطار الإفريقية اليوم.(٨)

فالثابت تاريخياً أن الوجود العربي في إفريقيا بصفة عامة قديم وعميق الجذور، وله أثر كبير على لغات إفريقيا وثقافاتها، والثابت تاريخياً أن اللغة العربية في إفريقيا قديمة وأصيلة؛ فقد عرفت اللغة العربية في بعض أجزاء إفريقيا الشمالية والشرقية قبل الفتح الإسلامي بسبب المجاورة والقوافل التجارية التي كانت تنطلق من شمال الجزيرة العربية قاصدة شمال وغرب إفريقيا عبر اليابس قبل حفر قناة السويس. كما كان للغة العربية وجود في السواحل الشرقية لإفريقيا قبل الإسلام بسبب الملاحة التي كان يمارسها العرب في المحيط الهندي وخليج عدن منتشرين على سواحل شرق إفريقيا. كما كانت الظروف السياسية في الجزيرة العربية تلفظ بعض مجموعات من العرب إلى شرق إفريقيا إثر النزاعات التي كانت تنشب بين الجماعات العربية في الجزيرة العربية. بل الأمر أبعد من ذلك، إذ يرى بعض علماء اللغات أن الموطن الاول للغة السامية– ام اللغة العربية– هو إفريقيا، وأن اللغات السامية من عربية وعبرية وآرامية وغيرها قد انتقلت من إفريقيا إلى الجزيرة العربية عن طريق بابا المندب(٩).

ومما يؤكد أصالة اللغة العربية في إفريقيا اعتراف بعض اللغويين الغربيين بذلك، لدرجة أنهم يرون أن اللغة العربية واحدة من اللغات الإفريقية الأصيلة. ومن هؤلاء اللغوي الأمريكي جوزيف جرينبيرج، الذي صنف اللغات الإفريقية إلى أربع أسر رئيسية، وأدرج اللغة العربية ضمن واحدة من هذه الأسر وهي أسرة اللغات الأفروآسيوية، حيث صنفها ضمن مجموعة اللغات السامية التي تضم اللغات: العربية والأمهرية والعبرية ...إلخ (١٠).

ورغم أن وجود اللغة العربية في القارة الإفريقية يعود لأزمان قديمة، فإن الوجود ذا الأثر الكبير في اللغات والثقافات الإفريقية قد تشكل تماماً بعد الانتشار الواسع للإسلام في الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن التاسع عشر الميلاديين. فقد تدفقت جموع المسلمين إلى شمال إفريقيا وغربها وشرقها، ناشرة الإسلام بين سكان القارة في ألفة وأمن عظيمين. وبذلك قامت الممالك والسلطنات العربية الإسلامية في شتى أجزاء إفريقيا، الشمالية والغربية والشرقية، فهناك المرابطون، وممالك غانا ومالي، وصنهاجة، وكانم- برنو، وسكتو وغيرها. فأُنشئت الخلاوي القرآنية والمساجد والزوايا والأربطة والمعاهد الدينية في كل من الأزهر والزيتون وغيرهما بل ظهرت مركز عربية إسلامية نشطة منها: تمبكتو وجني وجاوا.(١١)

وعن انتشار اللغة العربية في أجزاء واسعة من إفريقيا يقول توماس أرونولد :" لقد غدت اللغة العربية لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة الإفريقية". هكذا سادت اللغة العربية لتصبح لغة للتخاطب والتدوين والمراسلات الرسمية للممالك الإسلامية في أنحاء شتى من القارة الإفريقية، ويتحدث بها السلاطين من أبناء إفريقيا، ثم انتهى الأمر إلى قيام سبع دول عربية في إفريقيا، لغة سكانها الأولى هي اللغة العربية وهل دول: مصر، وتونس، وليبيا، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، والسودان. فسكان هذه الدول السبع يشكلون النسبة الكبرى لمتحدثي اللغة العربية في العالم العربي، وهم في الوقت نفسي يشكلون ٢٣٪ من سكان إفريقيا. كما أن هناك نسبة من سكان إفريقيا يتحدثون اللغة العربية لغة ثانية في كل من : تشاد وإريتريا والصومال والنيجر ومالي وشرق نيجيريا وغيرهما من أجزاء إفريقيا. وهؤلاء يشكلون نسبة ١٠٪ من سكان إفريقيا. الأمر الذي يعني أن ثلث سكان إفريقيا يتحدثون اللغة العربية. والمعروف أن إفريقيا هي قارة الإسلام الأولى، إذ أنها القارة الوحيدة بين قارات العالم التي يشكل المسلمون فيها أكثر من ٥٠٪ من إجمالي السكان.(١٢)

أثر اللغة العربية في اللغات الإفريقية

تجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية قد غزت– إذا جاز لنا التعبير– اللغات الإفريقية في وقت كانت فيه اللغة العربية لغة فوقية ذات سيادة وهيمنة. فاللغة العربية هي لغة حضارة وثقافة عالية في الماضي وفي الحاضر أيضاً. لقد كُتبت بالغة العربية آلاف مؤلفة من الكتب والرسائل والمخطوطات والمواثيق والعهود، وتضمنت هذه اللغة حضارات الفرس والرومان ثم الحضارة الإسلامية بكل ما تحوي من جديد في اللفظ والتعبير والدلالة. لقد دخلت اللغة العربية على اللغات الإفريقية وهى بهذا الثقل الحضاري والدلالات الحديثة، لتصبح بمثابة المركز المغناطيسي الذي انجذبت نحوه اللغات الإفريقية. لقد أثرت اللغة العربية في تلك اللغات حيث أمدتها بأصوات وألفاظ ودلالات جديدة بل تراكيب لم تكن مألوفة من قبل في اللغات الإفريقية(١٣).

ولقد تركت اللغة العربية أثراً ظاهراً وملموساً في اللغات المحلية المنتشرة في القارة الإفريقية، وتشير الإحصاءات إلى أن هناك حوالي ثلاثين لغة إفريقية كتبت بالخط العربي عبر القرون بعضها من كبريات اللغات التي يتحدثها عشرات الملايين ومن هذه اللغات:

- لغة الهوسا، ويتحدث بها في نيجيريا والنيجر والكاميرون والسودان...إلخ.
- اللغة السواحيلية، وهي منتشرة في تنزانيا وكينيا وأوغندا...
- اللغة الفولانية بلهجاتها المختلفة، وهي منتشرة في المنطقة الممتدة من السودان إلى السنغال.
- لغة الماندينكا بلهجاتها المختلفة، وهي منتشرة في سيراليون وغانا وليبريا وفولتا العليا.
- لغة السوننكي، وهى موجودة في مالي وموريتانيا وجامبيا.
- لغة الولوف، وهي موجودة في السنغال وجمبيا... إلى غير ذلك من اللغات. (٤)

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأمر لم يتوقف عند إلمام مسلمي إفريقيا باللغة العربية على القيام بالشعائر الدينية، أو إتقان بعضهم لقواعد العربية وعلومها، بل انتشرت العربية في كثير من الأقطار الإفريقية، حتى إنها استخدمت كلغة تواصل مشتركة بين القوميات المختلفة القاطنة في هذه الدول، كما استخدمت كلغة للتعليم وللثقافة وللأدب، وظهرت الكتب والمصنفات التي وضعها كثير من العلماء الأفارقة المسلمين باللغة العربية في شتى مجالات العلم؛ وخاصة العلوم اللغوية والشرعية، كذلك دونت عشرات من اللغات الإفريقية بالحرف العربي، بل والأكثر

من ذلك أن العربية استخدمت كلغة للإدارة والحكم في كثير من الدول الإفريقية، فوُضِعت بها المراسيم، وصيغت بها القوانين، وصارت لغة المراسلات والمكاتبات الحكومية.(١٥)

تأثير اللغة العربية في لغات شرق إفريقيا

كان عرب شبه الجزيرة العربية بوجه عام وعرب اليمن وحضرموت وعمان على وجه الخصوص هم أول من عرف منطقة شرق أفريقيا قبل غيرهم من الأمم الأخرى وحتى قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، فقد استطاع العرب– ومن خلال رحلاتهم البحرية – أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقى الإفريقي من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً وحتى موزمبيق ومدغشقر جنوباً. وكان التبادل التجاري وتسويق منتجات المنطقة في الأسواق الخارجية حين ذاك مثل بلاد الشام والهند هو الأساس الحقيقي لترسيخ الاتصال العربي الإفريقي، وهو ما دفع بالعرب إلى الاستقرار فى مناطق الساحل الشرقي الإفريقي حيث أصبحت لهم تجارة مزدهرة وكونوا إمارات شهد بتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب، وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على استقرار العرب ودعم تجارتهم من أهمها:

١. القرب المكاني فيما بين المناطق المطلة على ساحل المحيط الهندي من كلا الجانبين العربي والإفريقي، وأيضاً الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي الإفريقي.

٢. المناخ الجغرافي والمتمثل في نظام الرياح الموسمي المنتظم والذى ساعد على سهولة الملاحة البحرية بين سواحل شبه الجزيرة العربية المطلة على ساحل المحيط الهندي وبين سواحل شرق أفريقيا، فكانت هناك رحلات منتظمة ينظمها العرب بحسب المواسم المعروفة لديهم تذهب بهم خلال فصل الشتاء إلى الساحل الشرقي الإفريقي وتعود بهم مرة أخرى إلى بلادهم خلال فصل الصيف.

٣. ظهور الإسلام وهجرة أفواج متتالية من المسلمين إلى بلاد الحبشة والساحل الإفريقي فراراً بدينهم.

اللغة العربية في زنجبار

لقد انتشرت اللغة العربية في زنجبار بسرعة على مستوى الأصوات والكلمات وأخيراً على مستوى الحروف الأبجدية ، ذلك لأن اللغة السواحيلية كتبت لأول مرة بحروف عربية.

لقد بدأ انتشار اللغة العربية في فترة قبل الإسلام، يقول الدكتور بابكر قدرماري: " اتخذت اللغة العربية طريقها في وقت مبكر قبل ظهور الإسلام ، وذلك بحكم العلاقات التجارية بين العرب وإفريقيا ". ثم جاء الانتشار الواسع لهذه اللغة بعد انتشار الإسلام. فالوازع الديني كان وراء اندفاع المسلم لمعرفة هذه اللغة حيث إن الجوانب التعبدية والنواحي الثقافية الدينية تحتّم عليه معرفة شئ من اللغة العربية بصورة أولية. فبها يقرأ القرآن الكريم، وبها يصلي بين يدي ربه، بل حتى في التحية يسلم بالعربية على إخوانه من المسلمين، فلهذا ولأسباب أخرى توغلت اللغة العربية في أوساط المجتمع الزنجباري حتى أصبحت لغة رسمية بجانب أختها اللغة السواحيلية. فقد كانت خطب السلاطين والزعماء والدعاة تلقى بالعربية، وكانت أكثر الصحف والمجلات تكتب بها، والتي كتبت بالسواحيلية فإنها بحروف عربية.(١٦)

ومع ظهور الإسلام وهجرة جماعات من المسلمين إلى بلاد الحبشة حيث وجدوا الرعاية والحماية في كنف النجاشي ملك الحبشة، وسادت بين العرب والأفارقة علاقات سلمية كانت دافعاً لاستقرار العرب فأصبح لهم منازلهم ومتاجرهم، كما أنشأوا مراكز تجارية في منطقة الساحل الإفريقي، وكثر عدد الوافدين العرب إليها سواء لأسباب اقتصادية كتجار من حضرموت وعمان والحجاز أو مزارعين من اليمن أو لأسباب سياسية.

وأدى الاختلاط بين العرب المسلمين وسكان هذه المناطق إلى انتشار الإسلام فى هضبة الحبشة وإريتريا وبلاد البجة، كما قامت بعض الإمارات الإسلامية على ساحل البحر الأحمر تمتعت بنفوذ سياسي كبير.

وقد اتسعت دائرة الإسلام بفضل جهود التجار والعلماء واعتنقت بعض الجماعات الإفريقية الدين الإسلامي مثل الفالا في الهضبة الحبشية والتقري في إريتريا، كما أدى توافد العرب من جنوب الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي إلى اختلاطهم بالوطنيين وقيام عدد من المراكز التجارية العربية في زنجبار وكلوه وممباسا.

ومن الساحل الشرقي لإفريقيا –توغلت المؤثرات العربية الإسلامية إلى منطقة البحيرات الاستوائية التي تضم تنجانيقا (تنزانيا حالياً) وكينيا وأوغندا ورواندا وبوروندى والكونغو وكان لها نفوذاً كبيراً خاصة في منطقتى: تنجانيفا وزنجبار والتى ظل العمانيون يستمتعون بنفوذ كبير بها بل وأيضاً بحكمها حتى عام ١٩٦٤.

ولقد دفع هذا التعايش إلى الانصهار العربي الإفريقي فى تلك المناطق على مدى قرون طويلة وإلى وجود أجيال تحمل سمات عربية إفريقية بعقيدة واحدة تمارس العادات والتقاليد العربية بجانب العادات والتقاليد الأفريقية، وتكون هي حلقة الوصل بين العرب والأفارقة أبناء هذه المناطق، وهو ما ساعد أيضاً على تضمن اللغات الإفريقية للعديد من مفردات اللغة العربية التي أطلق عليها فيما بعد اللغة السواحيلية.

ولغة البانتو هي لغة أم ينحدر منها عدد من اللغات الإفريقية الأخرى، وعندما قدم العرب إلى الساحل الشرقي لأفريقيا لم يكونوا ليعلموا شيئاً عن لغة البانتو وكذلك السكان الأصليين من قبائل البانتو لم يكونوا ليعرفوا شيئاً عن اللغة العربية، وكان لابد من وجود لغة للتواصل والتفاهم بين العرب وأبناء قبائل البانتو، ومن ثم بدأت اللغة السواحيلية بمفرداتها البانتوية والعربية تأخذ قالباً خاصاً حاملاً سمات وأصوات اللغة البانتوية والحرف العربي.

وكان للاحتكاك المستمر بين التجار العرب ولغتهم وبين قبائل البانتو في شرق أفريقيا ولغتهم عظيم الأثر في اقتراض اللغة السواحيلية للعديد من المفردات العربية والتي بلغت نحو ٢٥٪ من مفرداتها خاصة في مناطق الساحل والجزر القريبة منه.

واللغة السواحيلية هي إحدى أهم وأكبر لغات البانتو الإفريقية، وتعتبر وسيلة اتصال لأكثر من ١٤٠ مليون نسمة يعيشون في مناطق متعددة من سواحل إفريقيا الشرقية وجزرها ووسط القارة. وكلمة سواحيلي لفظ مشتق من الكلمة العربية "سواحل" وتعنى الشواطئ ومعنى ذلك أن السواحيلية هي لغة الشعب الذى يقطن سواحل شرق أفريقيا، والسواحيلية الآن هي اللغة الرسمية في تنزانيا والثانية في كينيا وتستخدم بصورة كبيرة في أوغندا وبعض البلاد الأخرى، وقد ارتبطت السواحيلية بالعربية ارتباطا كبيراً، حيث لعبت اللغة العربية دوراً غير قليل في تطوير اللغة السواحيلية وتنميتها وحفظ تاريخ القارة، ففي حين كانت اللغة السواحيلية لا تعدو أن تكون لغة منطوقة غير مكتوبة تتحدث بها مجموعة من قبائل البانتو، كانت اللغة العربية لغة مكتوبة لها أصولها اللغوية ذات الجذور العميقة وصاحبة ثقافة خاصة.

ومع دخول العرب والإسلام للقارة الإفريقية سواء من خلال هجرات المسلمين الأولى لبلاد الحبشة أو بقصد التجارة ونشر الدعوة الإسلامية، نشأت علاقة وطيدة بين السكان الأصليين والعرب وأصبح هناك تجذر قوى للعرب وانتشر الإسلام بين القبائل الإفريقية وبدأ المهتمون بعلم اللغة من العرب في كتابة السواحيلية بحروف عربية. ورغم أنه لا يوجد تاريخ محدد لبداية كتابة السواحيلية بالحرف العربي إلا أن الشواهد التاريخية تشير إلى أنه لم يمر

القرن الأول من بداية التقويم الهجري إلا وكانت اللغة السواحيلية تكتب بالحرف العربي. ومعنى ذلك أن تطور اللغة السواحيلية ارتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة العربية وحرفها وبانتشار الإسلام فعندما وصل ابن بطوطة منطقة شرق القارة عام ٧٢٩هـ- ١٣٢٩م، قال عن أهلها "أنهم سواحيليون شافعيون مخلصون".

ويظهر تأثير اللغة العربية على تطور اللغة السواحيلية بحرفها العربي فى عدة مجالات لعل أبرزها:

١- مجال اللغة والأدب

ارتبطت اللغة العربية ارتباطاً وثيقاً بالحرف العربي والخط العربي الذى انتشر انتشارا كبيراً فى منطقة شرق ووسط أفريقيا. وهو ما تؤكده المخطوطات السواحيلية الشعرية ذات الطابع الإسلامي، ويعود ذلك إلى أن حكام منطقة شرق أفريقيا في تلك الفترة كانوا من العرب العمانيين وهو ما تشير إليه النسبة العالية للمفردات العربية في اللغة السواحيلية خاصة فى المجال الأدبي فيما يتعلق بالمصطلحات الأدبية المتعلقة بالأساليب اللغوية المرتبطة بالشعر وأنماطه، وكذلك مصطلحات العلوم البلاغية والعروض حيث كان الشعر أهم الأنماط الأدبية التي تستحوذ على اهتمام الصفوة من المثقفين في تلك الفترة وهو ما أدى إلى انتشار الشعر السواحيلي بقصائده الطويلة ذات الحرف العربي، وتلك المخطوطات التراثية مازالت موجودة فى مكتبتي لندن وجامعة دار السلام بتنزانيا.

٢- فى المجال الديني

يعد المجال الدينى من أكثر المجالات تأثيراً فى اللغة السواحيلية، إذ أن الاحتكاك الحقيقي بين العرب والسواحيليين زاد بشكل ملحوظ مع ظهور الإسلام خاصة مع لجوء العرب إلى منهج الدعوة إلى الإسلام بجانب نشاطهم التجاري، وهو ما حذا بهم إلى المكوث لفترات أكبر بين الأفارقة السواحيليين لتعليمهم أمور دينهم، وبالتالي اكتسبت اللغة السواحيلية المفردات الدينية الإسلامية من اللغة العربية حيث أصبحت مع مرور الوقت جزء لا يتجزأ من مفردات اللغة السواحيلية، ومما يدل على ذلك أقدم أثر تاريخي معماري تم العثور عليه وهو محراب منحوت بالحرف العربي لمسجد كيزيمكازى بجزيرة زنجبار ويرجع تاريخه لعام ٥٠٠هـ - ١١٠٧م، وكذلك ما تضمنه معرض حول الكتابة والخط في الفنون الإفريقية أُقيم فى واشنطن فى يونيو ٢٠٠٧ تضمن ألواحاً للكتابة من السودان ونيجيريا تستخدم لتعلم القرآن الكريم، وأحجبة من سيراليون تحتوى على آيات قرآنية وأيضاً قطع كتبت عليها لغات إفريقية بالأبجدية

العربية ومن بين القطع التى عرضت بالمعرض أيضاً رداء محارب من ليبيريا مع غطاء رأسه زين بمخالب النسور وبأحجبة جلدية صغيرة تحمل آيات من القرآن الكريم باللغة العربية.

٣- فى المجالات الاقتصادية والسياسية

ويرجع تأثير اللغة العربية في اللغة السواحيلية في المجال الاقتصادي إلى أن معظم العرب الذين كانوا يترددون على السواحل الشرقية لأفريقيا كانوا من التجار مما استدعى وجود مفردات لغوية تجارية واقتصادية مثل: تاجر – تجارة – اقتصاد- إلى أن استقر العرب واشتد نفوذهم وأصبحوا حكاماً لإمارات على سواحل شرق أفريقيا وفى الداخل أيضاً مثل كلمات: ملك – سلطان – مملكة – رئيس – وزير.

كما اقترضت السواحيلية من العربية مجموعة من المفردات فى مجالات الحساب والتقويم والكيمياء والجغرافيا وإن لم تكن بحجم المفردات الدينية والأدبية.

والحقيقة هي أن تأثير اللغة العربية لم يقتصر على اللغة السواحيلية فحسب، وإنما امتد إلى لغات أخرى بعضها يتحدث به في شرق أفريقيا مثل الصومالية التي هي من مجموعة لغات الكوشية وتعد اللغة الرسمية التي يتحدث بها سكان الصومال، وقد كانت تكتب بالحرف العربي حتى وقت قريب. (١٧)

يمكن القول بأن تأثير اللغة العربية على لغات شرق إفريقيا تأثر عميق بعيد الجذور، ولكنه يتجلي في أبرز صوره في اللغة السواحيلية على وجه الخصوص التي ذكرناً آنفاً أنها تنتشر من الصومال شمالاً حتى موزمبيق جنوباً وتتوغل في الداخل حتى تخوم الكنغو ومنطقة البحيرات العظمى، وأنها تولدت ونتجت من تأثير اللغة العربية على لغة البانتو، فلولا اللغة العربية وتأثيرها على لغة البانتو، لما وجدت اللغة السواحيلية التي تغطي هذه الأجزاء الشاسعة من شرق إفريقيا ووسطها بل وبعض أجزاء من جنوبها. فاللغة السواحيلية ما هى إلا مزيج من لغة البانتو واللغة العربية مع بصيص من اللغات الآسيوية واللغة الإنجليزية.(١٩)

ويمكننا القول بأن دخول الإسلام إلى ساحل شرق إفريقيا ساعد على نشر اللغة العربية بين سكان هذه المنطقة التي كانت اللغة السائدة للتخاطب والتفاهم فيما بينهم هي اللغة السواحيلية، ومن ثم فقد أدى تبني السواحيليون للغة العربية وتعلمهم لها إلى تعزيز انتشار الإسلام في منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا وتوطيد وجود الإسلام والمسلمين في هذه المنطقة.

وفي هذا يقول الدكتور رجب محمد عبد الحليم:" ولا شك في أن انتشار اللغة السواحيلية بين السكان الأصليين بجانب اللغة العربية التي كانت لغة الطبقة الارستقراطية العربية الحاكمة، كان له اثره الكبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل الإفريقية التي تقيم على الساحل الشرقي بوجه عام، وذلك لأسباب عديدة منها:

١- أن هذه اللغة ولدت ولادة إسلامية، بمعنى أنها نتجت عن التحام قبائل البانتو- المشار إليها سابقاً- بعد أن أسلمت بالعرب من سكان الساحل نتيجة قدوم تلك القبائل إلى الساحل واختلاطها بالعرب وتزاوجهم معهم، أي نتيجة للتلاقي العربي الإفريقي العربي ممثلاً في العرب المسلمين الذين استقروا في الساحل واتخذوه لهم وطناً ومستقراً، والإفريقي ممثلاً في قبائل البانتو التي زحفت إلى الساحل واستقرت فيه قبل ظهور الإسلام، او هاجرت إليه في القرون التالية واعتنقت الإسلام.

٢- أن هذه اللغة أصبحت عامل ربط بين الساحل والداخل وانتشرت انتشاراً واسعاً نتيجة لازدياد الحركة التجارية مع تزايد قدوم التجار العرب من العمانيين وغيرهم، ومع توالي ظهور السلطنات الإسلامية التي رعت التجارة ودفعتها إلى الداخل عبر طرق التجارة، فحملت القوافل التجارية هذه اللغة الوليدة إلى داخل القارة حيث كانت طرق القوافل تمتد إلى البحيرات الاستوائية وحوض نهر الكونغو، كما أنها أصبحت لغة التخاطب في المعاملات التجارية بين مجموعات السكان المتباينة الأصول والأجناس في شرقي إفريقيا. ولما كانت هذه اللغة لغة التجارة والتجارة، وكان التجار من المسلمين، فقد ساعدت كثيراً في انتشار الإسلام بين السكان المحليين حيث كان هؤلاء التجار قد أنشأوا مراكز تجارية لهم بالداخل واختلطوا بالأفارقة وصاهروهم ونشروا الإسلام بينهم.

٣- أن اللغة السواحيلية اصبحت عاملاً قوياً في توحيد السكان في هذه المنطقة من القارة على اختلاف ألوانهم وتبيان لغاتهم وتعدد قبائلهم وشعوبهم و أجناسهم وثقافاتهم وعاداتهم وأعرافهم، مما أدى إلى ظهور ثقافة مشتركة هي الثقافة السواحيلية، وهي ثقافة غلبت عليها السمة العربية . ومن ثم فقد ساعد ذلك كثيراً على انتشار الإسلام بين السكان المحليين وإلى تطعيم ثقافاتهم بعناصر عربية كثيرة.

٤- أن اللغة السواحيلية كتبت بحروف عربية واستمرت كذلك حتى جاء الاستعمار الأوروبي الحديث وحولها إلى الكتابة بالحروف اللاتينية بهدف الفصل بين الثقافة العربية وبين الثقافة السواحيلية الحديثة.(٢٠)

ولما كانت اللغة العربية وتأثيرها في اللغة سواحيلية عاملاً مهماً في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين السواحيليين، وكذلك توطد علاقات الصداقة والإخاء بين المسلمين والأفارقة السواحيليين في شرق إفريقيا. وكان انتشار الإسلام من أهم البواعث أو العوامل التي ساعدت على هذا الاندماج. كما أن أخلاق الإفريقي وطباعه قريبة من طباع العربي الذي اعتاد الأفارقه رؤيته ورؤية أحفاده من العمانيين أو اليمنيين أو من الاثنين معاً يوغلون في البلاد ويعملون بالتجارة وينشرون الإسلام والمحبة والوئام بينهم وبين الناس، فظهر التآلف واتحدت الأهواء وظهر ما يعرف بالشعب السواحيلي الذي حمل عقيدة الإسلام وتشرب كثيراً من أسلوب العرب في الحياة، واجتذب العمانيين وغير العمانيين من العرب الذين هاجروا على مر القرون إلى ساحل شرق إفريقيا وأدمجهم في خلاياه فصاروا جزءاً من نسيجه. وعلى ذلك على فقد أصبح المسلم المحلي غير عربي تماماً وإنما أصبح سواحيلياً، وكان على المستقرين الجدد من العرب مثلهم في ذلك مثل كثير من الأفارقة القادمين من الداخل، أن يعتنقوا الثقافة السواحيلية حتى يصبحوا أعضاء في هذا المجتمع السواحيلي الجديد.

وقد دعم النباهنة هذه الثقافة السواحيلية ذات الطابع الإسلامي والتي ازدهرت وتألقت بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر للميلاد، وذلك بالعمل على نشر التعليم الديني في المساجد والمدارس والكتاتيب التي وفد إليها كثير من الوطنيين الأفارقة ليحفظوا القرآن الكريم ويتعلموا الكتابة بالحروف العربية، بل ويتعلموا اللغة العربية ذاتها، حتى يتمكنوا من التعمق في فهم عقيدة الإسلام وتراثه الديني واللغوي، وكان ذلك نتيجة للتزاوج والمشاركة في العلاقات والتقاليد والحياة الاجتماعية من مسكن ومأكل وملبس وعادات وأعياد ومناسبات وغير ذلك من مظاهر الحياة، مما دفع بالحركة الإسلامية إلى الإمام وازدهرت الحضارة والثقافة الإسلامية في تلك الفترة.(٢١)

الخاتمة

عرضت الدراسة لموضوع دور اللغة العربية في نشر الإسلام في زنجبار، حيث استعرضت بدايات دخول الإسلام إلى شرق إفريقيا، والدور الذي لعبه العرب المسلمين في نشر اللغة والثقافة العربية بين السواحيليين سكان الساحل الشرقي لإفريقيا بوجه عام وسكان جزيرة زنجبار بوجه خاص، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج نوجزها على النحو الآتي:

١- دخل الإسلام منطقة شرق إفريقيا عن طريق الوسائل السلمية المتمثلة في التجار والدعاة والمهاجرين.

٢- سارت اللغة العربية مع الإسلام جنباً إلى جنب وكان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية؛ حيث سارت العربية مع الإسلام جنبا إلى جنب، وحلقت معه أينما حل وحيثما ارتحل، كما كان للهجرات العربية لإفريقيا دور في نشر اللغة العربية، كذلك كان للتجار وللطرق الصوفية وللدعاة وللمعلمين جهود صادقة في نشر الإسلام واللغة العربية في إفريقيا.

٣- أثرت اللغة العربية في اللغة السواحيلية المنتشرة في منقطة شرق إفريقيا وخاصة في زنجبار، مما أدى إلى تدفق السواحيليين على الإسلام واعتناقهم له وازدياد انتشار الإسلام في هذه المنطقة، نتيجة علاقات التزاوج والإخاء التي نشأت بين المسلمين العرب والسواحيليين.

٤- لا يمكن الفصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة السواحيلية نتيجة للمؤثرات العربية العديدة والقوية في اللغة والثقافة السواحيلية.

٥- يتسم الإسلام في شرق إفريقيا بطابع خاص يتمثل في مظاهر الحضارة والثقافة الإسلامية القائمة حتى الآن في تلك المنطقة.

٦- اتسم الإسلام في زنجبار - كما في سائر دول شرق إفريقيا- بالطابع السلمي والاخلاقي وهو ما يبدو جلياً في سلوكيات المسلمين وفي مظهرهم النظيف وتعاملهم الحسن مع الأفارقة، وهو ما جعل هؤلاء الأفارقة يقدمون على اعتناق الإسلام بدافع من الحب وليس نتيجة إرغام أو إكراه، مما أدى إلى انتشار الإسلام موظفاً في ذلك اللغة العربية التي تبناها سكان جزيرة زنجبار وأخذوا يتعلمونها ويعلمونها لأبنائهم من أجل استخدامها في أداء شعائرهم الدينية وقراءة القرآن والحديث الشريف والتفاسير والعلوم الدينية المختلفة.

الهوامش والمراجع

* يطل الساحل الشرقي الإفريقي على البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكان البحر الأحمر بمثابة همزة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا. ويشمل إقليم شرق إفريقيا حسب المفهوم الحديث دول كينيا وتنزانيا وأوغندا، أو ما كان يعرف بـ " شرق إفريقيا البريطاني" بالإضافة إلى رواندي وبورندي. وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ١.٨ مليون كليومتر، وتمتد ما بين دائرتي عرض ٤.٥ درجة شمالاً و١٠ درجات جنوباً، وبين خطي طول ٣٠ درجة، و٤٠ درجة شرقاً. وسميت المنطقة بشرق إفريقيا، لأن الطابع الذي يميزها تستمده من موقعها الجغرافي في شرق القارة، فلأخدود الغربي يكاد يكون فاصلاً بين هضبة شرق إفريقيا وبين منخفض زائير، الأمر الذي جعل علاقات لاسكان وتوجههم منذ القدم نحو الساحل المطل على المحيط الهندي،حيث كانت تتدفق التجارة الشرقية الخاضعة للسيطرة العربية، وبحلول القرن الأول الميلادي، بدأ استقرار العرب بصورة جماعية على الساحل الشرقي الإفريقي، وبدأت حركة تجارية مزدهرة واختلط السكان في هذا الساحل العرب بالفرس والهنود بالسكان الأصليين، مما أدى إلى ظهر هجين جديد أطلق عليه الشعب السواحيلي.

لمزيد من التفاصيل راجع: سميحة إبراهيم محمد: دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (٨٠٦م- ١٨٥٦م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ٢٠٠٠، ص٣٣-٣٤.

(١) سميحة إبراهيم محمد: دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٨٠٦م- ١٨٥٦م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ٢٠٠٠، ص ٣٥-٣٦.

(٢) الأمين أبومنقة محمد: التراث العربي الإسلامي في شرق إفريقيا وفي غربها : دراسة مقارنة

http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=97

(٣) محمد إبراهيم محمد: الحرف العربي واللغة السواحيلية في شرق إفريقيا، حث منشور ضمن أعمال مؤتمر، العلاقات الثقافية العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٦٠٨.

(٤) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية " من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٤٧-٤٨.

(٥) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى " شرقي القارة الإفريقية وغربيها"، ١٩٥٧، ص ١٣-١٥.

(٦) سالم خميس محمد الزنجباري: دخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في زنجبار http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=164.

(٧) عمر عبد الفتاح: اللغة العربية في إفريقيا.. حضور قوي ودور متراجع!
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout&cid=1218033713197

(٨) د. كمال محمد جاه الله
http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=69.

(٩) بابكر حسن محمد قدرماري: الأثر العربي في اللغات والثقافات الإفريقية، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول " اللغة والثقافة في إفريقيا"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٦٩.

(١٠) المرجع السابق، ص ٧٠.

(١١) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(١٢) المرجع نفسه،، ص ٧٠-٧١.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(١٤) محمد علي نوفل: لغة الضاد في اللغات الإفريقية(السواحيلي-الهوسا نموذجاً)، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول " اللغة والثقافة في إفريقيا"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٩١.

(١٥) عمر عبد الفتاح: اللغة العربية في إفريقيا.. حضور قوي ودور متراجع!
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout&cid=1218033713197

(١٦) مها عبد المجيد: اللغوية فى العلاقات العربية الأفريقية:
http://www.alarabiah.org/index.php?op=3&poo=27&pooo=3

(١٧) المرجع السابق
http://www.alarabiah.org/index.php?op=3&poo=27&pooo=3

(١٨) سالم خميس محمد الزنجباري: دخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في زنجبار http://www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=164.

(١٩) بابكر حسن محمد قدرماري: الأثر العربي في اللغات والثقافات الإفريقية، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢٠) رجب محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية " ص٢٩٥-٢٩٦.
(٢١) المرجع السابق، ص٢٩٨-٢٩٩.

علم اللغة الحاسوبي ودوره في تطوير اللغة العربية في إفريقيا

د. سيد رشاد
كلية الدراسات الإفريقية العليا-جامعة القاهرة جمهورية مصر العربية

مستخلص:

تتناول هذه الورقة البحثية موضوع علم اللغة الحاسوبي ودوره في تطوير اللغة العربية في إفريقيا. تبدأ الورقة بعرض التعريفات المختلفة لعلم اللغة الحاسوبي ومجالاته وأهم تطبيقاته في مجال اللغات الإنسانية، ثم تعرج إلى تناول وضع اللغة العربية في قارة إفريقيا وخاصة في الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، مع التركيز على التحديات التي تواجهها العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، وتختتم بإبراز كيفية توظيف علم اللغة الحاسوبي في تنمية اللغة العربية وتطويرها في إفريقيا، سواء على مستوى تعليم اللغة العربية للأفارقة الناطقين بغيرها أو على مستوى البحث العلمي والبرمجيات وما إلى ذلك من تطبيقات تصب في صالح الارتقاء بمكانة العربية في إفريقيا.

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسية هي:

المحور الأول: علم اللغة الحاسوبي: تعريفه- مجالاته وتطبيقاته.

المحور الثاني: واقع اللغة العربية في إفريقيا والتحديات التي تواجهها.

المحور الثالث: دور علم اللغة الحاسوبي في تطوير اللغة العربية في إفريقيا.

كلمات مفتاحية: علم اللغة- الحاسوب- تطبيقات – تطوير- العربية – إفريقيا.

Abstract

This paper deals with the subject of Computational Linguistics and its role in developing the Arabic language in Africa. The paper begins by presenting the various definitions of Computational Linguistics and its fields and its most important applications in the field of human languages, then it goes back to dealing with the situation of the Arabic in Africa, especially in sub-Saharan countries, with a focus on the challenges faced by Arabic in sub-Saharan Africa, and concludes by highlighting how to employ Computational Linguistics in the development of the Arabic and its development in Africa, whether at the level of teaching Arabic to non-native Africans or at the level of scientific research, software and other applications useful in advancing the entity of Arabic in Africa.

The Paper is divided into three main axes:

The first axis: Computational Linguistics: its definition - its domains and applications.

The second axis: the reality of the Arabic in Africa and the challenges it faces.

The third axis: the role of Computational Linguistics in the development of the Arabic in Africa.

Keywords:: linguistics - computer - applications - development - Arabic - Africa.

المحور الأول: علم اللغة الحاسوبي : تعريفه، وتطبيقاته

أولاً : التعريف

تعدَّدت التعريفات التي ساقها الباحثون في حقل الدراسات اللغوية لما اصطلحوا على تسميته بعلم اللغة الحاسوبي Computational Linguistics؛ فمن الباحثين من يُعرفه بأنه دراسة الجوانب الحاسوبية للغة والمشكلات الشائعة التي تواجه المعالجة الحاسوبية للغة سواء المكتوب منها أو المنطوق، ويُعرف أيضاً بأنه علم دراسة أنظمة الحاسوب بهدف فهم اللغات الإنسانية وتوليدها وتحليلها[١]. في حين يذهب بعض اللغويين إلى أن الحديث يدور عن علم جديد تتقاطع فيه اللسانيات مع جهاز صوري تفرزه العلوم المنطقية الرياضية ويخضع للقيود التي تفرضها الآلات المعدة للمعالجة الآلية للمعلومة.[٢]

ويعرف بعلبكي علم اللغة الحاسوبي بأنه فرع من علم اللغة – وتحديداً من علم اللغة الرياضي Mathematical Linguistics – يُعني باستخدام الحاسوب وتطبيق مناهج العلوم المعتمدة عليه في دراسة اللغة، ولاسيما في مجال الترجمة الآلية، وتمييز الكلام والذكاء الاصطناعي؛ أي العمليات التي تقوم بها الآلة بعد تلقينها المعلومات في حقل معين كتمييز الأصوات.[٣]

وثمة تعريف آخر لهذا العلم بأنه مدخل من مداخل علم اللغة العام يستخدم تقنيات رياضية محوسبة، ويتضمن تحليل البيانات اللغوية، على سبيل المثال لتكوين النظام الذي يكتسب المتعلمون به قواعد نحوية متنوعة، ولتعرف تردد وجود عنصر لغوي محدد. ويتضمن أيضًا البحث في الترجمة الآلية، والإنتاج الإلكتروني للكلام المصنوع (توليف الكلام speech synthesis)، والتعرف الآلي على الكلام الإنساني.[٤]

ومن الباحثين من جعل من مصطلح علم اللغة الحاسوبي مرادفاً للمعالجة الآلية للغة الطبيعية؛ إذ أن أبرز مهمة للسانيات الحاسوبية هو إنشاء برامج حاسوبية من أجل معالجة الكلمات والنصوص في اللغة الطبيعية، وهذه المهمة تتلاقى مع مهمة مجال المعالجة الآلية للغة الطبيعية.[٥]

وعلى الرغم من صعوبة وضع تعريف جامع مانع للسانيات الحاسوبية، فإن القاسم المشترك بين جل التعريفات التي أوردناها هو أننا بصدد فرع يُعني بدراسة اللغة الإنسانية الطبيعية دراسة علمية من منظور حاسوبي.

هذه الدراسة لا يمكن أن تتم إلا ببناء برامج حاسوبية لأنظمة اللغات البشرية من خلال تقييس ومحاكاة نظام عمل الدماغ البشري لنظم عمل الحاسب الآلي؛ أي أننا بصدد دراسة علمية للنظام اللغوي في سائر مستوياته بمنظار حاسوبي بهدف تطبيق النماذج الحاسوبية على الملَكة اللغوية. (٦)

ويُعد الحاسوب الركيزة الأساسية في هذا الفرع اللساني التطبيقي الحديث المتصل بالذكاء الاصطناعي **Artificial Intelligence**، الذي توصلت البحوث فيه إلى أن الوظيفة الأساسية للعقل البشري التي تميزه عن العقل الحيواني، هي مقدرته على إنتاج الأنظمة الرمزية واستعمالها، وعلى رأسها النظام الرمزي اللغوي المستعمل في التواصل، وتمثيل المعلومة، وتخزين المعرفة، ونقلها، فقامت برامج الحاسوب على هذا الأساس(٧).

ثانياً: التطبيقات

ثمة مجالات عديدة لتطبيقات علم اللغة الحاسوبي من أبرزها الترجمة الإلكترونية واسترجاع المعلومات والأنظمة التفاعلية(٨). والجدير بالذكر أن تطبيق اللسانيات الحاسوبية في بعض المجالات قد خلف منجزات لا يستهان بها، نذكر منها ما يلي:

١ – التوثيق

يقصد بالتوثيق عملية معالجة الوثائق والمعلومات الواردة بها بشكل يتيح للباحث الولوج إليها واستدعاءها بكل سهولة، فالبرامج اللسانية الحاسوبية تهدف إلى توثيق المعلومات التي ترِدُ على الذهن البشري.(٩) ولقد أضحى الحاسوب– في ظل الثورة التكنولوجية التى يشهدها العالم بأسرة– أشبه ما يكون بالغرفة الصغيرة، مما سهل عمليات تبادل المعلومات بين الشعوب والأمم، وييسَّر أيضًا عمليات تخزين المعلومات وأرشفتها على اختلاف أنواعها وأحجامها.

٢ –صناعة المعاجم الإلكترونية

من أهم ما يميز المعجم الإلكتروني بأنه يلم إلمامًا كبيرًا بجميع مستويات اللغة؛ ذلك أنه يعتمد على أدوات مُشفَّرة، وقاعدة معطيات مُرمَّزة تخص مستويات اللغة؛ نحوًا ودلالة، بحيث تخضع المادة المعجمية فيه لبناء يلم إلمامًا دقيقًا بفروع اللغة. فالمعجم الإلكتروني عادة ما يتصف بالشمولية. علاوة على ذلك، تسعى اللسانيات الحاسوبية إلى إنشاء بنوك للمصطلحات، انطلاقًا من تخزين المصطلحات مُرفَقة بمعلومات عن كل مصطلح مفرد، ستكون

مساعدة للمترجمين والمحررين والمتعلمين. إنّ المعجم الإلكتروني له علاقة بالبنوك المصطلحية، وذلك من خلال تنظيمه لها، وهو ما لا تيسّره ذاكرة الإنسان المحدودة.

٣- الترجمة الآلية

يعمل الحاسوب على تزويد المستخدم بالترجمة المطلوبة إن كانت مسجلة في ذاكرته، لكن في حال غيابها فإنه يقترح عليه مقابلات لها؛ لذلك فالأمر يفرض توفير المصطلحات والتراكيب المتقاربة، نظرًا لتعدُّد معاني ومقاصد الألفاظ في اللغات الطبيعية، خاصة اللغة العربية منها، التي تبقى ألفاظها مشروطة بالسياق الاستعمالي التداولي والتركيبي، كما أن الترجمة الآلية رهينة التدخل البشري المطلوب لتهذيب النص قبل ترجمته Pre - editing، أو تهذيبه بعد ترجمته[١٠] Post - editing، هكذا تكون الترجمة الآلية عبارة عن نص خام يحتاج إلى تقوية وتدعيم بشري من أجل تنقيحه وترميم تراكيبه.

وما من شك في أن الترجمة الآلية وسيلة فعالة من وسائل توظيف المعرفة العلمية والتقنية في المجتمع العربي؛ لأن معظم المعرفة قد أُنتجت ونُشرت وحُفظت باللغة الإنجليزية، وللوصول إليها لا بد من تفعيل دور الترجمة ومؤسساتها، وبهذا فإن الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى العربية أو العكس تعتبر سبيلًا لسد الفجوة العلمية الناتجة عن تضخم الإنتاج العالمي الثقافي بالقياس إلى نظيره العربي[١١].

٤- إنتاج النصوص

الإنسان كائن مفكر يُولِّد ويُطوِّر ويُعدِّل إبداعاته، وعملية التعديل هذه تحتاج إلى جهد ووقت؛ لذلك كانت الحاجة إلى وسيلة تعوِّض الإنسان وتقيه عناء المراجعة والتصفح لمرات كثيرة، فكان الحاسب بمحاكاته لذهن البشر خيرَ بديل، معتمدًا في ذلك برامج وأنظمة تُمكنه من إعادة تصحيح ومراجعة النصوص، وتخزينها في ملفات مغلقة تُفتَح كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وبالتالي، فالحاسوب وفر إمكانية الإنتاج النصي المتعدد كالمراسلات، والدعوات، والتعليقات الصحفية، والإعلانات...إلخ.

٥- تعليم اللغات الأجنبية

يُعنى علم اللغة الحاسوبي بتعليم اللغات وتعلمها، معتمداً في ذلك على الحاسب الآلي، باعتباره من أهم الوسائط التي تمزج بين الصوت والصورة والكتابة، والهدف الأسمى من هذه العملية هو تجاوز الطرق التعليمية التقليدية القائمة على التلقين والتحفيظ والتسميع؛ أسلوبًا أساسيًّا ورئيسيًّا في نقل المعرفة، وإيجاد طرق جديدة تمكن من استغلال قدرات الحاسب من

لدن المستخدمين، الشيء الذي أدى إلى إعداد برامج حاسوبية تعليمية، تتماشى مع النظريات التعليمية الحديثة.[١٢]

يأخذ الحاسوب بيد المتعلم لأداء مطلب تعليمي معين خطوة خطوة، وطرح أسئلة للتأكد من الاستيعاب، وبناء على استجاب المتعلم يأخذه الحاسوب إلى مزيد من الممارسة أو التقدم لمادة جديدة.[١٣] وتتخذ عملية تعليم اللغة الثانية باستخدام الحاسوب عدة أشكال، منها:

(أ) أنشطة توازي تعلم اللغة من خلال وسائط معينة باستخدام إمكانات الحاسوب؛ أي استخدام الحاسوب لعرض نص قرائي.

(ب) أنشطة تعد امتدادات أو تعديلات لمواد مطبوعة أو أنشطة صفية؛ أو بعبارة أخرى برامج حاسوب تعلم مهارات الكتابة بمساعدة الطلاب على كتابة موضوع أو قضية علمية ، وكذلك مراجعة التعبير من حيث المفردات والقواعد وبناء الموضوع.

(ج) أنشطة خاصة بتعلم اللغة بمساعدة الحاسوب.[١٤]

وفي هذا الصدد أُنجزت مجموعة من البرامج التعليمية الخاصة باللغة العربية، ومن تلك الأنظمة: برامج أ. ب. ث، ويماها yamaha، والمدقق الإملائي، وغيرها من البرامج التعليمية بهدف تيسير تعلم اللغة العربية بكافة مناحيها.[١٥]

المحور الثاني: واقع اللغة العربية في إفريقيا والتحديات التي تواجهها

أولاً: واقع العربية في إفريقيا

بنظرة متأنية للخريطة اللغوية لإفريقيا يمكننا الوقوف على الوضع الحالي للغة العربية بالقارة الإفريقية، وملاحظة العلاقات القوية والمتشابكة القائمة بينها وبين لغات إفريقية كبرى أخرى. فمن ناحية التصنيف، تقع العربية تقع ضمن مجموعة اللغات السامية المتفرعة عن أسرة اللغات الأفروآسيوية البالغ عدد لغاتها نحو ٣٧١ لغة، وتعد العربية أكثر لغات هذه الأسرة انتشاراً حيث يتجاوز عدد متحدثيها ١٥٠ مليون نسمة، وتفيد الإحصاءات أن من بين (١٠٣٠) مليون نسمة بإفريقيا، تتحدث بالعربية نسبة تصل إلى ١٧٪ من هذا العدد.[١٦]

وتذهب بعض التقديرات اللغوية إلى أن ما يقرب من ثلث سكان إفريقيا يلهجون باللغة العربية بصورة أو أخرى؛ الأمر الذي يجعل اللغة العربية اللغة الوطنية الأولى في القارة الأفريقية؛ حيث إن الغالبية العظمى من سكان إفريقيا ينطقون بالألفاظ العربية في تخاطبهم وصلواتهم ودعائهم وأثناء أداء عباداتهم الدينية وذلك بمستويات متفاوتة.(١٧) علاوة على هذا يتحدث العربية بوصفها لغة ثانية نحو ١٠٪ من سكان إفريقيا أغلبهم من المسلمين. وهذا يعني أن نسبة من يتحدثون العربية بوصفها إما لغة أولى أو ثانية تزيد على ثلث سكان إفريقيا. (١٨)

وفي هذا الصدد يقول الأمين أبو منقة :" قليل من انتبه إلى حقيقة أن ٧٠٪ من المثقفين بالثقافة العربية يعيشون في إفريقيا، وأن ثلث سكان هذه القارة يتحدثون اللغة العربية كلغة أولى أو ثانية أو ثالثة، من المسلمين ومن غير المسلمين".(١٩)

وتربط العربية علاقات وظيفية بلغات إفريقية كثيرة تنتمي إلى فصائل لغوية مختلفة، ومن ذلك: علاقتها مع لغات الفصيلية النيلية الصحراوية (كانوري، كانيمبو، زغاوة...وغيرها)، وعلاقتها باللغات النيجرية الكونغوية (بمبارا، جولا، سوسو، سوننكي، كبيلي، ولوف، فلفلدي، تمني، بساري...إلخ).

ويعزى السبب وراء ذلك إلى أن حضور اللغة العربية بالقارة الإفريقية، موغل في القدم، فقد سبق ظهور الإسلام بها، لاسيما في القسم الشرقي من القارة، أما في المناطق الداخلية الأخرى فإن الحضور العربي بها قد رافق الحضور الإسلامي في حدود القرن الثاني الهجري(الثامن الميلادي).

أما عن الدول التي اختارت اللغة العربية كلغة رسمية لها في أفريقيا فنجد أنها لم تقتصر فقط على دول شمال أفريقيا الناطقة بالعربية والتي تضم مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب بالإضافة إلى السودان وموريتانيا ؛ بل تعدتها لتضم أربع دول أفريقية أخرى اختارت اللغة العربية لغة رسمية لها إلى جانب لغات أخرى وهذه الدول هي تشاد، وجزر القمر، وجيبوتي والتي تبنت العربية كلغة رسمية إلى جانب الفرنسية، والصومال التي اختارت العربية كلغة رسمية إلى جانب اللغة الصومالية، ليصير بذلك عدد الدول الأفريقية التي اختارت العربية لغة رسمية لها إحدى عشر دولة أفريقية.

كما تتجلى مكانة العربية في إفريقيا مستوى سياسي رفيع؛ لتكون لغة رسمية بمنطقة الوحدة الإفريقية، وذلك مع اللغات الاستعمارية الثلاث (الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية) المعتبرة " لغات عمل" رسمية بالمنظمة، وبذلك فإن اللغة العربية والسواحلية هما اللغتان غير الاستعماريتين المعترف بهما بهذه المنظمة. (٢٠)

علاوة على ذلك فقد كان للعربية الفضل في إلهام كتابة اللغات المحلية بأبجديات عربية، وهو ما شهد به العديد من الباحثين وينطق به التاريخ وتؤكده الوثائق وتبرهن عليه الكتابات والمؤلفات. وهناك حوالي ثلاثية لغة إفريقية أو تزيد سبق لها أن كتبت بالحرف العربي، حاول الاستعمار جاهداً إقصاء الحرف العربي، وكتابتها بالحرف اللاتيني. وكثير من هذه اللغات ما يزال يكتب الحرف العربي في تعايش مع الحرف اللاتيني، خاصة اللغات الكبرى المشتركة التي تتحدثها مجموعات عبر أقطار كثيرة في غرب إفريقيا أو شرقها، مثل لغات هوسا، وسواحيلي، وفلاني، وولوف، وسنغاي، وسرقلي، وتنمي، وماندينكا أو بمبارا، وكثير غيرها في غرب إفريقيا وشرقها، وهنالك عشر لغات في السودان كُتبت بالحرف العربي.(٢١)

ولم ينتشر الحرف العربي في المناطق ذات الكثافة الإسلامية مثل غرب إفريقيا وشرقها فقط، بل توغل داخل إفريقيا حتى جنوبها، وشمل بعض اللغات الهجين. فقد كانت هنالك في جنوب إفريقيا لغة مهجنة تكتب الحرف العربي وهى خليط من اللغة العربية والأفريكانية لغة جنوب إفريقيا، وكان يتكلمها حوالي مائة ألف إفريقي كلغة أم.(٢٢)

وقد شهدت السنوات الأخيرة دعوات لإعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي، وأيضاً عودة اللغة العربية مرة أخرى إلى أراضيها التي عاشت في كنفها قروناً طويلة، تواصلت خلالها وعلى كل المستويات الإنسانية مع سكان القارة الأصليين، فكانت بينهم علاقات نسب ومصاهرة وتجارة وعقيدة، جعلت العرب المقيمين في إفريقيا ينصهرون في بوتقة القارة السمراء. فعلى سبيل المثال، فقد أعاد دستور ١٩٧٩، الاعتبار للغة العربية في الصومال، بجعلها لغة رسمية للدولة مع الصومالية، وتبع ذلك، أن تبنّت الدولة حملة لتقوية اللغة العربية. وكذلك اختارت جزر القمر وجيبوتي اللغة العربية لغة رسمية لهما، إلى جانب لغات أخرى. كما اعتمدت السلطات التشادية اللغة العربية، كلغة ثانية للبلاد بعد الفرنسية، كما تقوم المؤسسات الإسلامية المحلية وعدد من الدول العربية، بدعم التعريب، بالتعاون مع المؤسسات الإسلامية المحلية، كذلك اعتبرت السلطات في النيجر اللغة العربية كلغة ثانية بعد الفرنسية، وينتشر تعليم اللغة العربية والإسلام في المدارس الإسلامية الحديثة، في كلّ أنحاء النيجر.(٢٣)

ولعل من أهم جوانب تأثير اللغات الكبرى في اللغات الصغرى هو الجانب المعجمي؛ حيث تقوم اللغات المتلقيةٌ Recipient Language باقتراض ما تفتقده قواميسها من الألفاظ ذات الصلة بالحقول الدلالية التي تدخل في ثقافات متحدثيها من خلال اتصالهم بمتحدثي اللغات الهدف target language (كما في حالة شرق إفريقيا)، أو من خلال اتصال اللغتين عن طريق التقاليد الأدبية(كما في حالة اللغتين العربية والهوساوية، والعربية والفولانية في غرب إفريقيا).

ويكاد يكون من الصعوبة بمكان تحديد حجم الألفاظ العربية التي دخلت في لغات الشعوب الإفريقية المسلمة الكبرى لأسباب تختلف من لغة لأخرى، فبالنسبة للغة السواحيلية مثلاً، نجد أن حجم هذه الألفاظ يختلف من منطقة إلى أخرى حيث تصل ذروتها في جزر (زنزبار، ولامو، وباتي)، وتقل كلما ابتعدنا من الساحل إلى الداخل، وتتضاءل لحد التلاشي في الحدود الغربية لأوغندا.

وعليه فقد اختلف الباحثون في تقديرها حيث تصل عند بعضهم إلى ٥٠٪ من ألفاظ القاموس السواحيلي، ولا تتعدى عند البعض الآخر ١٥٪ منها. أما بالنسبة للغة الهوسا فقد تضمنت قائمة جرينبيرج عام ١٩٤٧م حوالي ٦٤٠ كلمة عربية مقترضة، هذا بينما وصلت هذه الكلمات في قائمة اللغوي الإيطالي سيرجيو بالدي (١٩٨٢م) حوالي ١٢٥٠ كلمة، وهذا العدد الأخير من الكلمات بمشتقاتها يقارب نسبة ١٠٪ من جملة الكلمات الهوساوية المكونة لقاموس أبراهام(هوسا-إنجليزي) الصادر عام ١٩٦٢م.

ويجمل فينسان مونتي أثر العربية في اللغات الإفريقية في أوجه منها:

١- تثبيت اللغات الإفريقية بالكتابة.

٢- إغناؤها بالمفردات العامة.

٣- إغناؤها بمفردات الأشياء الخاصة.(٢٤)

ثانياً: التحديات التي تواجه العربية في إفريقيا

ثمة تحديات واجهتها العربية ومازالت تواجهها في القارة الإفريقية، هذه التحديات تحول في كثير من الأحيان دون انتشارها وتبوأها المكانة اللائقة، وفيما يلي عرض لأبرز التحديات التي تواجهها العربية في إفريقيا:

١- هيمنة اللغات الاستعمارية على المشهد اللغوي الإفريقي

قدم المستعمر الأوربي إلى إفريقي حاملاً معه ثقافاته ولغاته، وما أن استقر به المقام حتى عمد إلى فرض سياساته اللغوية بغية تدعيم وجوده وترسيخ أقدامه في دول القارة، فأضحت لغات المستعمر مستخدمة في التعليم الرسمي وفي المعاملات في مختلف ربوع القارة.[٢٥] وقد قامت القوى الاستعمارية بوضع لغاتها في مكانة سامية، لمعرفتهم بأن اللغة وسيلة لأهداف متعددة، أهمها ربط المستعمرات بالدولة المستعمرة حاضراً ومستقبلاً ربطاً لغوياً، ومن ثم ربطها ثقافياً وفكرياً، وكذلك سياسياً واقتصادياً، وهذا واضح الآن حتى بعد الخروج العسكري وحصول هذه المستعمرات على استقلالها، فقد أصبحت لغة الدولة المستعمرة هي اللغة الرسمية، ولغة التعامل في الدواوين، ولغة التعامل مع العالم الخارجي، كما صارت لغة الثقافة.[٢٦] فقد صارت اللغتان الفرنسية والإنجليزية، لغة التعامل الرسمي ولغة التعليم ولغة الإعلام والصحافة ولغة المثقفين في كثير من الدول الإفريقية. نتيجة لذلك انحسرت اللغة العربية وتراجع استخدامها في عدد من الدول الإفريقية حتى يومنا هذا.

٢- كتابة اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني

بذل المستعمر الأوروبي جهوداً كبيرة من أجل إعادة تدوين اللغات الإفريقية الكبرى بالحرف اللاتيني، وهو ما حدث مع عدد من اللغات الإفريقية مثل: الهوسا والسواحيلية والفولانية وغيرها. فبعد أن كانت تلك اللغات تُكتب بالحرف العربي لردح طويل من الزمن جاء المستعمر الأوروبي واستبدل الحرف العربي بالحرف اللاتيني في محاولة لطمس وتشويه الثقافة والهوية العربية لإفريقيا وفرض هيمنته السياسية والثقافية ليضمن بذلك وجوده في ربوع القارة ولو على المستوى الثقافي اللغوي فقط.[٢٧]

٣- العولمة الثقافية

أسهمت العولمة الغربية الجارفة في نشر الثقافة الغربية واللغة الإنجليزية بشكل واسع على حساب اللغات الحية في العالم بوجه عام وفي القارة الإفريقية بوجه خاص، وبطبيعة الحال لم تسلم اللغة العربية في إفريقيا من هذا الطوفان الجارف؛ فكانت النتيجة أن انتشرت الثقافة الغربية وسيطرت اللغات الأوروبية على المشهد اللغوي في إفريقيا في العصر الحديث، ناهيك عن تأثرها الواضح بالمعلوماتية وما تبعه من اقتراض المفردات الإنجليزية والفرنسية في لغة التخاطب بين الشباب على الشبكة العنكبوتية واستعمال الأرقام اللاتينية للتعويض عن أصوات عربية واستعمال الحرف اللاتيني لكتابة النصوص العربية وعدم الالتزام بقواعد العربية.

كل هذا أدى إلى تراجع وضع اللغة العربية ومكانتها في العديد من دول إفريقيا جنوب الصحراء.

٤- ضعف حضور العربية على المستويين المحلي والدولي

يرى البعض أن الثقافة العربية في إفريقيا المعاصرة هى ثقافة خارج السياق المحلي، معللين ذلك بأنه لا يوجد للعربية وجود ثقافي مستقلّ في المحافل الوطنية الإفريقية، إلى جانب غيابها عن أُطر الأنظمة والمؤسسات الرسمية الحكومية. ناهيك عن تهميش العربية في التعليم الجامعي والبحث العلمي وعزوف الجيل الجديد عن تعلم العربية.

أما ضعف الحضور العربي على المستوى الدولي؛ فإن له علاقة بالنظرة الدونية لمتحدثي العربية إلى أنفسهم، وقد لاحظ الكثير من الدبلوماسيين أن حضور اللغة العربية مثلاً في اجتماعات الأمم المتحدة يقتصر فقط على إلقاء الخطب وترجمتها، أما في أروقة الاجتماع، وفي المحافل المصاحبة، فإن العرب أنفسهم يتخاطبون فيما بينهم بالإنجليزية أو الفرنسية، وإذا خاطبهم غيرهم بالعربية فكثيراً ما يردون عليه بالإنجليزية أو بلغة أجنبية.

وقد تضافرت كل العوامل سالفة الذكر لتنال مع مكانة اللغة العربية في إفريقيا، وتقف حائلاً دون مزيد من انتشارها في ربوع القارة كافة، ناهيك عن الحملات العدائية الشرسة التي شنها الغرب ضد الثقافة العربية والإسلامية للحيلولة دون نفاذ اللغة العربية إلى الدول الإفريقية وحتى تظل اللغات والثقافات الاستعمارية هى المسيطرة على المشهد الإفريقي حتى يومنا هذا، الأمر الذي يستدعي بالضرورة مزيد من الجهود والمساعي لإعادة تمكين اللغة العربية في القارة الإفريقية حفاظاً على هويتها وثقافاتها وتعزيزاً للروابط العربية الإفريقية التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ.

المحور الثالث: دور علم اللغة الحاسوبي في تطوير اللغة العربية في إفريقيا

يذهب الكثير من اللغويين إلى أن العربية تُعد من أكثر لغات العالم استجابة للقالب الرياضي بأصواتها وبصرفها وبتركيبها، مما يجعلها – إذا جاز التعبير– لغة جبرية بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ. ولما كانت العربية لغة انصهارية Fusional Language [٢٨]، فقد كان من المفترض أن تكون أسبق من غيرها من اللغات في الولوج إلى الحاسوب، كي تواكب التطور الثورة التكنولوجية والتطور العلمي ومن ثم تصبح قادرة على اقتحام عالم الصناعة اللغوية العالمية.

وتتعدد أوجه الحوسبة اللغوية لتشمل الدراسات الأسلوبية، والمعجمية، والتأليف النصي، والترجمة الآلية، غلى غير ذلك من المجالات ذات الصلة. وتبرز مجالات المعالجة الآلية للغات الطبيعية في الأطر الآتية:

١- الأصوات والأنظمة الصرتية لتطوير برامج التعرف على الكلام وتوليفه آلياً.

٢- الصرف، وذلك لأغراض التحليل الصرفي للغة بهدف الترجمة الآلية، والتدقيق الإملائي وغير ذلك.

٣- وضع المعاجم اللغوية، على أن هذه المعاجم ينبغي أن تكون ممثلة لعدد كبير ومتنوع من مفردات اللغوية.

٤- النحو أو النظم، لأغراض مثل التفسير الآلي للكلام، وإنتاجه سواء لأغراض الاستفسار أم الترجمة الآلية.

٥- وضع برامج لمعالجة النصوص بغض النظر عن تراكيبها اللغوية أو معانيها، وتستمل هذه البرامج في وضع الفهارس والتصنيف والترتيب.[٢٩]

وتعد دراسة اللغة العربية باستخدام اللسانيات الحاسوبية من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية، والعلاقة بين الحاسوب واللغة العربية تقوم على محورين اثنين رئيسيين أحدهما نظري والآخر تطبيقي.[٣٠]

ويذهب بعض الباحثين إلى أن العربية لم تعد لغة تحتاج إلى مبادرات لإدماجها ضمن التكنولوجيا المعلوماتية، فلقد سجلت اللغة العربية ، بين عام ٢٠٠٠ م و٢٠١١م، أعلى نسبة نمو على شبكة الإنترنت مقارنة باللغات الأخرى؛حيث ساهمت زيادة استخدام تطبيقات الهواتف

النقالة ، ووسائل التواصل الاجتماعي، واعتماد بعض البلدان أسماء للنطاقات العلوية باللغة العربية، في زيادة المحتوى العربي.[٣١]

أما فيما يتعلق بدور علم اللغة الحاسوبي في تطوير اللغة العربية في إفريقيا، فيجب أن نشير أولاً إلى أن الباحثين في اللسانيات الحاسوبية استطاعوا وضع برامج حاسوبية لسانية في لغات غربية كثيرة طُبقت فيها جميع الخوارزميات[٣٢] الصورية التي تتعرفها الآلة، وهناك برامج كثيرة تجعل الحوار بين الإنسان الغربي والآلة ميسرا بلغته الطبيعية، نذكر منها: الترجمة الآلية والتوليف الصوتي والتعرف البصري على الحروف والمدقق النحوي والإملائي...إلخ. إلا أن التطبيق على اللغة العربية ما يزال في بداية الطريق، هذا على الرغم من أن هذه اللغة لا تختلف عن أي لغة في العالم فيما يتعلق ببرنامج الكفاية اللسانية، وما تتميز به اللغة العربية عن غيرها يجب أن يدفع بها إلى مقدمة اللغات العالمية في التعامل مع الآلة، فهي تقوم على مكونين رياضيين هما الجذر والوزن، وهما معا غير موجودين في أغلب لغات العالم؛ حيث يتولى الجذر وضع البنية الأساسية للكلمة، في حين يتولى الوزن وضع هيكلها العام، يقوم الوزن بتوزيع الحركات على مختلف حروف الجذر كما يقوم بتوزيع المورفيمات التي تضاف إلى مكونات الجدر بغرض توليد الكلمات (سوابق ودواخل ولواحق).

وقد اجتهد الباحثون في الهندسة الحاسوبية في وضع نموذج من الكفاية البشرية على الحاسوب بهدف توفير أسباب الحوار بين الإنسان والآلة، إلا أن نصيب اللغة العربية من هذه البحوث قليل ولا يشمل إلا بعض القطاعات الجزئية التي لا تحتاج إلى خبرة لسانية كبيرة، أما البرامج العربية الكبيرة فلا أظن أن البحث قد شرع فيها إلى اليوم، وسنبين أسباب هذا التخلف الذي تعرفه صناعة البرمجيات العربية. والأمر المؤسف هو أنه حتى يومنا هذا لا توجد لغة برمجة بالحرف العربي، على الرغم من المحاولات التي بذلت في هذا الصدد في بعض مراكز البحوث العالمية، هذا على الرغم من كون اللغة العربية لغة جبرية بالأساس.كما لا توجد مراكز بحثية يتم فيها التعاون بين المختصين في مجالي الحاسوب واللسانيات الصورية، وقد انعكس هذا التشتت في المجهودات سلبا على صناعة البرمجيات العربية.[33]

ولا شك أن تعزيز مكانة اللغة العربية في إفريقيا وتطويرها والتوسع في تعليمها للإفارقة الناطقين بغيرها لاسيما في الدول الواقعة جنوب الصحراء يحتاج إلى توصيف للقواعد قد لا يحتاج إليه ابن اللغة، ذلك الحاسوب يحتاج إلى توصيف القواعد العربية في حين لا يحتاج العقل البشري المجهز بالقدرة الفطرية إلى ذلك.[٣٤] فالدراسات اللغوية التي تتخذ

اللسانيات الحاسوبية محورًا لها تستند إلى فرضية مفادها أن وصف النحاة للنظام اللغوي يتجاوز عن كثير من القواعد التي يفترض أن العقل البشري يعيها بالحدس؛ فلا يصرح بتلك القواعد الضمنية لأن المقدرة العقلية البشرية الفطرية قادرة على احتوائها.

ولما كان هدف اللسانيات الحاسوبية هو جعل الحاسوب قادرًا على معالجة اللغة العربية تحليلاً وتوليدًا،[٣٥] كان لزاماً على الباحثين في هذا المجال القيام بتوصيف إضافي للنظام اللغوي للعربية يستهدف الناطق بغيرها.

ولا تعني إعادة التوصيف إلغاء ما وضعه النحاة الأوائل او الاستغناء عنه، بل تعني الانطلاق منه والبناء عليه في السعي نحو الكشف عن معايير وقواعد ليس لأبناء العربية حاجة إلى التصريح بها؛ إذ إن السليقة وحدها كافية كافية لهم لتهديهم إلى الاستخدام الصحيح. اما الناطقون بغير العربية فيفتقرون إلى هذه السليقة، ولا يكفيهم ما رسمه علماء النحو الاوائل من توصيف يعين من تسعفه سليقته. ومن هذا المنطلق، ظهرت إرهاصات توصيف جديد لقواعد العربية تعني بتعليمها للناطقين بغيرها، ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها، وينتحي سمت العرب في كلامها.

ومن أجل النهوض باللغة العربية في إفريقيا، ينبغي توظيف علم اللغة الحاسوبي الشكل الأمثل لتوصيف اللغة العربية على جميع المستويات اللغوية، وذلك على النحو التالي:

أولا: مستوى الأصوات والأنظمة الصوتية

تتألف العربية في نظامها الصوتي إلى أربعة وثلاثين فونيمًا[٣٦]؛ ثمانية وعشرين صامتا تتمثل في حروف الأبجدية العربية، وستة صوائت تمثلها الحركات الثلاث القصيرة الفتحة والكسرة والضمة، والحركات الثلاث الطويلة حروف المد. ويعني في الجانب الفوينمي بتوصيف تلك الأصوات آحادا على المستوى الأكويستيكي الفيزيائي؛ بحيث يكون لكل صوت صورة طيفية مرئية ذات ثلاثة أبعاد: بعد أفقي يمثل الوقت، وبعد عمودي يمثل التردد وبعد ثالث يمثل درجة الشدة يظهر في شكل سواد على ورق خاص.[٣٧]

إن المقصود بالأنظمة الصوتية أو علم الفونولوجي هو ذلك الفرع من علم اللغة العام الذي يُعني بدراسة النظام الصوتي للغة ما وتبيان وظائف الأصوات في التفرقة بين الوحدات اللغوية الأخرى كالكلمات وذلك بتمييز الأصوات إلى وحدات تقابلية، كالفونيمات والمعالم المميزة.[٣٨] إن التوصيف الفوناتيكي لأصوات العربية لا يكفي وحده ليمكن الحاسوب من تمييز

الفونيمات، بل يحتاج إلى توصيف آخر لما يعتري فونيمات العربية– في سياقها الوظيفي – من تغييرات تحكمها القواعد الفونولوجية على مستوى التشكيل الصوتي. فالحرف المضعف مثلا تزيد المدة الزمنية التي تستغرق نطقه، والدال في (أردت) تنطق تاء بسبب التأثير الرجعي، والباء في (سبت) يصيبها من أثر التاء المهموسة ما يزيل عنها صفة الجهر، ولفظ الجلالة (الله) بعد غير الكسر تكون فيه اللام مفخمة من قبيل التنوع الألوفوني، وكلمتا (سوط – صوت) قد يتطابقان في سياق الأداء النطقي، ولام (ال) لا تنطق إذا تلتها إحدى الحروف الشمسية.

وعليه فإن تصميم برنامج حاسوبي يستدخل الحدث الكلامي المنطوق ويحوله إلى نص مكتوب يتطلب الوقوف على تلك المواضع التي تتغير فيها صفات الفونيمات تأثرًا بما يجاورها على مستوى الكلمة. وعند مستوى الجملة ينبغي التنبه إلى ما ينطق من الفونيمات ولا يكتب كالتنوين والمد، وكذلك ينبغي التحرز من الفونيمات التي تكتب ولا تنطق كهمزة الوصل واللام الشمسية وألف (مائة) والتاء المربوطة عند الوقف والألف الفارقة بعد واو الجماعة، والألف المقصورة المتلوة بـ(ال).[٣٩]

ثانياً: المستوى الصرفي

يُعني علم الصرف **Morphology** براسة بناء الكلمة، ومن ثم فإن توصيف النظام الصرفي يهدف إلى تمكين الحاسوب من التعامل مع المورفيمات[٤٠] المكونة للتراكيب اللغوية المتنوعة. وهنا ينبغي التمييز بين مطلبين متمايزين: يتمثل الأول في قدرة الحاسوب على (التوليد)؛ أي صوغ الأبنية اللغوية السليمة بخطوات إجرائية محددة على نحو شامل مستقص، ويتمثل الآخر في قدرة الحاسوب على (التحليل)؛ بمعنى تعيين المعاني الصرفية وتفكيك التراكيب اللغوية إلى وحداتها الصرفية الصغرى حين ترد في سياق الجملة أو سياق النص.

ومثال استيفاء المطلب الأول أن نمكن الحاسوب من توليد الفعل الماضي بنوعيه المجرد والمزيد لأي مادة معجمية مستدخلة، ويقتضي ذلك توصيفًا لما يطرأ على عناصر الجذر من تغيير في حركات المبنى لدى البناء للمعلوم والمجهول، ثم ما يعتريها من زيادات وتغيير في حركات المبنى لدى صوغ الأفعال المزيدة مبنية للمعلوم والمجهول. فيكون مخرج الحاسوب من المادة المعجمية (ك ت ب) كَ تَ بَ و كُتِبَ للمجرد، ثم أكتب وكتب وكاتب وانكتب واكتتب وتكاتب وتكتب واكتب واستكتب وغيرها مما يصح قياسًا على أوزان الفعل المزيدة ثم

الأفعال المبنية للمجهول من تلك الأفعال المزيدة بما يعتريها من تغيير في الحركات أو الاعتلال والقلب.[٤١]

ثالثاً: المستوى النظمي أو النحوي

إن المقصود بالمستوي النظمي أو النحوي هنا هو توصيف النظام الإعرابي، ويتطلب ذلك تصنيف كلم العربية إلى المبني والمعرب، ذلك أن المبنى سيتم إدخاله في الحاسوب على هيئة لا تتغير، فلا يحتمل غير وجه واحد لقراءته أو لضبط آخره. ويتركز الجهد هنا على الاسم المعرب والفعل المعرب، فيستثني الحرف والفعل الماضي وفعل الأمر والأسماء المنفية؛ كونها جميعا تلزم بنية وحيدة في جميع أحوالها ومواقعها السياقية، ويكون أمر ضبطها بالشكل منوطًا بتوصيف النظام المورفولوجي لأبوابها النحوية كافة. وسنستثني كذلك ما يجيء في باب المعرب مما لا تتبدل حركة آخر كالمثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة والأفعال الخمسة والمضارع المجزوم معتل الآخر، معولين في ذلك على سلامة النص من الأخطاء النحوية، وقاصرين جهدنا على التشكيل فحسب، لا التدقيق اللغوي.

رابعاً: المستوى الدلالي

يُعد توصيف النظام الدلالي للغة العربية بمثابة العمود الفقري للمعالجة الآلية؛ ذلك أن جل عمليات المعالجة الآلية للتراكيب اللغوية تستند بشكل من الأشكال عليه وتحيل إليه. ويعد عند الباحثين في حقل اللسانيات الحاسوبية أكثر المباحث صعوبة لتعلق دلالات الألفاظ بداهة بـ (الفهم) البعيد الممال عن الحاسوب في المستقبل ذلك أن الدلالة قد تكون معجمية أو صرفية أو نحوية أو مجازية أو إيحائية، وهي تعني في الذاكرة البشرية كل ما يتداعى إلى ذهن ابن اللغة من علائق ومعانٍ تتصل باللفظة.

مثال ذلك كلمة (كاتب) التي تحشد في بابها تفاصيل متراكمة تماهي ما يتداعى إلى ذهن ابن اللغة أول وهلة التعرض إليها، يمثل أولها الدلالة المعجمية للجذر (كتب) ثم احتمالات قراءتها إما على صيغة اسم الفاعل او المزيد بحرف ماضيا او أمرا. فإذا ما تعينت حركات المبني باسم الفاعل مثلا تعينت سمات الكلمة من كونها اسم يقع في المواقع الإعرابية للاسم من الابتداء والخبرية والفاعلية والمفعولية.[٤٢]

وبعد أن استعرضنا كيفية توصيف النظام اللغوي للعربية على المستويات كافة بدءاً بالمستوي الصوتي ومروراً بالمستوي الفونولوجي والمورفولوجي والنحوي وانتهاءً بالمستوى الدلالي؛ مما يساعد على خلق حوار طبيعي بينها وبين الحاسوب، بحيث يصبح بمقدور

المستخدم الإفريقي غير الناطق بالعربية تلقي العربية وتعلمها بكل سهولة ويسر وهو الأمر الذي سيزيد من فرص العربية في الانتشار في ربوع القارة الإفريقية والوصول إلى شرائح أكبر من الأشخاص الراغبين في تعلم العربية وثقافتها.

فالعربية – في ضوء علم اللغة الحاسوبي– لديها من الفرص والإمكانات ما يضمن لها مستقبلاً مشرقاً في إفريقيا؛ شريطة الاستغلال الأمثل للفرص والتوظيف الجيد لكل الإمكانات بدءاً من توظيفها في كافة مناحي الحياة في إفريقيا، وجعلها لغة العلم والمعرفة، واستخدام الحرف العربي لإعادة تدوين اللغات الإفريقية، وذلك عن طريق تصميم برامج بالاستعانة بالهندسة اللغوية وعلم اللغة الحاسوبي بحيث يمكن كتابة اللغات الإفريقية الكبرى بالحرف العربي مع مراعاة السمات اللغوية لهذه اللغات.

خاتمة

عرضنا عبر هذه الورقة البحثية لموضوع علم اللغة الحاسوبي ودوره في تطوير اللغة العربية في إفريقيا. بدأت الورقة بعرض للتعريفات المختلفة التي ساقها اللغويون لمصطلح علم اللغة الحاسوبي أو اللسانيات الحاسوبية، ثم انتقلت إلى تناول واقع اللغة العربية في إفريقية والتحديات التي تواجهها، وانتهت بعرض لكيفية توظيف علم اللغة الحاسوبي في تطوير اللغة العربية في إفريقيا. وقد خلصت الورقة إلى عدد من النتائج نوجزها على النحو التالي:

– أبسط تعريف لعلم اللغة الحاسوبي هو أنه فرع من فروع علم اللغة التطبيقي يقوم على ربط اللغة الإنسانية بالحاسوب، وهو مجال جديد يوظفه اللغويون في عدد كبير من المجالات لاسيما مجال الإحصاء اللغوي، والترجمة الآلية، وصناعة المعاجم الإلكترونية، والهندسة اللغوية.

– ثمة علاقة وطيدة تربط بين اللغة العربية وقارة إفريقيا، تلك العلاقة التي ابتدرها التواصل اللغوي قديماً، ثم عززها انتشار الإسلام في ربوع إفريقيا. ولقد تعدد استخدامات العربية في قارة إفريقيا فهي لغة رسمية لإحدى عشرة دولة إفريقية وهى لغة تواصل وتفاهم مشترك بين عدد كبير من السكان الأفارقة كما تتمتع بحضور ملحوظ في المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام المختلفة والكتابات الأدبية وما إلى ذلك.

– كانت العربية بمثابة النبع الفياض لعدد لا يستهان به من اللغات الإفريقية المحلية؛ فأخذت الأخيرة منها الكثير من المفردات والتراكيب، كما أمدت العربية بعض اللغات الإفريقية بنظامها الكتابي الأول قبل الغزو الأوروبي العسكري– الثقافي للقارة.

– واجهت العربية ولاتزال تواجه العديد من التحديات والمعوقات منها: التغول اللغوي الأووربي ومزاحمة اللغات الأوروبية لها، وإثارة النعرات القومية والتعصب العرقي، وتشجيع العامية على حساب الفصحى، وتدوين اللغات الإفريقية بالحرف اللاتيني، والعولمة الثقافية، ناهيك عن الحملات العدائية ضد العرب والمسلمين وضعف حضور اللغة العربية على المستويين المحلي والعالمي.

– يمكن توظيف علم اللغة الحاسوبي في توصيف اللغة العربية على المستويات اللغوية كافة بغرض تعليم العربية للأفارقة من الناطقين بغيرها، وكذا عمل المعاجم الإلكترونية والترجمة الإلكترونية مما يسهم في نشر العربية بين الأفارقة على اختلاف منازعهم ومشاربهم ومن ثم تعود العربية لتتبوأ مكانتهم اللائقة في القارة الإفريقية قاطبة.

وفي هذا الصدد تقترح الدراسة:

١- تدريس مقرر الحاسب الآلي في مختلف المراحل التعليمية في الدول الإفريقية.

٢- تدريس مقرر علم اللغة الحاسوبي في المدارس الثانوية والمعاهد والجامعات الإفريقية.

٣- إنشاء معامل متخصصة واستقدام أساتذة متخصصين في مجال البرمجيات والهندسة اللغوية للتدريس بالجامعات الإفريقية.

٤- تطوير طرائق التدريس والوسائل التعليمية المستخدمة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في إفريقيا.

٥- تصميم برامج لإعادة كتابة اللغات الإفريقية الكبرى كالهوسا والسواحيلية والفولانية واليوروبا والأمهرية والماندينكو غيرها بالحرف العربي.

٦- التوسع في تعليم اللغة العربية في إفريقيا باستخدام أنظمة التعليم الإلكتروني أو المدمج.

٧- إنشاء معاهد ومراكز متخصصة لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في مختلف الدول الإفريقية لاسيما الدول الواقعة جنوب الصحراء.

٨- إعداد جيل شاب من الأفارقة متخصص في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

٩- التوسع في إيفاد الأفارقة من حاملي لواء العربية لاستكمال دراساتهم في الدول الأوروبية المتقدمة لاسيما في مجال علم اللغة التطبيقي والهندسة اللغوية.

قائمة المراجع والهوامش

١ عاصم شحادة علي وآخرون: اللسانيات التطبيقية الحديثة للمتخصصين في العربية وآدابها "مدخل وصفي". الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا للنشر، ماليزيا، ٢٠١٥، ص١٩١.

٢ رضا بابا أحمد: اللسانيات الحاسوبية: مشكل المصطلح والترجمة. جامعة معسكر– الجزائر، ص ١. http://www.aot.org.lb/Attachments/Attachment90_120.pdf

٣ رمزي منير بعلبكي: معجم المصطلحات اللغوية. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص ١١٠.

٤ جاك سي. ريتشاردز، جون بلات، وهايدي بلات: معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي – إنجليزي – إنجليزي– عربي. تعريب: محمود فهمي حجازي، رشدي أحمد طعيمة (تحرير) وجدي رزق غالي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، تيبو برس، لبنان، ٢٠٠٧، ص ١٣٨.

٥ رضا بابا أحمد، مرجع سابق، ص ٥.

٦ عمر مهديوي: توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية – مقاربة لسانية حاسوبية – الجزء الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الدار البيضاء، ٢٠٠٨، ص. ١٧.

٧ المرجع السابق، ص ص ٥–٦.

٨ ثمة فوائد عديدة لعلم اللغة الحاسوبي فيما يتعلق بالتفاعل بين الإنسان والحاسوب. حيث إن هذا العلم يمكن المستخدمين من إدخال مدخلاتهم إلى أنظمة الحاسوب بشكل أكثر سهولة من الناحية النحوية والدلالية دون الحاجة إلى استخدام لغة مصطنعة خاصة. علاوة على ذلك فإن الطبيعة التفاعلية لأنظمة الحاسوب التي تسمح بالتحاور مع الإنسان تسمح للنظام بالقيام بالتصحيح الآلي للمدخلات أو طلب تصحيح المدخلات الخاطئة من المستخدم في حال عدم قدرته على القيام بالتصحيح التلقائي. حيث يمكن لهذا النظام أن يقول للمستخدم مثلاً: "أرجو إعادة صياغة هذه الجملة". للمزيد من التفاصيل راجع: صلاح الناجم: علم اللغة الحاسوبي، مرجع سابق.

٩ عمر مهديوي، مرجع سابق، ص. ٢١.

١٠ نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد، ١٨٤، إبريل، الكويت، ١٩٩٤، ص ٣٥٩.

١١ عمر مهديوي، مرجع سابق، ص. ٣٦.

١٢ محمود أحمد السيد: اللسانيات وتعليم اللغة، الطبعة الأولى، دار المعارف للطباعة والنشر، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة، العدد، ٩، تونس، ١٩٩٨، ص، ١٣٧.
١٣ جاك سي. ريتشاردز، وآخرون، مرجع سابق، ص ١٤١.
١٤ المرجع السابق، ص ١٤٠.
١٥ المرجع السابق،
١٦ آدم بمبا: اللغة العربية بإفريقيا..تشخيص لواقعها واستشراف لمستقبلها. مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٨ أكتوبر–ديسمبر، ٢٠١٣، ص ١٠٦.
١٧ المرجع السابق، ص ٤٥.
١٨ المرجع نفسه، ص ٩٨.
١٩ محمد الأمين أبو منقة: اللغة العربية واللغات الإفريقية الأخرى، كرسي التراث المغربي الإفريقي المشترك، سلسلة: محاضرات (٣٠)، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس–السويسي، الرباط، ٢٠٠٦، ص ١١.
٢٠ آدم بمبا ، مرجع سابق، ص ١٠٦. .
٢١ يوسف الخليفة أبو بكر، وآخرون: اللغات في إفريقيا– مقدمة تعريفية، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠٠٦، ص ص ١١١–١١٢.
٢٢ المرجع السابق، ص ١١٢.
٢٣ عمر عبد الفتاح: واقع اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء. أعمال المؤتمر الدولي " اللغة العربية والعولمة وجهاً لوجه"، ٢٣–٢٥ نوفمبر ٢٠٠٨، جامع مالانج الحكومية، إندونيسيا، ٢٠٠٨، ص ٤٥٥.
٢٤ الخليل النحوي: إفريقيا المسلمة–الهوية الضائعة. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، ص ٤٧.
٢٥ شيخ صمب: كبرى اللغات بإفريقيا وأثرها في نشر التعليم الإسلامي. مجلة قراءات إفريقية، العدد ١٨، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٣، ص ٤٦.
٢٦ محمد أحمد عبد الهادي: التحديات التي تواجه اللغة العربية في إفريقيا.
http://www.alrakoba.net/news-action-show-id-170346.htm (11/1/2017)
٢٧ أبو بكر عبد الله شعيب: اللغة العربية في إفريقيا–الواقع والتطلعات.
http://shanti.jordanforum.net/t2013-topic (1/12/2016)

٢٨ لغة انصهارية Fusional Language : تسمى أيضاً لغة متصرفة inflecting language، وهى اللغات التي تلجأ إلى التعبير عن أكثر من وظيفة نحوية باستخدام أداة واحدة في كلمة ما، كما يحدث في اللغة العربية؛ فالتنوين قد يكون للنصب والتنكير معاً، والألف والنون للرفع والتثنية معاً، كما أن الألف والنون تؤديان وظيفة التثنية في الأفعال والأسماء، أي أن الوظيفتين منصهرتان في أداة واحدة، ولكن في أكثر من كلمة. (انظر: رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٢٠٥).

٢٩ عاصم شحادة علي وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١٩٨-١٩٩.

٣٠ نفس المرجع السابق، ص ١٩٩.

٣١ محمد تفسير بالدي: اللغات الافريقية في التكنولوجيا المعلوماتية. مجلة قراءات افريقية، العدد ٢٦، أكتوبر-ديسمبر، ص٩٦.

٣٢ أسلوب يستخدم في علم اللغة وعلم الأصوات بهدف تبسيط مسألة لغوية ما بإظهارها في سلسلة متتالية من النقاط البسيطة كالتي في الجداول المستعملة في مناهج الحاسبات الإلكترونية. (انظر: بعلبكي، مرجع سابق، ص ص ٣٧-٣٨).

33 محمد محمد الحناش: اللغة العربية والحاسوب (قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية) أو مقاربة في محاكاة الدماغ العربي لغويا. جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٢، ص ص ٢-٤.

٣٤ وجدان محمد صالح كنالي:اللسانيات الحاسوبية العربية: الإطار والمنهج. المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، (د.ت) ، ص ص ٣-٤.

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_research-316741129-1408006014-352.pdf

٣٥ وجدان محمد صالح كنالي، مرجع سابق، ص ص ٨-٩.

٣٦ الفونيم: هو الوحدة التقابلية الصغرى المجردة في النظام الصوتي للغة ما تحققه الأصوات الكلامية. انظر (بعلبكي، ص ٣٧٢).

٣٧ وجدان محمد صالح كنالي، مرجع سابق، ص١٠.

٣٨ رمزي منير بعلبكي، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

٣٩ وجدان محمد صالح كنالي، مرجع سابق، ص ١١.

٤٠ المورفيم هو الوحدة التقابلية الصغري في النحو، وهي موضوع علم الصرف. وقد حل هذا المصطلح محل الكلمة، وهو البند الأول في الهرمية النحوية. (انظر: رمزي منير بعليكي، مرجع سابق، ص ٣١٦).

٤١ وجدان محمد صالح كنالي، مرجع سابق، ص ١٢.

٤٢ المرجع السابق، ص ١٦.

ثنائية الاتساق والانسجام
(قصيدة رسالة النبيّ في حاشية البحر أنموذجاً)

د. سطام عواد نايف القويدر
كلية الآداب، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة نظرية الاتساق، وأدواتها المتعددة وتطبيقاتها، ونظرية الانسجام وآلياتها وأدواتها، مع الإشارة إلى كيفية تطبيق هاتين النظريتين على نص شعري للشاعر الفلسطيني محمد القيسي، وتعد نظرية الاتساق والانسجام من النظريات الحديثة التي يعوّل عليها كثيراً في تحليل النصوص، ولا سيما الشعرية، بحيث يتواصل الباحث والقارئ وبالاعتماد على آليات معينة إلى أن النص الذي وقف عليه متسقاً ومنسجماً، أو غير ذلك.

وقد حفلت نظرية الاتساق والانسجام بالدراسات الكثيرة، وحظيت باهتمام وافر، وتعدُّ دراسة هاليداي ورقية(الاتساق في اللغة الانجليزية)، من أهم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع لما يحمله من أهمية وفائدة تعود على لغتنا بالجمال والنفع.

أما هذا البحث فهو عبارة عن عرض تطبيقي لنص شعري، للشاعر الفلسطيني محمد القيسي، هو(رسالة النبيّ في حاشية البحر)، وفيه طبقت آليات نظرية الاتساق المتمثلة: بالإحالات، والحذف، والاستبدال، والوصل، والاتساق المعجمي، وترصد مدى تحقيق مستوى الاتساق فيها، ومن ثم اعتماد آليات الانسجام المتمثلة بالبنية الكلية، وموضوع الخطاب، والتشتت والانقطاع؛ لتغلب على الحواجز والثغرات التي أحدثتها آليات الاتساق.

يعد القيسي نموذجاً فريداً للشاعر الذي يعيش من أجل قصيدته، وحياته كلّها مسخّرة للورق، وهو شاعر يجول عوالم التجربة الشعرية ببعديها الجمالي والنقدي، يغرق في بئر متجدد، عبر أزمانه، بئر مليء بالحب والغموض والألم، والسفر والتجوال والقلق، حاملاً على أكتافه هموم أمته، وأبناء شعبه.

وتتوقف هذه الدراسة على قصيدته(رسالة النبيّ في حاشية البحر)، من مجموعة أعماله الشعرية(إناء لأزهار سارا، زعتر لأيتامها)، وأخذت في هذا البحث من دراسات سابقة تتناول نظرية الاتساق والانسجام، أشرت إليها في ثبت المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الاتساق- الانسجام- محمد- القيسي- رسالة- النبي- البحر- الخطاب.

Abstract:

The research aims to study the theory of consistency, its multiple tools and applications, and the theory of harmony and its mechanisms and tools, with reference to how these two theories are applied to a poetic text by the Palestinian poet Muhammad al-Qaisi,

and the theory of consistency and harmony is one of the modern theories that rely heavily on the analysis of texts, especially Poetry, so that the researcher and the continent communicate, and rely on certain mechanisms, until the text on which it stood is consistent and harmonious, or otherwise.

The theory of consistency and harmony has been attended by many studies, and it has received a lot of attention.

The study of Halliday paper (consistency in the English language) is one of the most important studies that dealt with this subject because of the importance and benefit it brings to the meeting with beauty and benefit.

As for this research, it is an applied presentation of a poetic text by the Palestinian poet Muhammed Al-Qaisi, which is (the message of the Prophet in the footnote to the sea).

Then adopting the mechanisms of harmony with the overall structure, the subject of discourse, dispersion and discontinuity; overcoming the barriers and gaps created by the mechanisms of consistency. Al-Qaisi is a unique model for the poet who lives for his poem, and his entire life is paper-mocking.

He is a poet wandering the worlds of poetic experience with its aesthetic and critical dimensions, drowning in a renewed well, through his times, a well filled with love, mystery and pain, traveling, wandering and anxiety, carrying on his shoulders the concerns of his nation and the people of his people.

This study depends on his poem (The Message of the Prophet in the footnote to the sea), from his collection of poetic works (Sara flower pot, thyme orphans), and I took in this research from previous studies dealing with the theory of consistency and harmony, I referred to in proving references and sources.

Key words: consistency - harmony - Muhammad Al-Qaisi - the message of the Prophet - the sea - speech.

الاتساق مظاهر التحقق والاختلال:

إنّ مفهوم الاتساق، مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص، ويمكن أن تسمى هذه العلاقة تبعية وخاصة، حين يستحيل تأويل عنصر دون الاعتماد على العنصر الذي يحيل إليه، والاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضاً في مستويات أخرى كالنحو والمعجم[١].

يقصد بالاتساق، ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية(الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لذلك النص[٢]، وبناءً على ذلك فإنَّ الأدوات التي يمتحن الاتساق بها، أدوات لسانية، كإحالات الضمائر، والاستبدال، والحذف، والاتساق المعجمي.

الإحالات:

إنَّ الإحالة من الأدوات التي تسهم في تحقيق اتساق النص، فما المقصود بالإحالة؟ فهي عودة بعض عناصر الملفوظ على عناصر لفظية أخرى نقدرها داخل السياق، أو في المقام(خارجه).

إنطلاقاً من تصور مفاده أنَّ العناصر المحلية لا تكتفي بذاتها، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[٣]، وهي حسب ما يراه كل من (هاليداي ورقيه حسن)، إنها تتمثل في أسماء الإشارة والضمائر، وأدوات المقارنة، فهي تنقسم إلى نوعين: الإحالة المقامية، والإحالة النصيّة، وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية، وإحالة بعدية، ففي باب الإحالة المقامية، وهي إحالة كما يرى الباحثان(هاليداي ورقيه حسن)" تساهم في خلق النص، ولكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلاّ أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"[٤].

إنَّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة؛ فالأسماء تحيل المسميات، فالمتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب) أي أنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة[٥].

---

١ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص١٥.

٢ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٥.

٣ – حمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٧.

٤ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٧.

٥ – براون ويول ، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ص٣٦.

تواجهنا الضمائر منذ مطلع القصيدة، حيث يقول الشاعر محمد القيسي في قصيدته:

إنّها تمطر الآن، تمطر، تمطر،...[1]

يمثل الضمير العائد على الغائب في كلمة (تمطر)، أول إحالة مقامية، فمن المحال إليها، هل هي نيران الاحتلال، أم هي عيون الأمهات، والأبرياء من شعب فلسطين، أم هي الحياة بمصائبها وهمومها؟.

إنَّ الإحالة واسعة الإشكالية، ولكنها تفتح أمام المتلقي ميداناً واسعاً للتأويل، إلا إنها لا تسهم في اتساق النص، ولكن تسهم في خلق النص، وذلك بربطها الملفوظ بسياق المقام[2]، أي أنَّ دورها تأويلي وليس لسانياً، ويقول القيسي في مقطع آخر:

إسمعي يا جراحي وعي
من قديم لدغنا، لدغنا
ومثل كل الغزاة، وكل الطغاة بنا
لا تقولي- فتغضب في الدما- لم تكن مؤمنا
كنت أو من أنت شمسي
وأنت يومي وأمسي
وأنت صباحي الذي سوف يشرق منك سيأتي
إسمعي يا جراحي وعي[3].

فالإحالات المقامية نجدها في هذا المقطع كثيرة، منها: ياء المتكلم في (جراحي، شمسي، يومي، أمسي، صباحي)، فمن المحال إليه؟ هل هو الشاعر، أم الانسان العربي، أم ابن القضية الفلسطينية، فالإحالة واسعة الإشكالية، ونجده في نفس المقطع، يعود إلى الضمير العائد على الجماعة في(لدغنا، وبنا)، فمن هم المحال إليهم في هذا النص؟ هل هم الشرفاء من أبناء هذه الأمة، أم أبناء فلسطين الذين عانوا ويلات الاحتلال، أم الشاعر يتكلم بأسم الجماعة؟ ثم ينتقل إلى (الأنا) في (كنتُ).

فهذا يزيد القارئ إرباكاً حول ما يحدث، إنَّ الشاعر ينتقل بنا من الضمير العائد على المفرد إلى ضمير الجماعة، ثم إلى ضمير المفرد، وهذا مثير للغرابة، حيث نجد الشاعر في مقطع آخر يقول:

---

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤–٨٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م، ص٣١٩.

٢ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٧.

٣ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤–٨٤، ص١٧ .

ثمة وقتٌ لنا فاسمعي
يا جراحي وعي[1]

وهذا يبين لنا تقلب الشاعر بالضمائر، مما يثير القارئ، ويفتح أمامه آفاقاً للتأويل، فما هو الوقت وماذا قصد به الشاعر في الضمير(لنا)، وعلاقته بجراحه، فإنه يضعف من اتساق النص، ويساهم في انسجامه.

ولعلَّ الشاعر يدفع بالقارئ إلى مشاركته تلك المصائب التي أحلّت به، وما أحلَّ بتلك الأمة منذ القدم، والمتتبع لتاريخ تلك البقعة الطاهرة، يجد أنها كانت مسرحاً للطامعين والغزاة، فشاعرنا يعيش تلك اللحظة المأساوية من تاريخ أمته، فهو يعيش النكسة، وآهات الأمهات، وصرخات الأطفال الأبرياء، فجراحه تنزف لما يحدث، ويبين الشاعر لهذه الأمة إنها كانت مطمعاً للغزاة، وعليها أن تعي وتفهم ما يدور حولها من مخاطر، لكي يشرق يوم جديد، تندثر معه الأحزان والويلات.

أما النمط الثاني من الإحالات فإنه يسمى الإحالة النصيّة، فالإحالة النصيّة على عكس المقامية التي تحيل إلى خارج النص، تعتمد على مهارة التأويل، فهي تحيل إلى سابق في النص أو لأحق، و تحقق درجة عالية من تماسك أجزاء النص؛

لوجود المحال في ذلك الموقع، وهي إحالة قبلية، ويلتفت قسم منها إلى الوراء، أو الخلف، وتسمى إحالة بعدية[2].

يؤكد محمد خطابي في كتابه (لسانيات النص)، أنّ الإحالة النصيّة تعتمد اعتماداً كليّاً على ضمائر الغائب(هو، هي، هما، هم، هن)، حيث يقول[3]: "....أما الضمائر التي تؤدي دوراً هاماً في اتساق النص، فهي تلك التي يسميها المؤلفان[*] أدواراً أخرى(other weles)، ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً أو تثنية أو جمعاً".

وعند البحث عن مثل هذه الإحالات داخل القصيدة، نجد إنها قد ساهمت في اتساق النص، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

---

١ ـ حمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤ـ٨٤، ص٣٢٥.

٢ – براون ويول، تحليل الخطاب، ص٢٣٨– ٢٣٩ .

٣ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٨.

(*) يقصد بالمؤلفين(هاليداي ورقية حسن).

والنبيّ الطريد يواصل تغريبة الله في الأرض
تغريبة الأمهات المحاطات بالكره والبغض
ينثر أحزانه في البلاد زهورا
يمدّ جسورا
ويدعو إلى الماء والماء
يدعو إلى البيت
يدعو إلى جبل نافر
ويشدّ الحزام...
يواصل تغريبة الله
شارة بدءٍ إلى الزوبعه[1]

نلاحظ في المقطع السابق إحالة نصية في (يواصل، تنشدُّ، يمدُّ، يدعو، تنثر)، بالضمير المستتر وتقديره هو، العائد على متقدم في النص، وهو (النبيّ)، وهذا يعدُّ مثالاً على الإحالة القبلية؛ لأنَّ المحال إليه سابق في النص، فقد ساهمت في ربط أجزاء النص وحققت درجة عالية من التماسك.

ويقول الشاعر محمد القيسي في مقطوعة أخرى:

إسمعي يا جراحي وعي
من قديم لدغنا، لدغنا
ومثل كل الغزاة، وكل الطغاة بنا
لا تقولي- فتغضب في الدما- لم تكن مؤمنا
كنت أومن أنك شمسي
وأنك يومي وأمسي
وأنّ صباحي الذي سوف يشرق منك سيأتي
إسمعي يا جراحي وعي[2].

وعند تتبع الإحالات النصيّة في هذه المقطوعة، نجد أنها أحدثت ترابطاً بين أجزاء النص، وخففت التشتت الذي أحدثته الإحالات المقامية، فنجد الإحالة النصيّة في (تقولي، أنَّك، منكِ، وعي، وعي)، فضمير المخاطب(أنت) يعود على (الجراح)، ويعود الضمير المستتر

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٠–٣٢١.

٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٥.

وتقديره (هو) على (صباحي) في (يشرق، سيأتي)، وبهذا أحدثت الضمائر تماسكاً في النص، فكلَّها تحيل إلى سابق في النص.

ومن أمثلة الإحالة البعدية، يقول محمد القيسي في المقطوعة الأولى:

كانَ يمشي إلى السوق والبحر
كانت خطاه المدى والصدى
كانَ يحكي مع الصمت
كانَ ينزِ على شرفة الموت
كانَ يلوِ ن بالأحمر الفاقع
الأصفر الجازع
الأبيض الساطع
الأسود الفاجع
الليل والأشرعة
(يخرج البحر من ثوبه الأزرق هائجاً: كيف نلتقي!) [1]

وفي المقطوعة الثانية يقول القيسي:

لا يجيب النبيّ المحاصر بالموج
لكن ينادي، اخرجي يا عصافير جرحي
اخرجي يا دمائي[2]

يعود الضمير المستتر وهو في (كان ، يمشي، كان، يحكي، يحكي، كان، ينزُّ، يلوِّن)، على النبيّ، وهذا يعدُّ مثالاً على الإحالات البعدية التي ساهمت في ربط عناصر النص، وأحدثت نوعاً من التماسك.

ومن الآليات الأخرى التي يقوم عليها الإحالة النصيَّة، المقارنة وهي مقارنة بين عنصرين من حيث التشابه والاختلاف، وعند البحث عن هذه الآلية داخل القصيدة، نجد أنها محدودة، ولا يمكن جعلها أداة للاتساق، لعلَّ أقرب الأمثلة على ذلك قوله:

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣١٩.

٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٠.

والنبيُّ الطريد يواصل تغريبة الله في الأرض
تغريبة الأمهات المحاطات بالكره والبغض[١]

فتبدو المقارنة القائمة على التشابه بين تغريبة ذلك النبيّ الطريد، وتغريبة الأمهات المحاطة بالكره والبغض، أما المقارنة القائمة على الاختلاف، فتبدو في قوله:

يدعو إلى الوقت والموت[٢]

فالاختلاف هنا بين (الوقت)، ذلك الزمن المستمر غير منقطع، و(الموت)، وهو انقطاع الزمن وعدم استمراريته، فالوقت ذلك الأمل المنتظر، نور المستقبل المشع، والموت هو نهاية النهاية، حيث لا أمل يرجى ولا نور يشع، ولعلَّ الشاعر يدعو إلى الموت من أجل الوقت، فلا أمل يرجى بدون موت.

الاستبدال:

رأى الباحثان(هاليداي ورقيه حسن) أنَّ عملية الاستبدال تتم داخل النص، وإنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، والاستبدال شأنه شأن الإحالة، إلاَّ أنه يتم في المستوى النحوي – المعجمي بين كلمات أو عبارات، وهو وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص[٣]، لذا فعلاقة الاستبدال تمثل شكلاً من العلاقات النصيّة القبلية؛ لأنَّ العنصر المتأخر يأتي بديلاً لعنصر متقدم[٤].

ومن الأمثلة على ذلك قوله:

والنبيُّ الطريد يواصل تغريبة الله في الأرض
تغريبة الأمهات المحاطات بالكره والبغض
ينثر أحزانه في البلاد زهورا
يمدُّ جسورا[٥]

نجد أنَّ الشاعر في النص السابق قد استغنى عن (النبيّ الطريد) بالضمير الهاء، وفي كلمة أحزانه، وفي قوله أيضاً:

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٠.
٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢١.
٣ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٩.
٤ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢م، ص٦ .
٥ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٠.

يعقد الموج مؤتمراً دامياً
حيث يدعو إليه السنابل والعشب والقبرات
لبحث مصير النبي الطريد[١]

فالشاعر في هذا المقطع استغنى عن (المؤتمر) بالضمير الغائب في كلمة (إليه)، ويقول أيضاً:

لم يعد مستطاع الخروج متاحا
يشع النبي رؤى وجراحا
عصافيره قيدت[٢]

فالضمير في كلمة (عصافيره) تعود على متقدم في النص، وهو (النبيّ)، وبذلك فقد استبدل الشاعر (النبيّ) بالضمير المتأخر في عصافيره، وعند النظر في القصيدة نجد أنَّ هذه الآلية قد حققت نوعاً من تماسك النص، مقارنة مع غيرها من أدوات الاتساق.

الحذف:

وهو علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أنَّ الحذف علاقة قبلية[٣]، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين الحذف والاستبدال إلاَّ أنَّ ثمة اختلافاً بينهما، يتمثل في أنَّ الاستبدال يترك أثراً، إذ يبقى عنصر من العناصر المستبدلة في موقع الاستبدال، في حين أنَّ الحذف لا يترك أثراً، مما يدفع المتلقي إلى النهوض بمهمة التقدير، مما يحفز مهارة التأويل التي يمكن أن نعجها مهارة انسجام أولاً[٤]، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

إنَّها تمطر الآنَ، تُمطر، تُمطر،...[٥]

ففي قول الشاعر (تُمطر، تُمطر)، تقدير لكلام محذوف، نقدره من قوله: إنَّها تمطر الآن، إنَّها تمطر الآن)، فهو بذلك يقودنا إلى تأكيد استمرارية المطر، واستمرار النكسة

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢١.
٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٢.
٣ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٢١.
٤ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص٦.
٥ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣١٩.

والمعاناة التي تعيشها الأمة في ظل شبح الطغيان، وشبح الاحتلال الظالم، ومن الأمثلة أيضاً على الحذف قوله:

كانَ يلوِّنُ بالأحمر الفاقع
الأصفر الجازع
الأبيض الساطع
الأسود الفاجع[1]

وتقدير الكلام هو (كان يلوَّن بالأصفر الجازع، وكان يلوَّن بالأبيض الساطع، وكان يلوَّن بالأسود الفاجع)، واعتمدنا في هذا التقدير على ما سبق في قوله: (كان يلوِّن بالأحمر الفاقع)، فهذا الحذف يحدث نوعاً من التشتت والإرباك للمتلقي، مما يفتح أفاقاً للتأويل.

لذا فإنَّ الحذف يمثل آلية تفكك وتشتت على المستوى النصيّ، أو اللساني للنص، وذلك لأنها تترك أطرافاً بعيدة عن الحضور، فيبدو للمشاركة والدخول بوصفة جزءاً من تشييد النص ومالكاً له[2].

الوصل:

وهو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم، وهذا ما يراه الباحثان(هاليداي ورقيه حسن)، إذا فإنَّ النص عبارة عن جمل متتالية، أو متتاليات متعاقبة خطياً، ولكي تدرك كوحدة واحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص، وأدوات الوصل متعددة، منها: (و، أو، يشبه، يماثل، أعنى، مثلاً، نحو، أم، لكن، بل، لذا، لهذا، لأن) [3].

فبتتبع هذه الآلية داخل القصيدة نجد أنَّها أكثر آليات الاتساق تحققاً، فحرف العطف(و) تكرر كثيراً في هذه القصيدة، فقد استخدم الشاعر بعض أدوات الوصل، وهي: واو العطف، حيث تكررت ثلاث وخمسين مرة في النص كلِّه، و(لكن) مرة واحدة، و(أو) مرة واحدة.

وهذا يدل على أنَّ أدوات الوصل التي استخدمها الشاعر قليلة باستثناء (واو العطف)، ومع غياب الأدوات الأخرى، أو قلة استخدامها في النص، لا تكفي (واو العطف) وحدها لتحقق درجة عالية من الاتساق، مما يجعل النص مفتقراً للاتساق.

ومن أمثلة الوصل، قول الشاعر:

---

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣١٩.

٢ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص٦.

٣ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص٦.

زعترٌ ودمٌ باقةٌ للشاعر الأخير
النفسج في عروة البحر نافذة للزفاف الدرامي
واشتعل القلب شيباً ، وعز التواصل
إن الطبيعة تهمد تحت قباب الحداد
تسجل صرخة أبنائها في جهاز الضلوع
وشهقة أسماكها في الهجير السعيري
ينثال مد الفناء الجماعي
حزن النبي
الصبايا المضيئات
والأمهات
وحزن المخيم والسروة الدامعة[1]

ونجد في المقطع السابق أنَّ حرف العطف(و)، قد تكرر سبع مرات، وساهم في اتساق هذا المقطع إلى حدٍ كبيرٍ، إذ إنه ربط هذه العبارات مع بعضها البعض، بغض النظر عن كونها متفقة في المعنى، أو مختلفة، فهو يجمع بين (الزعتر، والدم)، و(اشتعال القلب شيباً وعزَّ التواصل وشهقة أسماكها والصبايا المضيئات والأمهات وحزن المخيَّم والسروة الدامعة).

فالنظرة المفعمة في هذا النص، تكشف لنا عن دلالة أعم وأعمق مما هو ظاهرٌ لنا، حيث ربط الشاعر القيسي(الزعتر بالدم)، فما دلالة هذا الربط؟ إنَّها دلالة اللون (زعترٌ ودمٌ باقةٌ للعشاء الأخير)، فهنا يقدم الشاعر (الزعتر والدم) كباقة للعشاء الأخير، العتر (الأرض)، والدم (الإنسان)، كلاهما يقدمان باقة للعشاء الأخير.

فالمتلقي هنا يقع في حيرة من أمره، حيث يكون (الزعتر والدم) باقة للعشاء الأخير، حيث يكشف لنا هذا الأمر عن مدى الدمار والقسوة والوحشية، الأمر الذي يعزز ذلك المشهد اشتعال القلب بالشيب دون الرأس، والشيب صفة لأزمة للرأس، والتواصل الذي أصبح عزيزاً، وشهقة الأسماك في الهجير السعيري والأمهات، وحزن المخيَّم والسروة الدامعة، كلٌ ذلك يكشف لنا عن مشهدٍ محاطٍ بالسواد، أنتجه تكرار حرف العطف(و)، وكما ذكرت من قبل فإنَّ أدوات الوصل التي استخدمت في هذه القصيدة باستثناء (واو العطف)، لا تكفي لتحقيق الاتساق، مما يجعل النص مفتقراً للاتساق.

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤–٨٤، ص٣٢٤.

الاتساق المعجمي:

وهو يمثل الآلية الأخيرة في اتساق النص، وينقسم إلى قسمين هما: التكرير والتضام[١]، ويقوم التكرير على إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف[٢]، وهو من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دوراً تعبيرياً واضحاً، أما التضام فهو توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقوة نظراً بحكم هذه العلاقة أو تلك[٣].

ويتجلى التكرار في النص الأدبي باعتباره إحداثاً لبدء تنظيم على المستوى الوقعي[٤]، فالتكرار يحقق التنظيم في النص، وهذا التنظيم يجعل النص متسقاً إلى درجة كبيرة، وكثير ما يشير التكرار إلى سيطرة شعور قويّ به العبارة أو اللفظة المكررة، فعلى الدارس الغوص في هذه المعاني، وربطها بالمعنى العام[٥].

وسنتناول ظاهرة التكري، إذ هي الأداة الأوسع انتشاراً في القصيدة، وتمثلت فيما يلي:

- الاستفهام – مرتين
- اللازمة – ٨ مرات
- التعجب – مرتين
- الجمل الفعلية – ٦٥ مرة
- الجمل الأسمية – ٥٨ مرة
- النداء – ٦ مرات
- النفي – ٧ مرات

فهذا التكرار لا يكون عبثاً أو تفضي المبدع لبعض الألفاظ والعبارات، يقول الشاعر القيسي:

---

١ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص١١.

٢ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٢٤.

٣ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٢٥.

٤ – يوري لوغان، تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ترجمة: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط١، ص٦٣.

٥ – عبد القادر أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٠م، ص٥١.

لكن يُنادي، اخرجي يا عصافير جرحي
اخرجي يا دمائي
اخرجي يا سنين التشرد والفاقة، اليومُ يومي
وقاتلي مخلب شاهرٌ سمه
واخراجي من قسام المعمد بالنار والإنتظار
اخرجي من حدودي الجديدة
من خيمة الإنكسار
اخرجي نرجسا، زعترا
اخرجي مهرة الله راكضة
من جحيم المهازل والأقنعة[1]

نلحظ أنَّ التكرير في هذه المقطوعة، قد بدأ بأسلوب النداء، الذي تكرر ثلاث مرات، ولهذا التكرير دلالة في نفس الشاعر، حيث أراد أن تكون الصورة جليّة أمام المتلقي، عبَّر عنها بأسلوب النداء الذي أحتضن معاني الألم والجرح، وسنيين التشرد والفاقة، والواقع المؤلم للإنسان الفلسطيني المتشرد، والأمة العربية التي تعيش في خيمة الانكسار.

فهو بذلك يؤكد تكريره لفعل الأمر(اخرجي) أن تصحو هذه الأمة من غفوتها ومن جحيم المهازل، هائجاً في وجه الطغاة، الذين فرضوا عليها الذلة والهوان، خارجة من حدودها الجديدة، حدود الاحتلال، حدود الظلم والقهر، والقيد والانكسار، إلى الحريّة والوحدة.

وهكذا نجد أنَّ تكرير الندأ في هذه المقطوعة لا يحقق درجة أكيدة من الاتساق؛ لأنَّه قد يحمل حالة من التشتت والانقطاع، تسهم في إرباك المتلقي وتشتيته، الأمر الذي يفتح الباب أمام المتلقي فضاءً واسعاً من التأويل.

لكن مع ثراء التأويل في عملية التكرير، إلاَّ أنَّ التكرار لا يلعب دوراً كبيراً في اتساق النص بشكل عام؛ لأنه قد يحمل النص حالة من التشتت والانقطاع، فالاستفهام قد يزيد ارتباك النص، ويصعب تلقيته، ويصنع حالة من المفارقة

حين يأتي للإنكار، والجمل الأسمية أو الفعلية تربط النص ببعضه، لكنها لا تعني أنَّ النص منسجماً[2].

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤–٨٤، ص٣٢٠.

٢ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص١٣.

ونكتفي بهذه الأدوات، التي يمكن من خلالها الحكم على القصيدة إنَّها لم تصل إلى مرحلة كبيرة من الاتساق، وتحقيق أدواته، لذا لا بد من اللجوء إلى التأويل والتقدير، والاستعانة ببعض آليات الانسجام، وبذلك ننتقل من دائرة الاتساق إلى دائرة الانسجام.

الانسجام:

– انسجام الخطاب: ينظر للانسجام على أنه عملية تعتمد بشكل أساسي وكبير على المتلقي، وهي نظرية كالاتساق في كونها تشتمل على آليات يعتمد عليها المتلقي في تأويله النص الذي يقف عليه.

وقد وقف الباحثان (براون ويول)، وتطرقا بشكل واضح حول هذه القضية، إذ اعتبرا من المؤسسين لهذه النظرية، وارتكزا على آليات مثل: البنية الكلية، ومعرفة العالم، والسيناريوهات والأطر، لتأويل النص، والنظر إليه كخطاب وليس كنص.

بعد المضي قُدماً في البحث عن اتساق النص، من خلال تطبيق أدوات الاتساق، لابد لنا من أن نشير إلى أنه على الرغم من افتقار النص للاتساق، فهذا ليس دليلاً على عدم انسجامه أيضاً، ولهذا لابد من الخوض في انسجام النص، فليس هناك نص بدون رسالة موجهة إلى متلقٍ حقيقي مفترض[١].

ولعلَّ الانسجام يحتاج في تحليله إلى تحديد نوع الدلالة التي ستمكنّا من ذلك، وهي دلالة نسبية، أي إننا لا نؤول الجمل، أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة لها، والعلاقة بين الجمل محددة[٢].

ومن هنا يجب البحث في تأويلات النص لتحقق انسجامه وهذا لا يتحقق إلاَّ بإخضاع النص لأدوات الانسجام، وهي على النحو التالي:

البنية الكلية، موضوع الخطاب: يرى (فان ديك)" أنَّ لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، وإنَّ القارئ يصل هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلّها في سمة الاختزال، على أنَّ البنية الكلية ليست شيئاً مُعطى، حتى وإن كانت هناك بنيات متنوعة، أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هي مفهوم مجرد(حدسي) به تتجلى كلية الخطاب، ووحدته، وتعد البنية الكلية افتراضاً يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضحه وتجعله مقبولاً، وقد

١ – محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وانجاز)، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م، ص٥٢.

٢ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٣٤.

وجد ديك أنَّ مفهوم (موضوع الخطاب) هو هذه الوسيلة، وإن كنا لا نلمس الفروق بين هذين المفهومين(موضوع الخطاب، والبنية الكلية) [١].

ويرى كذلك (محمد مفتاح) أنَّ العنوان يمدُّنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته، ويضيف أنه يقدم لنا معرفة كبرى لضبط الانسجام وفهم ما في النص، إذ هو المحور الذي يتولد ويتنامى، ويعيد انتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي يُبنى عليه[٢].

ولتحديد البنية الكلية، نلجأ إلى أداتين، هما: العنوان، والتكرير، فالعنوان يعدُّ نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شيفرته الرامزة[٣].

ويرى (براون ويول) أنَّ وظيفة العنوان، هي وسيلة خاصة قوية للتقريض[٤]، وللعنوان وظائف أخرى، هي التحديد، والإيحاء ويمنح النص قيمته، فهو بالتالي يسهم في تحديد هوية النص الذي ندرسه[٥]، والعنوان له قيمة ثمينة في الوصول إلى الغرض الأساسي لكتابة النص، وله وظيفة وهذه الوظيفة تساعد وإن كانت بسيطة في تحليل وتأويل النص، وهو الباب الذي يمهد الوصول إلى الحقيقة[٦].

فالعنوان يتحكم في تأويل المتلقي، فعند تغير عنوان نص ما، فإنَّ المتلقي يؤوله وفق العنوان الجديد، فيمثل كل من العنوان والمقاطع المكررة في النص مفتاحاً من مفاتيح النقد الموضوعائي الذي يسعى لتحديد البنيات الدالة في النص للوصول إلى البنية الكلية[٧].

فعند النظر في عنوان القصيدة، نجد مكوناً من جزئيين، هما (رسالة النبيّ) و(حاشية البحر)، فالقيسي يختلف في صياغة سيرة تجربته الشعرية عن زملائه من شعراء الحداثة

١ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص٤٦.
٢ – محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وانجاز)، ص٧٢.
٣ – بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٣.
٤ – محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام الخطاب، ص١٧.
٥ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص١٣.
٦ – براون ويول، تحليل الخطاب، ص١٨.
٧ – براون ويول، تحليل الخطاب، ص١٣.

العربية، الذين مارسوا هذا النوع الخاص من الكتابة، سواء على مستوى العنوان، أم على مستوى بناء الفعل الكتابي في المتن، فيظهر إنَّ العنوان له علاقة وثيقة بالمتن[١].

فالعنوان(رسالة النبيّ في حاشية البحر) يحمل دلالتين رمزيتين، لكن إلى ماذا ترمز رسالة النبيّ ؟ وما المقصود بحاشية البحر ؟.

إنَّ للقصيدة علاقة بما حلَّ بالشعب الفلسطيني والأرض الفلسطينية، حيث التشرد، والقتل، والدمار، الذي أصاب الأمة، وإلى أرض الفجيعة التي يتحرك عليها الشاعر محمد القيسي، فهذا يعطينا إضاءة حول عنوان القصيدة.

فلعلَّ الشاعر أراد أن يعقد مقارنة بين رسالة النبيّ(صل الله عليه وسلم) إلى أمته لإخراجهم من ظلمات الجهل والظلم وسفك الدماء، إلى النور، حيث العدل والمساواة بالإنسان العربي الشريف عامة، وابن فلسطين خاصة، حامل القضية خاصة، وهو يدعو إلى وحدة الأمة العربية، ونبذ الظلم والاحتلال، والخروج من هيمنة الاستعمار؛ لنيل حياة كريمة تحت سماء الحرية.

فالقيسي باختياره (رسالة النبيّ في حاشية البحر) عنواناً لهذه القصيدة، يكشف للمتلقي خفايا ومكنونات النص الشعري، فالعلاقة وطيدة بين العنوان والنص، فهو يقول:

كان يمشي إلى السوق والبحر
كانت خطاه المدى والصدى
كان يحكي ويحكي مع الصمت
كان ينز على شرفة الموت[٢]

وهكذا فالشاعر يؤكد لنا مواصلة ابن القضية الفلسطينية دعوته، ولكن دون جدوى، فهو يعترف من خلال اشتماله بالفجيعة أنّه:

لم يعد مستطاع الخروج متاحا
يشع النبي رؤى وجراحا
عصافيره قيدت[٣]

١ – محمد العامري، المضنى الجوال– دراسات في تجربة محمد القيسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٣.

٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣١٩.

٣ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٢.

نلاحظ أنَّ العلاقة بين العنوان والنص الشعري على صلةٍ وثيقة يوضحها المتن ويكشف دلالتها، لذا فإنَّ العنوان يدفع باتجاه تحقيق الانسجام، من خلال دور المتلقي في التأويل، فهو في نظر بعض النقاد يخلق النص حين يتأزر مع المتن[١].

كما أنَّ اللازمة الشعرية، التي تكررت في القصيدة، أسهمت إلى حدٍ كبيرٍ في ربط أواصر النص الشعري، حيث يقول القيسي:

يخرج البحر من ثوبه الزرق
هائجاً : كيف نلتقي[٢]
يخرج البحر من ثوبه جلجلة وذهول
هائجاً: سيّدي ما تقول! [٣]
يخرج الأبحر من ثوبه والسؤال
صارخاً في دمي: تعال[٤]
يخرج البحر من ثوبه ويجيء
سائحاً في دمي المضيء[٥]
يخرج البحر من ثوبه عاتبا
مرة هادئاً ، مرة غاضبا[٦]
يخرج الآن، تخرج أسماكه العارية
خلفه تتجول في نزهة دامية[٧]
صارخاً ، صارخاً ، ويموج
الخروج، الخروج، الخروج[٨]
هاهنا ها هنا ابتدأ المهرجان
النبيّ الطريد وحاشية البحر يلتقيان[٩]

١ – روبرت شولز، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغنمي، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٩٩٣م، ص٩٣.
٢ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣١٩.
٣ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٠.
٤ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢١.
٥ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٢.
٦ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٢.
٧ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٣.
٨ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٤.
٩ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٤.

فتكرار اللازمة في القصيدة، تكشف لنا عن إحساس شعوري في مكنون الشاعر، فقد الحَّ في خروج البحر؛ ليؤكد هذه الدلالة، وهذا الشعور الثوري الهائج، والقومية التي تجري في دمائه، فهو يجعل البحر هائجاً في بداية القصيدة، ثم يضيف إلى هيجان البحر الجلجلة، والذهول والصراخ، وهي الفاظ استقصاها الشاعر؛ ليؤكد بها عمق الشعور الثوري الذي كان لديه اتجاه هذا الواقع المؤلم، ومدى الغضب المختزن في دمه، والذي بات عاجزاً عن إيصال مضمون الرسالة التي يحملها، إلى أبناء هذه الأمة التي باتت في سيات عميق، فهو يدعو وينادي عند أموات، أو اشباه أموات؛ لأنَّ دعوته لم تتحقق، فيخرج البحر هائجاً: كيف نلتقي.

التشتت والانقطاع: يعرَّفه كل من (براون ويول) في كتابهما(تحليل الخطاب) بأنَّه: تجاوز مقاطع لغويّة تفهم على أنَّها مترابطة حتى في غياب أدوات الربط[١]، فمن خلال هذا التعريف، يتبين لنا أنَّ المتلقي يشترك مع مبدع النص في انتاج الدلالة، كما أنَّه ينتج علاقات دلالية جديدة، تعوض عن أدوات الربط والوصل، أو عن تلك الحلقات المفقودة من سلسلة النص.

لذا فإنني أتفق مع الذين ذهبوا برائيهم حول هذه الآلية، والذي مضمونه يتلخص في العبارة التالية" إنَّ التشتت والانقطاع يضعف اتساق النص، ويسبب إرباكاً للقارئ، أو المتلقي، لكنه في نفس الوقت يخدم التأويل، ويجعل النص منسجماً، وذلك تبعاً لقدرات المتلقي وأدواته المعرفية المتمثلة في طاقاته الذاتية.

وهذا القول يتكئ على قناعة ترى في المتلقي شريكاً في انتاج الدلالة، وتقع عليه مسؤولية اصطناع علاقات دلالية تعوص عن أدوات الربط المفقودة[٢]، وترغم القارئ على تشييد افق انتظار جديد[٣].

وقد ظهر في الشعر الحداثي ظواهر لم تكن موجودة في الشعر التقليدي، فظهرت الرموز والأقنعة واستخدام الأساطير، واستخدام الحذف كذلك، حيث تفسح المجال للقارئ ، والمتلقي في التأويل، وعلى الرغم من الانقطاع والتشتت والحذف، يخلق حالة من ضعف

١ – براون ويول، تحليل الخطاب، ص٢٦٨.

٢ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص٢٣.

٣ – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٩.

العلاقات الاتساقية إلاَّ أنَّها تقدم فضاء منم الانسجام والتعالق الدلالي[١]، من خلال تأويل المتلقي.

ويظهر الانقطاع والتشتت في القصيدة في قول الشاعر محمد القيسي:

اسمعي يا جراحي وعي
من قديم لدغنا، لدغنا
ومثل كل الغزاة، وكل الطغاة بنا
لا تقولي- فتغضب في الدما- لم تكن مؤمنا
كنت أومن أنك شمسي
وأنك يومي وأمسي
وأن صباحي الذي سوف يشرق منك سيأتي[٢]

إلى قوله في نفس المقطع:

قبل أن يصبوا في الفضاء الصليب
وتعلن كل الإذاعات عن مصرعي
اسمعي
اسمعي
اسمعي[٣]

نجد الشاعر في المقطع السابق يتحول من ضمير المخاطب(أنت)، إلى ضمير الجماعة(المتكلمين)، وهذا الأمر لا يسبب تشتتاً واسعاً، أو انقطاعاً كبيراً؛ لأنَّ القدرة على تأويل هذا المقطع تجعلنا قادرين على جمع ما تشتت، وربط الانقطاع الذي حدث في ذلك المقطع.

فنظرة مفعمة في هذا المقطع تكشف لنا عن التحول الذي حدث فيه، حيث يتحول الشاعر من ضمير المخاطبة(أنت) في البيت الأول من نفس المقطع إلى ضمير المتكلمين الجماعة في البيت الثاني، ثم يعود إلى ضمير المخاطبة (أنتِ) في البيت الرابع، وفي نفس البيت نجد أنَّ هنالك انقطاعاً واضحاً قد حدث، وذلك بتحوله إلى ضمير الغائب المفرد.

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٤–٣٢٥.

٢ – سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس– ثنائية الاتساق والانسجام، ص٢٣.

٣ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية،٦٤–٨٤، ص٣٢٥.

ثم يعود إلى الأنا في نفس البيت، ثم إلى المخاطب المفرد، ثم إلى الأنا، فالتغلب الذي أجراه الشاعر في الأبيات الأولى، وهي متتالية يخلق نوعاً من التشتت والانقطاع، وهذا يبدو واضحاً وجليّاً لدى المتلقي، فتحفزه طاقاته الذهنية وقدرته الذاتية على إيجاد تأويلاً يناسب جو القصيدة، ليخلق بذلك نصاً منسجماً.

فالشاعر يؤكد دلالة وغاية في نفسه، وهي الجرح القديم الذي يتجدد، وما أن يبرأ حتى يعود ينزف من جديد، فيتجدد معه الألم والمعاناة، فهو يعيش المأساة بكلِّ ما أحتوته من معاني الألم والدمار، فهو يقول:

كنتُ أؤمن أنَّك شمسي
وأنَّك يومي وأمسي
وأنَّ صباحي الذي سوف يشرق منكِ سيأتي[1]

وبهذا يرى الشاعر المستقبل المشرق مشعاً من جراحه، وأنَّ أمل الحرية والسعادة التي يتطلع إليها أبناء هذه الأمة سيأتي يوماً ما.

خاتمة البحث:

أعتقد جازماً أنَّ الشاعر القيسي بما يتيحه في هذا النص من تأويلات متعددة، استطاع أن يجعلني مشاركاً فعَّالاً في خلق هذا النص وتوجيهه الوجهة التي أرى... وبما أنَّ الخطاب قابل للتأويل، بل هو متعدد التأويلات، فإنني أرى أنَّ النص الشعري هذا يحقق قدراً من الانسجام، انطلاقاً من أنَّ الخطاب المنسجم هو الخطاب القابل للتأويل.

كذلك نجد أنَّ النص الشعري كان مفتقراً للاتساق، وذلك لغياب بعض أدوات الاتساق، مما دفع بنا إلى تطبيق آليات الانسجام؛ لجعل النص مترابطاً ومؤتلفاً، باعتماد العنوان، الذي يشكل إضاءة ساطعة للنص، والتشتت والانقطاع الذي فتح أمامنا فضاءً واسعاً من التأويل، الأمر الذي جعل النص أكثر انسجاماً.

١ – محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤–٨٤، ص٣٢٥.

قائمة المصادر والمراجع:

١- بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

٢- براون ويول ، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطيني، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

٣- روبرت شولز، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة: سعيد الغنمي، الدار البيضاء، (د.ط)، ١٩٩٣م.

٤- سامح رواشده، قصيدة الوقت لأدونيس- ثنائية الاتساق والانسجام، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢م.

٥- عبد القادر أبو شريفة: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٠م.

٦- محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٧- محمد العامري، المضنى الجوال- دراسات في تجربة محمد القيسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م.

٨- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م.

٩- محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وانجاز)، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م.

١٠- محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ٦٤-٨٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧م.

١١- يوري لوغان، تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ترجمة: محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، ط١.

الحشاشون نشأتهم وتاريخهم

عبدالسلام عبد اللطيف الهولي

مقدمة:

لقد شكل الحشاشون منذ نشأتهم عام (٤٨٣هـ/١٠٩٠-١٠٩١م) مصدر قلق حقيقي للخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية على حد سواء، ولم تنجح محاولاتهم المتكررة في القضاء عليهم، فظلوا مصدر تهديد مستمر لهم حتى نهايتهم عام (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) ، سيتم في هذا البحث استعراض أصل هذه الجماعة، وكيفية تأسيسها، ونظمها، وتقسيماتها، وأهم قادتها، وأهم أفكارها ومعتقداتها، وعملياتها، وأسباب صمودها أمام محاولات القضاء عليها من قبل خصومها من السلاجقة والعباسيين وغيرهم.

أصول الحشاشين: الحشاشون هم في الحقيقة فرقة من الشيعة الإسماعيلية، وتعرف أيضا بالباطنية النزارية، وقبل التطرق لأصولهم سوف يتم التطرق لأصل الشيعة من الشيعة والإسماعيلية :-

أصل الشيعة : الشيعة هم أتباع وأنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآله من بعده، وهم يرون بأحقيته بخلافة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بسبب قرابته منه، وكونه أول الناس إسلاما، وبلاؤه الشديد في نصرة الإسلام، ويرى الشيعة أن الخلافة أو الإمامة منصب الهي كالنبوة، ولذلك يرون أن اختيار الإمام لله تعالى وحده ولا يحق للأمة في اختيار الإمام، ويكون الإمام معصوما من الكبائر والصغائر[١]، وقد تفرعت من الشيعة العديد من الطوائف كان من بينها الطائفة الإسماعيلية.

الاسماعيلية : الإسماعيلية هم أنصار المذهب الإسماعيلي، وهو أحد المذاهب العديدة التي ظهرت للشيعة، وتعود نشأته إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وذلك بعد وفاة الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب فحدث خلاف حول من تنتقل الإمامة إليه، هل إلى ابنه موسى الكاظم أم لابنه الأكبر إسماعيل

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ، ص٢١٧ دار الجيل بيروت

الملقب بالأعرج[١]، والذي توفي قبله، على أن أنصاره رأوا أن موت إسماعيل لا يعني أن يرث أخاه الإمامة، ولكن يجب أن يرثها ابن إسماعيل، وهكذا نشأ حزب جديد للشيعة، وعرفوا بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وقام أنصار هذا المذهب بنشر دعاتهم في أنحاء شتى حتى تمكنوا من تأسيس دولة لهم في شمال أفريقيا ومن ثم في مصر، وقد عرفت بالخلافة الفاطمية، نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد شكلت دولتهم تهديدا ومنافسة للخلافة العباسية[٢].

النزارية: النزارية هي طائفة من الشيعة الإسماعيلية، وقد نشأت في مصر الخاضعة وقتها للخلافة الفاطمية، ولقد نشأت عندما مات الخليفة الفاطمي المستنصر في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وكان المفروض أن يرثه ابنه الأكبر نزار، ولكن وزير الدولة الجمالي، والذي كان متحكما بالدولة أراد مبايعة أخيه الأصغر الملقب بالمستعلي، وقد نجم عن ذلك انشقاق مؤيدو نزار عن الفاطميين، وشكلوا بذلك مذهب الإسماعيلية النزارية.[٣]

أهم تسميات النزارية: يلاحظ من المصادر التاريخية أن هذه الجماعة عرفت بأكثر من تسمية، لعل من أهمها تسمية الباطنية، وسبب هذه التسمية كان لجوء دعاتهم إلى التأويل، حيث أول النزارية القرآن الكريم تأويلا يتفق مع نزعاتهم السياسية، أي أنهم يرون أنه لكل ظاهر باطن، وهكذا عرفوا بالباطنية[٤]، كما عرفوا كذلك بالحشاشين، وهي تسميتهم الأشهر على مستوى العالم، وسبب التسمية أن رجال الحشاشين دخنوا الحشيش المخدر من أجل دفع أنفسهم للقتل دون تردد، وذلك حسب رواية الرحالة الإيطالي ماركو بولو عنهم، على أن هذه الرواية تبدو مشكوكا فيها، ويعتقد أن التسمية أتت من الكلمة الفارسية أساس، والتي تعني المنظمة، وقيل أيضا أنها مأخوذة من تسمية اساسين، والتي تعني رجال الاغتيال، وهي الفرقة التي اشتهر بها الحشاشين، كما قيل أنها من تسمية حساسين، وتعني ذوي الإحساس والشعور، كما قيل أنها من كلمة عساسون كون فدائيو الاسماعيلية النزارية يقضون الليل في الحراسة داخل

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٢٢٢ ؛
john Mchugo,ACONCISE HISTORY OF SUNNIS AND SHIS, SAQI , LONDON
(٢) محمد يسري محمد حسن، تاريخ الحشيشية والمهدية التومرتية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١ ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٦٤،٢١٦٥،٢١٩٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص١٤٧.
(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ت: أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م ، ص ١٩٨ .

القلاع، كما قيل أنها نسبة للحشائش البرية التي كان الإسماعيلية النزارية يأكلونها وقت الحصار[١]، كما سموا كذلك القرامطة، والمزدكية، والتعليمية، والملحدة.[٢]

الحسن بن صباح وتأسيس جماعة الحشاشين: عند الحديث عن تأسيس جماعة الحشاشين فلابد من التطرق إلى مؤسسها الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين الشهير باسم الحسن بن صباح، ويرجح أنه ولد في الري في إيران مابين سنتي ٤٣٠هـ/١٠٣٨م وسنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، وكان من أسرة شيعية إمامية الهوى، نظرا لكون الري مركزا من مراكز تعليم المذهب الشيعي الأمامي في كل إيران[٣]، وعرف عنه اتجاهه للتعلم والدرس حتى أنه سافر إلى نيسابور للدراسة في مدارسها الدينية، ولقد ذكرت روايات أنه زامل هناك الوزير نظام الملك الطوسي، ولكن يبدو أن هذه الروايات خاطئة خاصة بالنظر لفارق السن الكبير بينهما[٤].

خلال حضور الحسن بن صباح لمجالس العلم والمناظرة التقى بأحد دعاة المذهب الاسماعيلي، وتعرف منه على أسس هذا المذهب والفوارق بينه وبين المذهب الإمامي، وقد قابل بعدها أكثر من داعية لهذا المذهب، وفي النهاية قرر الانضمام للمذهب الاسماعيلي، وأعطى العهد والمواثيق بذلك[٥].

التقى الحسن بن صباح في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م بعبد الملك بن عطاش أحد أكبر دعاة الإسماعيلية في بلاد فارس في القرن الخامس الميلادي، فعينه الأخير داعية، وجعله نائبا له في رئاسة الدعوة الإسماعيلية في بلاد فارس[٦]، على أن أنشطته التبشيرية في فارس قد لفتت الانتباه إليه، خاصة من قبل الوزير نظام الملك الطوسي الذي طلب من والي الري القبض عليه لعمله في النشاط الإسماعيلي الدعوي[٧].

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص٢٨٢

Tamim Ansary, Desting Disrupted, public affairs, newyork, 2009 p.130

(٢) الشهرستاني، المصدر نفسه، ص١٩٨

(٣) الري: مدينة شهيرة من أمهات المدن كثيرة الزرع والخيرات، على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبل

عطا الله الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٧١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج٣، ص ١١٦،١١٧

(٤) نيسابور: مدينة عظيمة منبع للعلماء، كثيرة الزرع والخيرات، فتحت صلحا زمن عثمان بن عفان

ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣١ ؛كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص٢٨١

(٥) الجويني، ن م ، ص١٧٢،١٧١

(٦) الجويني، ن م، ص١٧٢

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص١١١٦؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٢٥٧

طلب ابن عطاش من الحسن بن صباح الذهاب إلى مركز الخلافة الفاطمية الإسماعيلية في مصر لتلقي العلوم الإسماعيلية السرية، ومن جانب أخر إبلاغ الخليفة المستنصر الفاطمي بأوضاع الإسماعيلية في بلاد فارس، ولقد استغرق الحسن بن صباح ثلاثة سنوات حتى تمكن أخيرا من الوصول إلى مصر في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، على أنه اكتشف هناك أن الحاكم الحقيقي كان الوزير بدر الجمالي، الذي لم يترك للخليفة الفاطمي إلا رسوم الخلافة ومظاهرها الشكلية، ولم يكن هذا الوزير يسمح لأحد بالتقرب من الخليفة الفاطمي.

تقرب الحسن بن صباح من الأمير نزار ولي عهد الخليفة المستنصر الفاطمي، وعندما مات الخليفة المستنصر الفاطمي أراد الوزير الجمالي مبايعة المستعلي بالخلافة بدلا من نزار فساند الحسن بن صباح نزار، أي أنه أصبح من مساندي النزارية، وقد قبض على الحسن بن صباح وسجن في دمياط، وعندما أرادوا نفيه إلى شمال أفريقيا جنحت سفينته إلى الشام، فتوجه منها إلى فارس(١).

<u>الدعوة النزارية في فارس:</u> مع وصول الحسن بن صباح إلى فارس بدأ بالدعوة لإمامة نزار بن المستنصر بعد أبيه، ويعتقد البعض أن الهدف الحقيقي من هذه الدعوة كان اجتماعيا، فقد أغضب هؤلاء بالأبهة والثروة التي كان يتمتع بها الفاطميون، وهدفوا من وراء حركتهم لمواساة الغني بالفقير، وبشكل عام إعادة المشروع الإسلامي لهدفه وغرضه، ولقد تنقل الحسن بن صباح لتسع سنوات كاملة في جنوب بلاد فارس محاولا حشد المؤيدين والأتباع لدعوته الجديدة(٢)، ثم لم يلبث أن نقل نشاطه إلى المنطقة الشمالية المطلة على بحر قزوين، وأرسل عددا من أتباعه إلى المناطق القريبة، وقضى في دامغان ثلاثة سنوات، وتحول بعدها إلى مدينة قزوين متخذا طريقا حدوديا ليتجنب ملاحقة السلاجقة له(٣).

<u>نظام الدعوة الإسماعيلية النزارية:</u> يلاحظ أن الحسن بن صباح قد أدخل العديد من التغييرات والتعديلات على نظام الدعوة الإسماعيلية حتى تتناسب مع الظروف التي كانت محيطة به وقتها، فقد عرف عنه أنه لم يكن يتصدى لدعوة من الدعوات دون إدخال شيئا من عنده

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٤٣،١٤٤؛ الجويني، ن م ، ص ١٧٣

(٢) الجويني، ن م ، ص١٧٣،١٧٤

Tamim Ansary, Desting Disrupted, P.129

(٣) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور مدينة كثيرة الزرع ومعادن بها مقسم ماء كسروي عجيب نسب إليها الكثير من العلماء قزوين : مدينة استحدقها سابور ذي الأكتاف بينها وبين الري ٢٧ فرسخا

الجويني، ن م ، ص١٧٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٣،ج٤، ص ٣٤٢

وطبعها بطابعها[١] وهذا ما جعل دعوته تعرف بالدعوة الجديدة نظرا لتميزها عن الدعوة الإسماعيلية القديمة، فقام بتقسيم المعمور إلى اثني عشر قسما، وكان كل قسم يعرف بالجزيرة، وكان الدعاة منتشرين فيها، ويكون لكل جزيرة داعية يطلق عليه حجة الجزيرة، ويكون له مساعدين ونقباء، ويلاحظ أن مراتب الدعوة النزارية كانت مرتبة بدقة بحيث يعرف كل عضو من الجماعة واجباته، ويمكن تقسيم مراحل اجتذاب المستهدف لمذهبهم إلى عدة مراحل هي:-

(١) التفرس: في هذه المرحلة يتم انتقاء الأشخاص المستهدفين، وقياس قوة إرادتهم، ومدى سهولة انقيادهم.

(٢) التأنيس: في هذه المرحلة يحاول الداعية بث روح الطمأنينة في قلب الشخص المستهدف.

(٣) التشكيك: يقوم الداعية في هذه المرحلة بزعزعة عقيدة المستهدف الأصلية.

(٤) التعليق: يتم في هذه المرحلة تشويق المستهدف لمعرفة المذهب الاسماعيلي النزاري.

(٥) التأنيس: يقوم الداعية هنا بالتمويه والإغراء والتشويق للمستهدف كي يدخل في المذهب الاسماعيلي النزاري.

(٦) التأسيس: يتم في هذه المرحلة تثبيت المعلومات الأساسية للمذهب الاسماعيلي النزاري في عقل المستهدف.

(٧) الخلع: في آخر مراحل الدعوة يتم إقصاء المستهدف عن مذهبه السني تماما، ويصبح في النهاية اسماعيلي المذهب بشكل خاص.[٢]

ويلاحظ أن المصادر التاريخية السنية كانت تسفه منهجية الحسن بن صباح الدعوية، حتى أنها ذكرت أنه خلال دعوته في فارس لم يكن يدعو إلا غبيا، أو لا يفرق بين شماله ويمينه، أو من لا يعرف أمور الدنيا، ويقوم بإطعامه الجوز والعسل حتى ينبسط دماغه[٣]، على أن قدرة الحسن بن صباح على تأسيس دولة قوية قادرة على الصمود بوجه دولة قوية مثل دولة السلاجقة تدل على قدرته ورجاله على الحشد والتعبئة والحماية.[٤]

---

(١) الجويني، ن م، ص١٩٢،١٩١

(٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام، ج٤، ص٢٦٠،٢٦١

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص ٦٣،٦٤

(4) Tamim Ansary, desting Disrupted, p.131

قلعة الموت وتأسيس الدولة: خلال تواجده في قزوين وجد الحسن بن صباح ضالته كحصن أمين له ، ومركز لنشر دعوته النزارية الاسماعيلية، وكان في إحدى القلاع القريبة المعروفة باسم قلعة الموت، وتسمية قلعة الموت تسمية فارسية ديلمية تعني عش النسر، وهذا الحصن بناه السلطان السلجوقي ملكشاه، ولكن يقال أنه بني من قبل أحد ملوك الديلم قبل عهد ملكشاه بكثير، أما سبب تسميته بعش النسر فتذكر الرواية أن الملك الذي بنى القلعة خرج يوما ومعه نسرا أطلقه فوقع على موضع القلعة فوق إحدى جبال البورز، فأمر الملك ببناء القلعة هناك(١).

أسباب اختيار قلعة الموت: لا شك أن الحسن بن صباح لم يختر قلعة الموت عبثا ولكن لسببين مهمين هما :-

(١) حصانة موقع القلعة، فهي تقع فوق قمة جبل شامخ يرتفع عن سطح البحر بمسافة ٦٠٠٠ قدم، ولا توجد ممرات تؤدي إليها سوى ممر حلزوني ضيق وشديد الانحدار.

(٢) من جانب آخر فإن موقع هذه القلعة يشرف على وادي بطول ٣٠ ميلا وعرض ثلاثة أميال، وهو وادي صالح للزراعة نظرا لخصوبة أرضه، كما يمتاز بتنوع محاصيله الزراعية، وذلك يعني تحقيق اكتفاء ذاتيا لحركة الحسن بن صباح.(٢)

استيلاء الحسن بن صباح على حصن الموت: كان حصن الموت يحكم من قبل مهدي علوي من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه(٣)، وقد أرسل الحسن بن صباح دعاته إليها وللمناطق المتاخمة لها، وقد تم لهم استقطاب العديد من الخاصة ومستشاري حاكم القلعة، وتوجه بعدها بنفسه إلى الحصن متخفيا في زي أحد المتصوفة تحت اسم دهخدا، وقد ظل متخفيا هناك حتى تأكد من سيطرة أنصاره ، فطلب عندها من حاكم القلعة الخروج منها بعد أن أعطاه حوالة بثلاثة ألاف دينار ثمنا للقلعة، أرسلها إليه حاكم كردكوه الذي قبل دعوته سرا(٤)، وأعلن بعدها الحسن بن صباح تأسيس دولة إسماعيلية جديدة في فارس.

توسع دولة الحشاشين: قام الحسن بن صباح بعد استيلاءه على قلعة الموت بنشر دعاته في المناطق المحيطة بالقلعة من أجل نشر دعوته، وكان يلجأ للأساليب السلمية والسياسية تارة،

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٧٥؛ القزويني، آثار البلاد، ص٣٠١

(٢) القزويني، ن م، ص٣٠١

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٧٥

(٤) الجويني، المصدر نفسه، ص ١٧٥،١٧٦

وللعنف والقتال وسفك الدماء في أحيان أخرى، وبالفعل تمكن من كسب الكثير من المؤمنين بدعوته[١]، وقد تم له السيطرة على الكثير من القلاع والمعاقل الحصينة شمال وشرق إيران، كما كان يبني قلاعا وحصون جديدة في كل مكان يجده يصلح لهذا الغرض، ولعل من أهم هذه القلاع التي سيطر عليها ما يلي:-

(١) قلعة شاه دز: تقع هذه القلعة بالقرب من مدينة أصفهان، وقد بناها السلطان السلجوقي ملكشاه، على أن الحشاشين تمكنوا من السيطرة عليها عندما استمالوا صاحب القلعة، ثم قاموا بالسيطرة على القلعة بعد دخولهم إليها، فقتلوا عددا من أصحاب حاكمها[٢].

(٢) قلعة لمبسر: تقع هذه القلعة في منطقة رودبار، وقد سيطر عليها كيا بوزوك أوميد سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) وحكمها بتفويض من الحسن بن صباح.

(٣) قلعة كردكوه : تقع جنوب دامغان، وكان حاكمها من قبل السلطان السلجوقي يبطن الاعتقاد بالمذهب الاسماعيلي، واستغل لاحقا خلافات البيت السلجوقي واضطراباته فحصن القلعة، وأعلن خضوعه للحسن بن صباح سنة (٤٨٩هـ/١٠٩٥م).[٣]

(٤) قلاع قهستان : منطقة قهستان تقع جنوب خراسان على تخوم إيران وأفغانستان، وعرف أهل هذه المنطقة بكرههم للحكم السلجوقي، وقد تسببت حادثة تعرض أحد أمراء السلاجقة بأبنة أحد نبلاء هذه المنطقة بإقبال أهاليها على الدخول في الدعوة الاسماعيلية بهدف الانتقام من السلاجقة.[٤] قام الحسن بن صباح عندها بإرسال أحد دعاته حسين القايني سنة (٤٨٤هـ/١٠٩٠م)، فقام هذا الداعية بمهمته خير قيام، وتم للحشاشين السيطرة على بعض القلاع الهامة هناك.

(٥) منطقة كرمان: ولاية كرمان مشهورة وذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وقد انضمت كرمان إلى سيطرة الحسن بن صباح بعد تمكن أحد دعاته من إقناع صاحبها باعتناق المذهب الإسماعيلي.

(٦) جنوب بحر قزوين: تمكن الحسن بن صباح من السيطرة على منطقة جنوب بحر قزوين وقلاعها المتناثرة البالغ عددها نحو ستين قلعة، وبخاصة قلاع طبس وخالنجان

(١) الجويني، المصدر نفسه، ص١٧٧

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠٢

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ١٨٦، ١٨٧

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢ ص ١١١٦

وقد شملت القلاع التي استولوا عليها مناطق الطالقات في الجنوب الشرقي حتى حدود قزوين جنوبا، كما امتدت غربا حتى بهرام أباد وروذبار على الحدود المتاخمة لشرق اذربيجان، وكانت القلاع التي استولوا عليها تتوفر فيها الحياة الاقتصادية وسط وديان صالحة للزراعة، وقرب موارد المياه، مثل نهر شاهرود وفروعه، مما جعل مناطق سيطرتهم تشكل وحدة اقتصادية عسكرية مستقلة بذاتها بسبب وفرة وتنوع المحاصيل الزراعية هناك، كما أن الطبيعة الجبلية المحيطة بالقلاع شكلت حماية طبيعية لها، وكان حكام هذه القلاع يتبعون مباشرة للحاكم الإسماعيلي في قلعة الموت التي كانت تشكل السلطة العليا للحشاشين.(١)

علاقة الحشاشين مع الدولة الفاطمية: لقد انقسم الحشاشون عن الدولة الفاطمية نظرا لأنهم تبنوا الدعوة لنزار بن المستنصر دون أخيه الخليفة المستعلي الذي خلف والده في القاهرة ، ولذلك قطع الحسن بن صباح كل علاقات دولته الناشئة مع الدولة الفاطمية، وقد سانده كل الإسماعيلية في بلاد فارس وجزء كبير من بلاد الشام، أما الإسماعيلية في مصر واليمن وجزء من بلاد الشام فقد ظلت على ولائها للخليفة المستعلي الفاطمي.(٢)

مراتب الدعوة الاسماعيلية النزارية: ما أن تم للحسن بن صباح السيطرة على قلعة الموت سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) حتى وضع مراتب للدعوة الإسماعيلية النزارية (الحشاشين) وهي على النحو التالي:-

١) الإمام : يعتبر الإمام هو رأس الدعوة والدولة، وكانت هذه الشخصية محاطة بالغموض، فقد كان البعض يعتقد بوجود نزار في قلعة الموت، كما ذكر أنه كان بجوار الحسن بن صباح عند وفاته طفلا صغيرا من سلالة محمد بن إسماعيل(٣).

٢) الحجة: هذه المرتبة كان يشغلها الحسن بن صباح نفسه، والحجة كان ينوب عن الإمام ويحكم الدولة بإسمه، وكان للحجة سلطان على النزارية في شتى أنحاء فارس، ويعرف الحجة برئيس الدعوة، وكان يلقب أيضا مولانا، سيدنا، وشيخ الجبل، ونظرا لكونه يعين الدعاة

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢١٩٤،٢١٩٥ ؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي ج٣، ص١٨١؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص٤٥٤

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج٢، ص١٦٢

(٣) القزويني، أثار البلاد في أخبار البلاد، ص٣٠٢

ويعزلهم فقد عرف بداعي الدعاة، وهذه الوظيفة مقتصرة على المتفانين في الاخلاص للمذهب النزاري[١].

٣) كبار الدعاة: كان دور كبار الدعاة مساعدة الحجة (الحسن بن صباح) في تصريف وتنظيم أمور الدعوة والدولة، وعددهم لا يتجاوز الثلاثة من ثقاة الحجة، نظرا لأن الحجة قد قسم العالم إلى ثلاثة أقسام ووزعهم عليها، وإن لم يترك لهم حرية التصرف.

٤) الدعاة : الدعاة مسؤليتهم نشر الدعوة واجتذاب أفراد من خارجها، ويتلقون أوامرهم من الحجة في قلعة الموت، ومن كبار الدعاة في الأقاليم الثلاثة، وهؤلاء عددهم أكبر من عدد كبار الدعاة، ويشترط فيهم البراعة في التشكيك، والمهارة في التدليس، من أجل خداع العامة وإدخالهم في عقيدتهم، كما كان لهم العلم بعقائد وأغراض وسياسة هذا النظام.

٥) العلماء : وهؤلاء يعرفون بالرفاق، ولهم شيء من الإلمام بأسرار النظام، ومهمتهم تثقيف الدعاة وإعدادهم لمهامهم، وهؤلاء سلاحهم العلم من فقه ومنطق وفلسفة.

٦) الفدائيون: هؤلاء لا يشترط فيهم التعمق في فهم المذهب، ولكن يشترط في اختيارهم الطاعة والتضحية والشجاعة، وسوف يتم الحديث عنهم بشكل أوسع لاحقا نظرا لأهميتهم.

٧) اللاصقون : هؤلاء ينتسبون إلى الدعوة، ولكنهم ليسوا دعاة ولا فدائيين، و كانت مهمتهم أخذ العهد على الناس دون تعمق في فهم أصول المذهب،وهؤلاء ليس لهم حق في نشر الدعوة .

٨) المستجيبون: يقصد بهم عامة الأفراد من مؤمني المذهب الأسماعيلي النزاري، وهؤلاء لا يعرفون كثيرا عن المذهب النزاري، ولكن عملهم الرئيسي زعزعة عقائد الناس، وبث الرعب في نفوسهم[٢].

فدائيو الحشاشين : لعل هذه المجموعة من الحشاشين هي الأشهر والأخطر بين كل المجموعات الأخرى، فهي المجموعة التي كانت تتولى مهام الإغتيال، كان المعنى الحرفي للفدائيين أنهم الذين يقدمون حياتهم كفداء[٣]، وكانت قيادة الحشاشين بقيادة الحسن بن صباح تعتمد عليهم لتنفيذ عمليات اغتيال بحق شخصيات هامة ممن يعتبرون خصوما وأعداء للتنظيم، ويبدو أن الحسن بن صباح كان مدركا لعدم قدرته مع أتباعه للتصدي لخصوم

(١) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ج٤ ص٢٥٨،٢٥٩

(٢)حسن ابراهيم حسن، المرجع نفسه، ج٤، ص٢٥٩،٢٦٠

(3) John Mchugo, aconcise history of sunnies and shis saqi london

الحركة، وبخاصة السلطنة السلجوقية الفائقة القوة في مواجهة مفتوحة، لذلك لجأ إلى أسلوب الاغتيالات(١).

تجهيز الفدائيين: لقد حرص الحشاشون على اختيار الفدائيين بدقة وعناية، وكانوا يختارون أفرادها من أبناء الجبال المعروفين بقوتهم وعزيمتهم واستعدادهم للمخاطرة، كما كانوا يحرصون أن يكونوا صغارا في السن حتى يتسنى لهم فرض سيطرتهم عليهم، ولذلك لم يكن سن هؤلاء الفدائيين عند اختيارهم يتعدى سن الثانية عشر سنة فقط، ومن جانب أخر كانوا يدربوهم تدريبا شاقا قاسيا يمكنهم من القيام بهامهم التي ستوكل إليهم، كما كانوا يدربونهم على الحيل والخداع، وأشتهر هؤلاء الفدائيين باستخدام الخنجر كسلاح نظرا لسهولة حمله وإخفاءه والتحرك به، كما كانوا يدربون على أساليب التنكر والإلمام ببعض اللغات الأجنبية، خاصة مع اشتعال الحروب الصليبية لاحقا .

وكان هؤلاء الفدائيين يدينون بالطاعة العمياء لأوامر الحسن بن صباح، فكانوا ينفذون أوامره دون تفكير أو تردد، وكان الفدائي المكلف بالاغتيال عارفا أنه إن قبض عليه فسوف يعذب ويقتل، و مع ذلك كان ينفذ ما يكلف به دون إبطاء، ويذكر أن رسولا للسلطان السلجوقي ملكشاه عندما ذهب الى الحسن بن صباح حاملا رسالة تهديد ووعيد من سيده قام الحسن بن صباح بالالتفات لمن حوله من الفدائيين، فأمر أحدهم أن يقتل نفسه فضرب الفدائي نفسه بسكينته فمات، وأمر الأخر أن يرمي نفسه من موضع عالي عند رأس القلعة فألقى نفسه فتقطع أسفل الوادي، وهنا قال الحسن بن صباح لرسول السلاجقة هذا هو جوابي، وأضاف أنه لديه من هؤلاء عشرين ألفا هذا حد طاعتهم له، فقد كانت في عقيدتهم الموت في سبيل تحقيق أغراض الشيخ هي أشرف ميتة، حتى أن أمهات الفدائيين كن يبكين في حالة عودتهم من مهمتهم أحياء، ولقد ذكر عن مدى طاعة الفدائيين للحسن بن صباح أنه استخف قومه فأطاعوه حتى صاروا يفدون أنفسهم له.(٢)

لقد استغل الحسن بن صباح هؤلاء الفدائيين في تنفيذ الكثير من عمليات الاغتيال بحق عدد كبير من السلاطين والخلفاء والوزراء ورجالات الدولة وغيرهم، مما أثار ضجة كبيرة وخوف شديد، ومنح ذلك الحشاشين الهيبة والقوة ضد أعدائهم، حتى أنهم طلبوا الأموال والأتاوات من

(١) محمد يسري ، تاريخ الحشيشية، ص١٠٩

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٦٤؛ الأصفهاني، دولة آل سلجوق، ص٢٤٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص٣٠٢؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ٢٦٢،٢٦٣

الحكام لقاء تركهم وشأنهم، ووصلت الأمور في أحيان كثيرة أن وافقوا على القيام بعمليات اغتيال لقاء أجر، أي أنهم احترفوا الاغتيال لمن يدفع لهم(١)، وكانوا يركزون نشاطهم في المساجد والكنائس لقتل خصومهم فيها في أيام الجمعة والأحد بالذات، وكان عددهم في كل مهمة ثلاثة أشخاص، حتى إذا فشل أحدهم أكمل الباقون المهمة.(٢)

طريقة تجنيد الفدائيين حسب رواية ماركوبولو: لقد ذكر الرحالة الإيطالي ماركوبولو رواية عن طريقة تجنيد الحشاشين للفدائيين خلال رحلته إلى الشرق في القرن السابع الهجري، فقال أن زعيم الحشاشين الحسن بن صباح أنشأ حديقة متسعة غناء في وادي بين جبلين، وغرس فيها أشجار الفاكهة المختلفة، وأقام فيها القصور الجميلة، مزينا إياها بالذهب، كما حفر القنوات والفساقي التي ملأها بالخمر واللبن والعسل والماء الصافي ، وسماها الجنة، كما حشر فيها الجواري الحسان المغنيات الراقصات، وذكر أيضا أن الحسن كان يخدر هؤلاء الشباب بالحشيش ثم يقوم بنقلهم إلى هذه الحديقة بشكل جماعات ما بين أربعة إلى عشرة، فإذا استفاقوا ظنوا أنفسهم في الجنة التي وعد الله تعالى المتقين، وكان يخدرهم مجددا ويحملهم إلى قصره، حتى يؤمنوا بقدرته ويتفانون في طاعته، بل ويقومون بإقناع غيرهم بما رأوه ، وعلى الرغم من نفي المؤرخين لهذه الرواية ووصفهم إياها أنها خرافة(٣).

لقد قام الحسن بن صباح بنشر فدائييه في كافة الأنحاء ناشرا الرعب والخوف بين الأمراء والأكابر، وقد قدر البعض عدد هؤلاء الفدائيين زمن السلطان ملكشاه السلجوقي بمائة وستين ألفا(٤).

الحشاشون والسلاجقة: لعل أكبر تهديد كان يتهدد دولة الحشاشين الوليدة ودعوتهم كان السلطنة السلجوقية، والتي كانت وقتها تهيمن على مناطق شاسعة شملت إيران والعراق والشام وأجزاء من آسيا الصغرى، وسيطرت على القرار السياسي للخلافة العباسية في ذلك الوقت، وكان الصراع بينهما أمرا لا مناص منه، فمن جانب قام الحشاشون بتأسيس مملكتهم في

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١١١٦؛
John Mchugo, Aconcise history of sunnis and shis

(٢) محمدأسعد طلس، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ج٦، ص١٧٨

(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج٢، ص١٣٨

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١١١٧، محمد أسعد طلس، ج٦، ص١٧٩،١٨٠

خراسان التي كانت أهم الولايات السلجوقية ومركز الحكم الرئيسي لهم، مما جعلها تهديد رئيسي لسيطرة السلاجقة على هذه المنطقة وما حولها.(١)

من جانب آخر كان للخلاف المذهبي الدور في الصراع، فقد عرف السلاجقة أنهم من السنة المتعصبين، وعرفوا بكرههم للفرق الشيعية بشكل عام، والإسماعيلية بشكل خاص، خاصة الوزير نظام الملك الطوسي، وأيضا من جانب آخر يجب عدم إغفال أن سيطرة الحشاشين على عدد من القلاع ذات الموقع الاستراتيجي الهام قد تسبب بقطع طرق التجارة والمواصلات مما تسبب بحدوث خسائر كبيرة للخزانة السلجوقية.(٢)

ويجب ملاحظة أن نجاح الإسماعيلية في السيطرة على كل القلاع المنتشرة في المناطق الخاضعة لسيطرة السلاجقة له أسباب، لعل من بينها اتخاذ السلاجقة لنظام للإقطاع مما أوجد الفوارق الطبقية، ولقد استغل الحشاشون ذلك في نشر دعوتهم، كما يعتقد البعض أن الحسن بن صباح عمل على إيقاظ الروح القومية الفارسية عن طريق دعوته، كما أنه استغل كره الطبقات الكادحة لجور وبطش السلاجقة الأتراك لهم في كسب الأعوان منهم، كذلك كان من الأسباب عدم وجود أصحاب أخبار أو ديوان بريد ينقل لسلاطين السلاجقة أخبار الحشاشين ونشاطاتهم، حتى أن الوزير نظام الملك طلب بعدها من السلطان ملكشاه إعادة ديوان البريد على أمل أن تصله أخبار هذه الطائفة(٣).

بداية معرفة السلاجقة بالحشاشين: تذكر المصادر أن بداية معرفة السلاجقة بالحشاشين كان زمن السلطان ملكشاه، وذلك عندما فطن بهم الشحنة (مسئول الأمن) خلال صلاة العيد في ساوة، فقام بالقبض عليهم وحبسهم، ثم أطلق سراحهم، على أنهم قاموا بقتل مؤذن من أهل ساوة عندما فشلوا في ضمه إليهم خوفا أن يبلغ عنهم، فقام الوزير نظام الملك الطوسي بقتل

(١) محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٤٩؛ محمد يسري، تاريخ الحشيشية، ص٨٧

(٢) محمد يسري، تاريخ الحشيشية، ص٨٧؛

(٣) نظام الملك، سياسه نامه، ص٢٢٨،٢٢٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ٢١٩٥ ؛ محمد يسري، تاريخ الحشيشية، ص ٧٢،٧١

المتهم بقتله وكان نجارا[١]، ولقد أكد نظام الملك أنه ليس عليه من فريضة أوجب من استئصال شأفة هؤلاء ، ويقصد بهم الحشاشين، بسبب تأمرهم على الدولة[٢].

الصراع بين الحشاشين والسلطنة السلجوقية: لم يبدأ الصراع مباشرة بين الحشاشين والسلطنة السلجوقية، فقد حاول السلطان ملكشاه في البداية انتهاج الدبلوماسية مع الحشاشين، فقام بإرسال يعقوب بن سليمان الإمام الفقيه العالم بالأصول على مذهب السنة لمناظرة الحسن بن صباح، على أن هذه المناظرة لم تفلح في إقناع الحسن بن صباح بالحكمة والموعظة الحسنة[٣].

من جانب آخر قام الوزير نظام الملك بنشاط دعوي للتصدي لدعوات الحشاشين عندما أنشأ مؤسسات ثقافية في بغداد، والموصل، وأصفهان، ونيسابور، وبلخ، وهراة وغيرها، وهي ما عرفت بالمدارس النظامية، والتي كان من أهم أهدافها نشر المذهب السني للتصدي لتحديات الفكر الشيعي وتقليص نفوذه[٤].

ولعل من أشهر علماء الدين الذين تصدوا للحشاشين كان أبو حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)، والذي اجتهد في الرد على الاسماعيلية بشكل عام والحشاشين بشكل خاص منتقدا أسس مذهبهم خاصة فيما يتعلق بمبدأ عصمة الإمام، كما كتب كتابا في فضائح الباطنية بناء على طاب الخليفة العباسي المستظهر بالله، واستند في تفنيد حجج الباطنية باعتمادهم على الإمام بشكل مطلق تاركين النظر العقلي طالما أن النظر العقلي مهم وضروري للتوصل إلى الإمام نفسه، وقد حاول الحسن بن صباح إبطال حجج الغزالي.[٥]

بداية المواجهات العسكرية بين السلاجقة والحشاشين: عندما لم تفلح الدبلوماسية في إيقاف أنشطة الحشاشين لجأ السلاجقة إلى استخدام القوة، وكانت المواجهة الأولى من قبل قوة عسكرية تابعة للسلاجقة، و قادها الأمير التون طاش الذي كان يحكم إقطاع قلعة الموت باسمهم، فقام هذا الحاكم بمهاجمة سفح قلعة الموت وتخومها عدة مرات، كما قام بقتل كل من يعتقد بدعوة الحشاشين وتخريب كل ممتلكاتهم، كما حاصر قلعة الموت، وأوشك أنصار

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١٧، ص٦٣

(٢) نظام الملك، سياسه نامه، ص ٢٢٧،٢٢٨

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٨١،١٨٢

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٤؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٣٤

(٥)محمد يسري، تاريخ الحشيشية ، ص٩٠

الحشاشين أن يتركوا قلعة الموت، ولكنهم صمدوا بعدها بوجه الحصار خاصة بعد ادعاء الحسن بن صباح وصول رسالة إليه من الخليفة المستنصر الفاطمي تحثه على الصمود، وانتهت هذه الحملة بالفشل، على أنها كانت محلية، ولم تكن بأوامر من السلطان السلجوقي.[١]

كان التحرك العسكري المنظم الأول للسلاجقة بوجه الحشاشين في سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) عندما أقنع الوزير نظام الملك السلطان ملكشاه بخطورة الحشاشين، وضرورة ايقاف مدهم الجارف، فقام السلطان ملكشاه بإرسال حملتين، الأولى كانت بقيادة الأمير أرسلان تاش للاستيلاء على قلعة الموت، وقد حوصرت قلعة الموت حصارا شديدا ، واضطر الحسن بن صباح لطلب المدد من أحد دعاته في قزوين، وقد دافع الحشاشون ببسالة عن القلعة، وانتهت الحملة بهزيمة حملة أرسلان تاش وانسحابه، وثار غضب السلطان ملكشاه لفشل الحملة، وصمم على القضاء على الحشاشين[٢]، أما الحملة الثانية فكانت للإستيلاء على قلاع الحشاشين في قهستان بقيادة غزل، وقد حاصرت الحملة قلعة درة.

<u>إغتيال الحشاشين للوزير نظام الملك الطوسي:</u> مع بداية الحملات السلجوقية المنظمة ضد الحشاشين يبدو أن الحشاشين قرروا وقتها الرد على هجوم السلاجقة على طريقتهم، وبالفعل كان تخطيطهم التخلص من ألد أعداءهم وقتها، وهو الوزير نظام الملك الطوسي، خاصة أنه حسب وصف المؤرخين كان أمر السلطنة السلجوقية له، وليس للسلطان السلجوقي إلا التخت والصيد[٣]، وكان من أشد المحرضين على الحشاشين، مما جعل التخلص منه أمر واجب، وتم الاغتيال في رمضان من سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) في قرية سحنة القريبة من نهاوند، وقد نفذ الاغتيال صبيا ديلميا على هيئة الصوفية معه قصة، فدعا له وسأله تناولها، فمد نظام لملك يده ليأخذها، فضربه الصبي بسكين في فؤاده، فمات بعد قليل، أما الصبي فقتل بعد أن هرب عندما عثر في طنب خيمة، وقد قال الحشاشون في ذلك في إشارة لحادثة سابقة الذكر قتل نجارا فقتلناه به، ولقد سرت الأقاويل أن السلطان السلجوقي ملكشاه قد تأمر مع الحشاشين

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٨٢

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ١٨٢

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٢٨

ضد وزيره الذي عظم أمره حتى أصبح مصدر تهديد له، خاصة أنهما كانا على خلاف وقتها، ولم يعمر السلطان ملكشاه طويلا بعده، فمات بعده بخمس وثلاثين يوما فقط.(١)

وعندما وصلت الأخبار بموت السلطان ملكشاه للقوات السلجوقية المحاصرة لقلعة درة، قام الجند بفك الحصار عن القلعة والعودة، وهكذا فشلت حملات السلاجقة الأولى ضد الحشاشين.(٢)

مواجهات السلاجقة مع الحشاشين بعد ملكشاه: لقد نشب الخلاف بين ورثة السلطان ملكشاه بركياروق ومحمود، فاشتعلت الحروب بينهما، وقد قيل أن بركياروق قد طلب المساعدة من الحسن بن صباح لمواجهة أخويه محمود وسنجر المتحالفين ضده(٣)، على أن ذلك لم يستمر طويلا فلم يلبث الأخوة أن تحالفا مجددا سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م) مستهدفين قلعة طبس في أقليم قهستان، وتم لهم دخولها بعد حصار دام ثلاثة سنوات في سنة (٤٩٧هـ/١١٠٣م).(٤)

في عهد السلطان محمد بن ملكشاه استقرت السلطنة السلجوقية، وعاود السلاجقة حربهم ضد الإسماعيلية والحشاشين، فقد كان خطرهم قد استشرى، خاصة مع توسعهم في القلاع الحصينة، واندساسهم في أجهزة الدولة، وقتلهم العديد من الشخصيات الهامة، وكان منهم شيخ الشافعية أبا جعفر بن المشاط سنة (٤٩٨هـ/١١٠٥م)، كما أغاروا على قافلة للحجاج من الهند وما وراء النهر وخراسان، وتم لهم سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) السيطرة على قلعة شاهذر أحد أهم القلاع الاسماعيلية، وقتل حاكمها أحمد بن عبد الملك بن عطاش أستاذ الحسن بن صباح.(٥)

و مكن هذا الانتصار السلاجقة من استعادة الكثير من قلاع الإسماعيلية في زاجروس والعراق، ثم لم يلبثوا أن حاصروا قلعة الموت نفسها في حملة بقيادة أحمد بن نظام الملك في سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م)، وضيقوا على القلعة حتى اضطر الحشاشون لأكل العشب، ولكنهم

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢١٥٢،٢١٩٣ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٣٠؛

Tamim Ansary, Desting Disrupted, P.132

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٨٢

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١١١٧

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٩٧

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٢١ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص ١١١٧

صمدوا حتى حل الشتاء فاضطر السلاجقة لفك الحصار، وقد حاول الحشاشون بعدها قتل قائد هذه الحملة أحمد بن نظام الملك في أحد مساجد بغداد، ولكنهم فشلوا(١).

وعاود السلاجقة محاصرة القلعة سنة (٥٠٥هـ/١١١١)، وكان يقود الحملة الأتابك أنوشتكين شيرغير حاكم ساوا، ودام الحصار ثمانية سنين كاملة، وأوشكت القلعة على السقوط لولا ورود الأنباء بوفاة السلطان محمد بن ملكشاه، فانسحب أغلب المحاصرين، ونزل الحشاشون مهاجمين شيركير ومن معه، ففارق القلعة وغنم الحشاشون ما تخلف عنهم.(٢)

بعد موت السلطان محمد بن ملكشاه عادت الحرب الأهلية بين أمراء السلاجقة، وأستغل الحسن بن صباح الفرصة في إعادة تحصين قلعة الموت واستعادة عدد من الحصون المهمة في قهستان، وانتهت الحرب الأهلية بتولي السلطان سنجر بن ملكشاه السلطنة سنة (٥١٣هـ/١١١٨م)، وقد حاول الحسن بن صباح مهادنة السلطان الجديد، وعندما لاحظ تصميمه على القتال أرسل فداييه فغرسوا خنجرا في وسادته وهو نائم، فجزع السلطان سنجر، ورضخ لطلب الحسن بن صباح بالصلح والهدنة، خاصة بعد أن أشار عليه أعوانه بقبول مصالحتهم مقابل عدم بنائهم حصنا ولا شراءهم سلاحا، ولا يدعون أحدا إلى مذهبهم، ويلاحظ أن الحشاشين لم يحترموا بنود الصلح بكامل فصائلهم، وعاودوا إغارتهم في العام التالي في نواحي بيهق.

ولقد زاد نفوذ الحشاشين في عهد السلطان سنجر، حتى أن الحشاشين قاموا بقتل الخليفة العباسي المسترشد، الذي كان قد أسر من قبل السلطان مسعود السلجوقي، وقد جرح أكثر من عشرين جراحة، ومثل به، وترك عاريا مع نفر من أصحابه، وكذلك قاموا لاحقا بقتل أبنه الخليفة الراشد، وقد خافهم لذلك الخلفاء العباسيين في قصورهم، فقد جعل الحشاشون العالم يؤمن أن الحشاشين يمكنهم قتل أي شخص في أي وقت وأي مكان، وبالتالي يجعلونهم يرتابون في أقرب الناس إليهم وأخلصهم أن يكون من الحشاشين القتلة.(٣)

وفاة الحسن بن صباح ونبذة عنه: لقد تعرض الحسن بن صباح لمرض شديد في سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) فأدرك أن نهايته قد حانت، ولذلك قرر أن يرتب أحوال دولته حتى لا يقع

(١) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٥٥

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٧٥ ؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٨٩،١٩٠

(٣) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢١٦،٢٣٤٧ ؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٩٠،١٩١

Tamim Ansary,Desting Disrupted, P.131

الخلاف بين رجاله من بعده، فقام باستدعاء دعاة الدعوة الرئيسيين عنده كي يوزع السلطة فيما بينهم، فلم يكن الحسن بن صباح مؤمنا بفكرة توريث أحد أبناءه من بعده، وكان من أهم دعاته بوزورك أوميد من قلعة لمس، وأبو علي أردستاني داعي دعاة قزوين، والداعية حسن أدم كسراني، وكيا بو جعفر(١).

قام الحسن بن صباح بتقسيم السلطات التي كانت بين يديه بين أتباعه، ففصل الأمور الدنيوية عن الأمور الدينية، وعهد إلى بوزورك أميد بخلافته، وعهد الإشراف على أمور الدين والدعوة إلى أبي علي أردستاني، وعهد قيادة الجيش إلى كيا بو جعفر، وقد أمر الجميع بالتنسيق فيما بينهم، والتوافق فيما بينهم حتى يحين الوقت الذي يتمكن فيه الإمام المستور من تسلم السلطة وممارسة الحكم مباشرة.(٢)

لقد دام حكم الحسن بن صباح لقلعة الموت خمس وثلاثين سنة، وقد عرف عنه خلالها من جانب تنظيمه الاستراتيجي بشكل خاص، وكذلك عرف بكونه رجل دين وعلم، فقد كان حريصا على طلب العلم ومطالعة الكتب، وصنف العديد من الكتب الفارسية، وأسس مكتبة كبيرة في قلعة الموت، كما عرف بالتزامه بأوامر الشرع ونواهيه، فقد كان معروفا بالتقشف والزهد والورع، كما عرف بصرامته في تطبيق الشريعة، فقد أمر بقتل ابنه حسين عندما علم بقتله أحد الدعاة، كما أمر بقتل ابنه الآخر محمد بسبب شربه للخمر، وأمر بنفى رجل من القلعة بسبب عزفه على الناي، وقد ذكرت المصادر أنه عندما أرسل زوجته وبناته إلى حاكم كردكوه خلال حصار السلاجقة للقلعة أنه طلب منه إعطاءهم مقابل ما يقومون بغزله وصناعته ليس أكثر(٣).

<u>الحشاشون بعد الحسن بن صباح:</u> لقد استمرت دولة الحشاشين بعد وفاة الحسن بن صباح فترة قاربت المائة وسبع وسبعون سنة من (٤٧٧هـ/١٠٥٥م) وحتى (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ويمكن القول أن أحوال الحشاشين اختلفت ما بين القوة والضعف، فقد حرص خلف الحسن بن صباح بوزوج أوميد على جعل ابنه الحسن كخليفة له، فأسس بالتالي أسرة حاكمة للحشاشين، وتحول نظام الحكم منذ عهد برزك إلى وراثي، حيث أصبحت كل السلطات بيد الحاكم الذي كان يحكم بإسم الإمام الغائب، وبعد اغتيال الحسن حل ابنه محمد مكانه، فادعى

(١) الجويني، المصدر نفسه، ص١٩١

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ١٩١

(٣) الجويني، المصدر نفسه، ص ١٨٩

نسبه إلى نزار بن المستنصر، وأنه الإمام وليس مجرد نائبا عنه، وهكذا استحوذ على السلطة كلها، كما امتلك حق التشريع المذهبي[١].

عندما فشل الحشاشون في الاستيلاء على البلاد الإسلامية عمدوا إلى السلب والنهب، كما أثاروا حروب العصابات،[٢] و شاركوا في الحروب الصليبية، حيث حاربوهم عدة مرات، وهدد الحشاشون الإمارات الصليبية على طول الساحل السوري بعد أن أسسوا لأنفسهم مركزا في الجبال الساحلية عن طريق الاتفاق مع قادة السلاجقة في دمشق، فقاموا بالسيطرة على قلاع أخرى، ونشروا الرعب في قلوب المسلمين والصليبيين على السواء، وقد استهدف الحشاشون الخلفاء العباسين والفاطميين على السواء، فتم قتل الخليفة الفاطمي الأمر بالله سنة(٥٢٤هـ/١١٣٠م)، والخليفتين العباسيين المسترشد سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م)، وأبنه الخليفة الراشد سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م)، حتى أنهم أوشكوا على قتل الناصر صلاح الدين الأيوبي مرتين، وتمكنوا سنة (٥٣٥هـ/١١٤٢م) من استعادة قلعة مصيات في الشام عندما احتالوا على صاحبها حتى صعدوا إليه وقتلوه.[٣]

تغير سياسة الحشاشين زمن جلال الدين : لقد طرأ تغيير في سياسة الحشاشين في عهد زعيمهم جلال الدين حسن بن محمد (٦٠٧-٦١٨هـ/١٢١٠-١٢٢١م)، وذلك عندما أدرك أنه لا قبل للحشاشين بمهاجمة خصومهم من أمثال الدولة الخوارزمية،أو الأتابكية، أو الخلفاء العباسيين، وهكذا طلب من مجموعة من رجاله إظهار شعائر الإسلام، وقام بإرسالهم كسفراء إلى الخليفة العباسي في بغداد، وإلى علاء الدين بن محمد بن خوارزم شاه ، وكذلك إلى الأتابكية ليعلنوا رجوعهم إلى الحق والإسلام.[٤] ولقد قام جلال الدين بتأسيس علاقات ودية مع الخلافة العباسية، كما سمح ببناء مساجد السنة في مناطق سيطرته، على أنه بعد وفاته وتولي ابنه علاء الدين محمد الثالث عادت الأمور كما كانت، وأعلن أن تعديل الشريعة زمن والده كان فقط من أجل أخفاء الحقيقة.[٥]

---

(١) محمد السعيد جمال الدين، دولة الاسماعيلية في ايران، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٩٦
John Mchugo, aconcise history of sunnis & shis, P129

(٢)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٦٢،٢٣٦٦

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٥٨ ؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٦٧
John Mchugo, A concise History Of Sunnis & Shis, P.129

(٤) محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، ج٦، ص١٨٠

(5) john Mchugo, A concise history of sunnis & shis, P 129

نهاية دولة الحشاشين في قلعة الموت: لقد استمرت دولة الحشاشين بعد الحسن بن صباح لقرن وسبعا وسبعين سنة، و تعاقب على حكمها ثمانية من الحكام، وكان آخرهم ركن الدين خورشاه ، وخلال حكمه كان المغول بقيادة الأمير هولاكو قد بدأوا بالاستيلاء على معاقل الحشاشين في قهستان، وكردكوه، وتون سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، وقد أجبر ركن الدين خورشاه على تخريب حصونه في الموت ولمبسر لإظهار طاعته وخضوعه للمغول سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، على أنه عندما توجه إلى هولاكو ليعلن خضوعه المطلق له كانت الأوامر قد وصلت إلى هولاكو من الخان الأعظم مانجو خان من قراقورم بإعدام خورشاه، وقد تم إعدامه في قراقورم ركلا كما جرت عادة المغول.(١)

الحشاشون بعد سقوط دولتهم:على الرغم من انتهاء دولة الحشاشين على يد المغول، ولكن سلالتهم ظلت تعيش حول مصيف وبعض القلاع الأخرى في الجبال الساحلية لسوريا، وقد انتهى عهدهم بالإغتيالات السياسية، فأصبحوا متسامحين، وقد عرفهم العثمانيون لاحقا باسم أتباع نزار، وقد عرف إمام من ظل منهم في إيران بالأغا خان، على أنهم فروا لاحقا إلى أفغانستان بعد ثورة فاشلة سنة ١٨٤٢م، ومن بعدها استقروا في الهند، وجعلوا من بومبي مقرا لهم، كما تشتت بعضهم الآخر في عمان وزنجبار.(٢)

أسباب صمود الحشاشين: لا شك أن صمود دولة الحشاشين بوجه هجمات معاديها على مدار قرنين تقريبا له أسباب عديدة، ويمكن إيجاز الأسباب كما يلي :-

(١) لقد عمل الحسن بن صباح على إيقاظ الروح القومية والعصبية الفارسية في سبيل كسب الأعوان نظرا لأن الفرس كانوا متمسكين بهويتهم الفارسية بكل وسيلة ممكنة، ولذلك أعتبر الباحثين أن حركة الحشاشين كانت معركة بين الفكر والعقلية والروح الفارسية المستقلة بوجه القيم الدينية والسياسية الإسلامية المحافظة، ويمكن القول أن الحشاشين قد استفادوا من تجارب الثورات الفارسية السابقة مثل ثورة بابك الخرمي وغيره.(٣)

(٢) كذلك لعب الحظ دوره في مرات عديدة لإنقاذ دولتهم، فقد حوصرت قلعة الموت مرارا وأوشكت على الاستسلام، ولكنها كانت تنجو تارة بسبب الأحوال الجوية السيئة وتارة بسبب

---

(١)الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص ٢٤٠؛ محمد السعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية، ص٢١٧،٢١٨

(٢) محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، ج٦، ص١٨١

(John Mchugo, A concise history of sunnis & Shis, P.129

(٣) محمد يسري، تاريخ الحشيشية، ص٧١،٧٢

موت السلطان كما سبق ذكره، سواء مع موت السلطان ملكشاه، أو مع موت السلطان محمد بن ملكشاه أثناء محاصرة جندهما لقلعة الموت، ففشلت بالتالي الحملات الموجهة للقضاء علي الحشاشين.

(٣) لعل من أهم أسباب استمرار دولة الحشاشين كان النزاع الذي دب بين أمراء السلاجقة، فقد كانت سلطنة السلاجقة أكبر مصدر تهديد لهم نظرا لكونهم القوة الأكبر في تلك الفترة، وذلك بعد موت السلطان ملكشاه، فانشغل ورثته بالصراع فيما بينهم، وأدى ذلك إلى ضعف دولتهم وتقسمها بينهم، بل وصلت الأمور ببعضهم لطلب مساعدة الحشاشين في نزاعه مع أخوته، ولقد استغل الحشاشون هذا النزاع في مد سيطرتهم على مناطق أخرى(١).

(٤) لم يكن اختيار الحشاشين لقلاعهم التي استولوا عليها أو التي بنوها دون دراسة دقيقة، فقد حرصوا أن تكون في أماكن تتوسط وديان صالحة للزراعة، وقريبة من موارد المياه، وبخاصة عند نهر شاهرود وفروعه، وقد اتسمت هذه المناطق بوفرة محاصيلها الزراعية وتنوعها، مما مكن هذه القلاع من الصمود أمام الحصار، كما أن مواقع القلاع ذات الطبيعة الجبلية قد شكلت حماية طبيعية لها.(٢)

(٥) لا شك أن سياسة الترهيب والاغتيالات التي قام بها الحشاشون قد بثت الخوف والرعب في قلوب خصومهم، حتى مال الكثير منهم إلى مسايرتهم ومصالحتهم من أجل أن يأمنوا شرهم، ولعل أبرز دليل على ذلك كان خشية السلطان سنجر بن ملكشاه منهم، وقبوله بمصالحتهم على الرغم من اعتراض الكثيرين على موقفه، وانتقادهم له، وذلك بعد أن أظهر الحشاشون له أنهم يستطيعون قتله في أي وقت و أينما كان، وذلك عندما استيقظ من النوم في قصره، ووجد خنجرا مغروسا عند سريره.(٣)

مما جرى استعراضه يلاحظ أن أسباب صمود دولة الحشاشين كثيرة ومتنوعة، وقد تكون هناك أسباب أخرى قد ساهمت أيضا في بقائها هذه الفترة الطويلة، ولكن لا مجال لذكرها في هذا البحث.

---

(١) حدث أن استعان السلطان بركياروق السلجوقي بالحشاشين في صراعه مع خصومه
ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١١١٧

(٢) لعل أفضل مثال لحصانة مواقع قلاع الحشاشين موقع قلعة الموت حيث كانت تقع فوق جبل شامخ مرتفع، كما أن الممر الوحيد المؤدي إليه كان ممرا ضيقا حلزونيا شديد الإنحدار
القزويني، آثار البلاد، ص٣٠١؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٣، ص١٨١

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ص١٩١

في ختام هذا البحث المتواضع نرجو أن يكون الطرح فيه قد أعطى صورة واضحة ومفيدة لكل من يبحث في هذا الموضوع، والذي بحثنا فيه قدر الإمكان حسب المصادر والمراجع المتوفرة، والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر

(١) الأصفهاني عماد الدين، دولة آل سلجوق، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان

(٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت،

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت

(٧) الجويني عطا الله، تاريخ جهانكشاي، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٥م

(٨) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،

(٩) الشهرستاني، الملل والنحل، ت: أبو محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣

(١٠) المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ت: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(١١) نظام الملك الطوسي، سياسه نامه، ترجمة: يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، الأردن، ٢٠١٢م

(١٢) ياقوت الحموي، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت

(١٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت

المراجع :-

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٨م

(٣) محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م

(٤) محمد السعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية في إيران، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٩/١٩٩٩

(٥) محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، دار النفائس بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

(٦) محمد يسري محمد حسن، تاريخ الحشيشية والمهدية والتومرتية، دار النفائس بيروت، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

English Books:-

(1) Tamim Ansary, Desting Disrupted, Public Affairs, Newyork, 2009

(2)John Mchugo, A concise History Of sunnis & Shis, Saqi, London